www.aljawadain.iq

رسائل جامعية
٢

الشيخ
محمد حسين كاشف الغطاء
ودوره الوطني والقومي

حيدر نزار عطية السيد سلمان

معهد العلمين للدراسات العليا

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

آذار ٢٠٠٧م ـ ربيع الأول ١٤٢٨هـ

الأهداء إلى روح والدي

تمت مناقشة هذه الرسالة في معهد التاريخ العربي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المعهد	٧
المقدمة	٩
التمهيد: النجف مطلع القرن العشرين	١٥
الفصل الأول: حياة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء	٢٩
أولا: آل كاشف الغطاء	٣١
ثانيا: ولادته ونسبه وشخصيته واختلاف الناس فيه	٣٣
ثالثا: تعليمه وثقافته	٤٢
رابعا: رحلاته وسفراته	٥٢
خامسا: كتبه ومؤلفاته	٥٧
سادسا: علاقته بالمستبدة والمشروطة	٦٥
سابعا: وفاته	٧٤
الفصل الثاني: دوره في الحركة الوطنية العراقية من عام ١٩١٥ ــ ١٩٥٤ م	٧٧
اولا: دوره في حركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٥	٧٩
ثانيا: دوره في احداث العشائر عام ١٩٣٥	٨٩
ثالثا: دوره في حركة مايس عام ١٩٤١	١١٨
رابعا: موقفه من انتفاضة الشعب ١٩٤٨	١٢٣
خامسا: موقفه من حركة الاضرابات عام ١٩٥٢	١٢٧

الفصل الثالث: الاصلاح عند الشيخ كاشف الغطاء	١٣١
اولا: الفكر الاصلاحي	١٣٣
المرحلة الاولى: التيار الديني الاصلاحي	١٣٤
المرحلة الثانية: الدعوة للنهضة العربية	١٥٩
ثانيا: موقفه من اصلاح وضع المرأة	١٧٦
ثالثا: ريادته في اصلاح التعليم الديني	١٨١
الفصل الرابع: الفكر السياسي عند الشيخ كاشف الغطاء	١٨٥
اولا: الرؤية السياسية عند الشيخ	١٨٨
ثانيا: نظرته للاقتصاد وعلاقته بالاستقلال السياسي	١٩٧
ثالثا: رأيه في العمل الحزبي	٢٠٣
رابعا: موقفه السياسي من الاستعمار	٢١٣
خامسا: القضية الفلسطينية، مواقفه منها وآرائه فيها	٢٢٩
الخاتمة	٢٤٥
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	٢٤٩
المصادر	٢٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد الحسين كاشف الغطاء

وجه النجف المشرق

مما لا شك فيه أن المرحوم الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في مكانته العلمية والأدبية، وكل جوانبه الفكرية سواء في تحركه في العراق أو خارجه، وخاصة في سفراته المتعددة لخارج العراق ممثلا لمركز النجف العلمي، وحضوره للمؤتمرات العالمية، والندوات العلمية كان موفقا للغاية، معبرا عن فكر ثاقب بعيد الغور، ووطنية صادقة، وشخصية تحمل شموخ النجف العلمي والوطني والتاريخي، في حدود القرن الماضي، ولعلي لم أر من تمكن من تمثيل النجف الأشرف وشموخها الفكري في المؤتمرات والمحافل الدولية كما كان الشيخ كاشف الغطاء، الابن البار لهذا البلد العريق، علما وأدبا، اجتماعيا ووطنية وسياسة، وشيد له البعيد والقريب بهذه الخصيصة المميزة له من بين أقرانه وأبناء صنفه من العلماء العاملين، والمراجع المقلدين.

وفي هذا الوصف الموضوعي لهذه الشخصية الفذة لم أكن مبالغا ولا مفرطا، فيم في تصوري طبيعي لما يستحقه الإمام كاشف الغطاء ولما يقال عنه، وليست متنكبا الحديث عن غيره، أو مقصرا عما يستحقه الآخرون في هذا الصدد، فأنا لا أحصر الصفة فقط في هذه الشخصية، وإنما أقول إن هذه

الشخصية الكبيرة تصدت لهذه المهمة التي تقتضيها طبيعة المرجعية الدينية النجفية، فقام لها مبادرا في حين تخلف عنها غيره لسبب من الأسباب. ونجح أيما نجاح فيها.

والنجف بتاريخها العريق سباقة في هذه المضامير، ممثلة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، والتي لها في حساب التاريخ غور بعيد، يدق أبواب الألف عام بعد قليل من السنين. ولا مجال للنكران بأن تاريخ هذا البلد يزخر بالعلماء والأدباء والوطنيين والسياسيين، وما صدر عنها من نتاج فكري، وما تفجر فيها من نهضات يتلمس من خلالها روح الوثوب العلمي والوطني، والسياسي يؤمن معي بأن ما أقوله حول النجف وشموخه ليس من باب العاطفة، ولا من نوع المبالغة انما الحقيقة والواقع.

وهذا الكتاب الذي نقدمه للقراء الكرام في خط (معهد العلمين للدراسات العليا) في النجف الأشرف لطبع ما نختاره من الرسائل الجامعية سوف يؤكد ما نقوله عن شخصية الشيخ كاشف الغطاء، وعن مكانة النجف الأشرف التي أولدت مثل هذه الشخصية الفذة، التي هي موضع اعتزاز الجميع. كما وأن الأخ الباحث السيد حيدر نزار عطية السيد سلمان الذي نال على هذه الرسالة درجة الماجستير من معهد التاريخ العربي في بغداد كان موفقا للغاية في معالجته لوضع الصورة الحقة عن هذا الشيخ الجليل، والعالم الكبير، والوطني الغيور، وفقه الله تعالى، وله جزيل الشكر والتقدير، ووفقنا لحسن الاختيار في مشروعنا الثقافي، وهو ولي التوفيق.

د. محمد بحر العلوم

المشرف العام

لمعهد العلمين للدراسات العليا

النجف الاشرف ــ العراق

المقدمة

تأتي هذه الدراسة عن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء باعتباره واحدا من أهم مراجع الدين الذين برزوا على الساحتين الوطنية والقومية، من خلال مواقفه ومشاركاته وجهوده في القضايا الوطنية والقومية والإسلامية، وكان رائدا من رواد النهضة العربية الحديثة، وداعيا مصلحا كرّس الكثير من كتاباته وخطبه من أجل تحقيق النهوض ومقاومة الغزو الثقافي والفكري الغربي للبلاد الإسلامية.

وكان التأثير الواضح والقوي لكاشف الغطاء في الأحداث يرجع بالتأكيد لما تمتع به من نفوذ ينبع من موقعه الديني المرموق، إذ كان مرجعا دينيا عربيا انتشر مقلدوه في العراق وكافة أرجاء العالم الإسلامي، وكذلك بما اتصف به من جرأة واندفاع بالوقوف إلى جانب قضايا وطنه وأمته.

وشعور الشيخ كاشف الغطاء نفسه أن واجبه الديني يفرض عليه أن يكون في وسط الأحداث مرشدا وناصحا وموجها ومساندا، وقد كان له بجميع مشاركاته فاعلية وقوة تأثير، ويمكن الإشارة إلى السمعة الطيبة والمكانة المرموقة التي حازتها أسرته (آل كاشف الغطاء) في المجالات الدينية والعلمية والسياسية قد ساهمت إلى حد كبير في بزوغ نجم محمد حسين كاشف الغطاء، فهذه الأسرة العربية الصميمة قدمت الزعماء الدينيين على امتداد قرنين من الزمان (القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلادي).

ولما كان لمدينة النجف الأشرف دور واضح وملموس في القضايا السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق والوطن العربي والعالم الإسلامي

من خلال علمائها الدينيين ورموزها، لذا فقد كان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء واحدا من هؤلاء العلماء الروحانيين الذين ساهموا بفعالية في النشاط الوطني والقومي. فاتضح دوره وبرز على الساحة، فكانت الشخصيات السياسة والوطنية ورجال الأحزاب والجمعيات يتصلون به طالبين رايه ومشورته، أو يطلبون تدخله لحل نزاع سياسي او عشائري، ويرغبون بالحصول على مباركته لقضية من القضايا لتحوز على القبول والتأييد الشعبي، فوصل الأمر إلى حد توسط الشيخ لتحسين أوضاع سجناء سياسيين ومنع فتن دامية، وطلب مساندته للوقوف بوجه تيار سياسي معين.

ويمكن الإضافة إلى ما سبق تميّز الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بقدرته على التأثير بمستمعيه والاستحواذ على مشاعرهم، لما امتلكه من قوة جذب وخطابة ولغة ساحرة تفيض حيوية، وبتناوله لمواضيع متعددة (سياسية، اقتصادية، أخلاقية)، فهو لم يتوقف عند جانب واحد، بل كان شموليا بطرحه ومعرفته وتناوله. وكذلك فقد تنوعت علاقاته الشخصية وتعددت، فقد كانت له صلات وثيقة بشخصيات عراقية وإسلامية وغير إسلامية وفي مختلف أنحاء العالم، وشملت هذه العلاقات تبادل الاراء والأفكار في مختلف الشؤون، وكان من نتيجتها ظهور كتب تحوي هذه المراسلات. فضلا عن أن نتاجه الفكري المتنوع حاز على الرضا والقبول وذاع صيته في العالم، وترجمت كتبه إلى عدة لغات ومازالت تطبع لحد الان، لزيادة الطلب عليها من عشاق المعرفة.

ولكل ذلك، ولأنه كان شخصية متميزة بكثير من النواحي على غيره من علماء الدين الروحانيين ويتصف بفرادته على الآخرين بطريقته بالعمل وأسلوبه ودعواته الإصلاحية واتساع نطاق شهرته، فقد كان اختياري لمحمد حسين كاشف الغطاء باعتباره شخصية تستحق الدراسة والاهتمام، فمن خلالها يتم تغطية جزء من تاريخ العراق المعاصر.

وتقع هذه الدراسة بمقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. تناول التمهيد

البيئة التي نشأ فيها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من خلال تناول الأهمية التي تتمتع بها مدينة النجف والأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية فيها بمطلع القرن العشرين.

أما الفصل الأول، فقد درس حياته ونشأته وشخصيته وتعليمه واستعراض سفراته إلى خارج العراق، وجردا تعريفيا لكتبه المطبوعة والمخطوطة وبدايات نشاطه السياسي من خلال موقفه من الحركة الدستورية عام ١٩٠٦م.

وتطرق الفصل الثاني إلى موقفه من القضايا الوطنية (على صعيد العراق) ومشاركاته فيها، والتي ابتدأت منذ إعلان الجهاد ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٥م إلى حين وفاته عام ١٩٥٤م، فقد كان للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في بعض الأحداث مشاركة فعالة ودور رئيسي كما في أحداث العشائر ١٩٣٥م.

وبحث الفصل الثالث في الجانب الإصلاحي عند الشيخ كاشف الغطاء وأهم أعماله في هذا الجانب، مع عرض لأهم التيارات الإصلاحية التي ظهرت على الساحة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وتناول هذا الفصل دعوته للوحدة العربية وبعض مواقفه الإصلاحية، مثل موقفه من المرأة والتعليم.

واهتمّ الفصل الرابع ببحث ملامح الفكر السياسي عند كاشف الغطاء وموقفه الفكري من الاستعمار وسياسة الأحلاف، ورويته للعمل السياسي والحزبي، وتأكيده على العامل الاقتصادي كعامل رئيسي في تحقيق الاستقلال السياسي. وتناول هذا الفصل أيضا موقفه من القضايا القومية وبالأخص قضية العرب القومية (قضية فلسطين).

وتضمّنت الخاتمة أهمّ ما توصلت إليه الدراسة من نتائج عن الدور الذي لعبه كاشف الغطاء.

اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع كثيرة كان في مقدمتها كتب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ورسائله ومذكراته، وقد كان بعضها محفوظاً في مكتبته الخاصة ولم تنشر بعد، وهذه لها أهمية تاريخية لأنها تصور جانباً من تاريخ العراق السياسي والاجتماعي المعاصر. وكان من أهمّ كتبه التي اعتمدتها الرسالة كتابه ((المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)) في مقدمة الكتب التي عبّرت عن فكره السياسي، لاسيما أنّ الكتاب أخذ صدى واسعاً في مجال النشر وطبع عدة مرات، وهو بمثابة الرسالة التحذيرية الموجهة إلى العرب والمسلمين من الخطر المحدق بهم. ومن كتبه ((الدين والإسلام))، وكتابه ((جنة المأوى))، و((الميثاق العربي الوطني)) الذي له أهمية كبيرة، كونه يعدّ من الكتب التي جاءت مواكبة لحركة النهوض القومي والدعوات الوحدوية، لما احتواه _ وبشكل واضح وصريح _ أفكاره القومية ودعواته لنهضة العرب، وتأكيده على دورهم الحضاري. وكتاب ((مجموعة الخطب)) الذي بيّن موقف الشيخ كاشف الغطاء من أحداث وقضايا مختلفة بشكل واضح و((في السياسة والحكمة))، و((المحاورة مع السفيرين))، وكتب أخرى غيرها. وقد تضمّنت كتبه مجمل مواقفه وآرائه في مختلف الشؤون وعلاقاته واتصالاته.

واعتمدت الدراسة على وثائق تاريخية مهمة مازال بعضها غير منشور، وهي تقدم مادة تاريخية ذات قيمة علمية، وذلك لمعاصرتها الأحداث، وأن بعضها عبارة عن اتصالات الشيخ مع الزعماء السياسيين والعشائريين.

وكانت الكتب التي تؤرخ للعراق في مقدمة الكتب المطبوعة التي اعتمدتها الرسالة، كما هو الحال مع مؤلفات المؤرخ المعروف عبد الرزاق الحسني، وكتاب ((ماضي النجف وحاضرها)) للشيخ محمد جعفر محبوبة، وكتب التراجم وعلى رأسها كتاب ((معارف الرجال)) لمحمد حرز الدين، لأن

هذه الكتب مادة تاريخية عن شخصيات وحوادث شهدتها مدينة النجف الأشرف على وجه الخصوص، وعلى صلة بأحداث العراق.

كما تمت الاستعانة بالكتب التي أرخت لحركة النهضة العربية مثل كتاب ((الفكر العربي في عصر النهضة)) لألبرت حوراني، وكتاب علي محافظة ((الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤م))، وكتاب ((عصر التنوير)) لفاروق أبو زيد.

واعتمدت الرسالة على بعض الرسائل الجامعية التي لها صلة بالموضوع، وتعود أهمية هذه الدراسات لاعتمادها على العديد من الوثائق الرسمية والشخصية غير المنشورة.

واستفادت الدراسة من الصحف والدوريات النجفية التي أرخت للأحداث أولا بأول، ولأن بعضها صحف يومية وأسبوعية فإنها قدمت مادة تاريخية مهمة ومراسلات بين الشيخ كاشف الغطاء ومعاصريه. وكانت الصحف النجفية أكثر فائدة من غيرها من الصحف. ومن أبرزها مجلة الغري، وجريدة الهاتف، وتأتي بعدها الصحف البغدادية.

وكانت للمقابلات الشخصية أهمية بالحصول على معلومات عن نشاطات كاشف الغطاء في المجالين الوطني والقومي.

وهنا لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني لأستاذي الدكتور علي ناصر حسين المشرف على هذه الرسالة، والذي لم يبخل عليّ من وقته وجهده وتزويدي ببعض المصادر الضرورية، فكان لذلك ولملاحظاته السديدة دور في أن يخرج هذا البحث إلى النور في شكله. هذا كما أقدم عظيم شكري وامتناني لأعضاء لجنة المناقشة لما سيتفضلون به من توجيهات سديدة في تقويمها.

وختاما أمل أن أكون موفقا في بحثي هذا ومن الله التوفيق.

الباحث

النجف مطلع القرن العشرين

موقع النجف

تقع مدينة بالنجف الأشرف على حافة الهضبة الصحراوية الغربية من العراق[1]، وعلى الجانب الشمالي من الفرات، على رابية مرتفعة على أرض رملية واسعة تطل غربا على بحيرة جافة، وعلى جانبها الشمالي والشرقي تقع مقبرة واسعة تضم القباب والقبور، وهي مقبرة وادي السلام[2] التي تعد من المقابر الكبيرة في العالم[3]. النجف مدينة عربية عريقة سكنتها القبائل العربية قبل الفتح الإسلامي للعراق، إذ اتخذها المناذرة مقرا لحكمهم لقربها من الحيرة وقد قامت حضارة فيها على أسس عربية[4].

ضمت المدينة مرقد الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان حافزا قويا للهجرة نحو النجف من العلويين وغيرهم، حيث سكنوها واتخذوها

---

١ – عبد الهادي الفضلي، دليل النجف، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، بلا تاريخ، ص١٢.

٢ – عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، ط٢، مطبعة المعرفة، صيدا، ١٩٣٥، ص١٣٠

٣ – علي الوردي، دراسات في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥، ص٣٥١.

٤ – عجمي عطية ابو كلل، تاريخ النجف، النجف، ١٩٥٧، ص١٦.

مركزا للتدريس فيما بعد. وقد كان الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ) أبرز من قام بإعمار المرقد المقدس[١]، ثم توسعت البلدة وتلاحقت العمارة بتوالي الأعوام، وأخذت بنصيب وافر من العمران والعلم وازدحام السكان في القرنيين السابع والثامن الهجريين، حيث أقيمت المدارس والمساجد والتكايا[٢].

حظيت النجف لقدسيتها بعناية خاصة من جميع الذين حكموا العراق، وعملوا على دعمها بالأموال والمساعدات، ووفروا لها الأمن والاستقرار[٣]، وبعد خضوع العراق للحكم العثماني (١٥٣٤-١٩١٨) كانت النجف قضاء تابعا لسنجق كربلاء التابع لولاية بغداد، فقد قسّم العراق - كما هو حال الأجزاء الأخرى من الدولة العثمانية - إلى ثلاثة ولايات هي بغداد والموصل والبصرة[٤].

الأوضاع السياسية في النجف في أواخر العهد العثماني:

نظرت السلطات العثمانية إلى النجف نظرة خاصة بسبب مكانتها الدينية[٥]، وكانت المحاولات الفارسية المتكررة لفرض السيطرة على الأماكن المقدسة في العراق سببا مهما لجعل العثمانيين يولون المدينة هذا الاهتمام، اذ رفضوا محاولات فارسية عدة ووقفوا بوجهها بقوة[٦].

---

١ - عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١٣١.

٢ - محمد جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، جـ١، المطبعة العلمية، النجف، ١٩٥٥، ص١٠.

٣ - عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١٣١.

٤ - عبد الرزاق الحلالي، معجم العراق، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣، ص٢٩٣.

٥ - علي الوردي، المصدر السابق، ص١٠٨.

٦ - ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٦، بغداد، ١٩٨٥، ص٨٤ - ٨٥.

كان أمر تعيين القائمقام في النجف يصدر من الاستانة مباشرة، وكانت ولاية بغداد تتجنب التدخل في شؤونها إلا بنطاق ضيق مكتفية بالخضوع الرمزي[1].

وعانت النجف - كبقية أجزاء العراق الخاضع للسيطرة العثمانية - من التخلّف والتأخر والفوضى، فقد كان العراق ذا سمعة سيئة عند الباب العالي في الاستانة، إذ كان ينظر إليه بوصفه منطقة نائية فقيرة موبوءة كثيرة القلاقل والاضطرابات، وغالبا ما يبعث إليه الولاة الفاشلين والمغضوب عليهم، فلم يكن هم الحكومة العثمانية سوى جمع الضرائب من الناس بالقوة بواسطة ((جباة الضرائب))، الذين كانوا يرهقون كاهل الناس بها، مما زاد من حال الفقر التي هم فيها[2].

وأصبحت النجف مركزا للسخط السياسي ضد العثمانيين، إذ لم تكن للسلطة العثمانية هيبة أو أثر فعّال عليها، ولم يكن حكمهم ثابت الأركان، فالنجفيون اعتبروا الحكومة العثمانية ظالمة وغير شرعية[3]، وكانت السياسة الطائفية والاستبدادية التي يتعامل بها العثمانيون سببا للنقمة على هذه السلطة[4].

وامتاز العقدان الأول والثاني من القرن العشرين بنشاط سياسي كبير للنجف، فقد أدّت في هذه الفترة دورا في توجيه السياسة في العراق وفي مناطق أخرى مهمّة من العالم الإسلامي، إذ تمتع علماء الدين بنفوذ واسع

---

١ - علي الوردي، المصدر السابق، ص١٠٨.

٢ - بيردي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن، ترجمة اكرم فاضل، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٨، ص٧٨ - ٧٩.

٣ - عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بلامكان، ١٩٧٦، ص٤٨.

٤ - وميض عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية لحركة القومية العربية(الاستقلالية)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٧٤.

فكانت كلمتهم هامة ومؤثرة وقاطعة في بعض الأحيان لدى المراجع الحكومية وقد استطاعوا الحصول على امتياز بإعفاء طلاب العلوم الدينية من الخدمة العسكرية[1]، وهو دليل على قوة نفوذهم الذي امتد إلى مناطق واسعة من العالم الإسلامي فكان لهم تأثير في دول عديدة مثل باكستان والهند وافغانستان وإيران ودول أخرى[2].

وسبب هذه الطبيعة الإسلامية والعالمية للنجف تحتم عليها أن تحدد موقفها من القضايا السياسية والاجتماعية التي تحدث في العالم الإسلامي، فلابد لها إذن من إعطاء رأيها، فقد كان المسلمون يتوجهون إلى النجف لاستطلاع رأيها الذي اتصف بكونه قريبا من المحافظة والحيطة، وكأنه موقف اللامبالاة. لكن الحقيقة أنها تتخذ قرارها بتروٍ وحذر مما أبعدها عن الانحراف والانزلاق[3].

إن هذه المركزية التي حازتها النجف جعلت منها مثالا تتأثر به كثير من الأمم الإسلامية فنجدها في عاداتها وأخلاقها وتفكيرها تحذو حذو النجف التي كان لها أثر في نفوس تلك الأمم[4]، فحافظت النجف على هيبة القرار والآراء التي تصدر عنها، فكان لها تأثير قوي ومقبول لأنها كانت يقظة إلى أبعد حد تنظر في عواقب الأمور ومغباتها كنظرها إلى ظواهر الأشياء[5].

كان لأحرار النجف في هذه الفترة دور في نشر المبادئ الدستورية والدعوة لها، وكان ذلك نابعا من تأثر النخبة المثقفة في النجف بالأفكار

---

١ – عبد الله النفيسي، المصدر السابق، ص٧٩

٢ – المصدر نفسه، ص٧٩.

٣ – محمد مهدي، مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها، مطابع النعمان، النجف الاشرف، بلا تاريخ، ص٨٠.

٤ – النجف (جريدة)، العدد (٤٤)، السنة الثانية، ٤حزيران ١٩٢٦.

٥ – ابو كلل، المصدر السابق، ص١٣.

الإصلاحية والتحررية التي جاء بها رجال حركة الإصلاح، ومنهم جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧)، الذي لعب دورا في بث هذه الأفكار خلال إقامته في النجف (١٨٥٢-١٨٥٦)[١].

وعلى هذا الأساس، فلم تكن النجف بعيدة عن العواصف السياسية، فقد بلغت ذروة مكانتها وبروز دور العلماء ورجال الدين كقوة فاعلة في الحياة السياسية. وقد انقسم العلماء إلى تيارين متميزين هما التيار المتحرر الدستوري والتيار المحافظ[٢]، وهو ما سنتحدث عنه في مكان لاحق.

أما الوعي القومي، فقد أخذ يظهر بين صفوف الطبقة المثقفة، ولاسيما بعد اتباع السياسة العنصرية وسياسة التتريك التي اتبعها رجال حزب الاتحاد والترقي، فتمكن الوعي القومي أكثر من السابق، فأصبحت النجف في تلك الأيام تمور بالأفكار القومية وتنشر التراث العربي[٣] كرد على حملات التتريك. ولم يتوقف الدور القومي عند هذا الحد، فعندما احتلت القوات الإيطالية ليبيا عام ١٩١١ ووصول أخبار الغزو إلى النجف تتابعت فتاوى علماء الدين المؤيد للشعب العربي في ليبيا، وتعلن الجهاد ضد الإيطاليين والوقوف مع الشعب الليبي في مقاومته. وقد كانت الاستجابة لفتاوى العلماء سريعة من الناس لتلبية نداء الجهاد، وفعلا تشكلت لتنفيذ ذلك لجان عدة للدفاع وجمع التبرعات من الأعيان والشيوخ[٤].

---

١ - المستقبل العربي (مجلة)، الاعداد (٤٢، ٤٣، ٤٤)، للاشهر ٨، ٩، ١٠، بحث حول ثورة العشرين، بقلم وميض عمر نظمي، ص٨٢.

٢ - المصدر نفسه، ص٧٨.

٣ - ابو كمال، المصدر السابق، ص١٤.

٤ - المستقبل العربي (مجلة)، الاعداد (٤٢، ٤٣، ٤٤)، للاشهر ٨، ٩، ١٠، ١٩٨٢، ص٧٨.

الحياة الفكرية:

مثلما كان للنجف تأثير واضح في الحياة السياسية كان لها تأثيرها الكبير – أيضا – في الحياة الفكرية بوصفها مقرا للمرجعية الدينية، وتضم كذلك جامعة لدراسة العلوم الدينية والعربية[1]، ساعدت على حفظ التراث العربي واللغة العربية كمثيلاتها في العالم العربي كجامع الأزهر في مصر والزيتونة في تونس، فقد استمرت في تدريس العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية في حلقات داخل المدارس والمساجد في الوقت الذي كان فيه الجهل والتخلف يرمي بظلاله على البلاد العربية[2].

فالنجف منذ عهد طويل ناهز الألف عام أصبحت معهدا للدراسات الإسلامية العالية في حقول الفقه والأصول والتفسير والفلسفة والفكر الإسلامي[3].

ولما كانت النجف بيئة علمية وفكرية فقد كان النتاج الفكري متواصلا طوال تاريخها، وكان لها في كل عصر مؤلفات وأدباء وأعمال فكرية لعبت دورا مهما قبل عصر النهضة الحديثة[4].

وفي العام١٨٢١ شهدت النجف أعظم مراحل ازدهارها، فبنيت المدارس وصار الطلاب من مختلف أقطار العالم الإسلامي يطمحون بالهجرة إلى النجف وإكمال دراستهم العالية فيها، وكان من أسباب هذا الازدهار استتاب الصلح بين الدولتين العثمانية والفارسية، فشدّ الكثير من طلاب العلوم

---

١ – محمد مهدي، المصدر السابق، ص١٢١.

٢ – فيلاء عز الدين، العالم العربي، ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون، دار احياء الكتب العربية، القاهرة بلا تاريخ، ص١١١.

٣ – محمد مهدي، المصدر السابق، ص٤.

٤ – محمد مهدي، المصدر السابق، ص١٢١.

رحالهم إلى النجف، فكان فيهم التركي والهندي والإيراني والتبتي والأفغاني ومن أهل البحرين واللبناني والإحسائي[1].

وفي أواخر القرن التاسع عشر شهدت النجف بداية قوية لحركة علمية وأدبية مزدهرة كان للأسر العلمية في المدينة دور كبير في تشجيع حركة العلم والأدب والإصدارات[2]. وربما تكون أفكار رجال النهضة التي بدأت تصل النجف – وخاصة أن أبرز أعلامهم جمال الدين الأفغاني قد قضى وقتا ليس بالقصير للدراسة في النجف وبث الأفكار الإصلاحية[3] – قد ساعدت على هذه النهضة. والحقيقة أن هذه الأسر العلمية في النجف لعبت دورا فعالا في إحياء اللغة العربية والمحافظة عليها أمام سياسة التتريك التي اتبعها العثمانيون، وخاصة في مجالي التدريس والأعمال الحكومية[4].

فقد ظهر في النجف أيضا كثير من المكتبات، وكان هناك كثير من الرجال الذين كان لهم ولع بجمع الكتب، فمضوا يبذلون الجهد والمال في سبيل الحصول على الكتب والمخطوطات، وكان من نتيجة ذلك تأسيس تلك المكتبات التي احتوت على كتب نفيسة ونادرة[5]. وكانت بعض هذه الكتب النادرة تصل النجف على شكل هدايا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي تقديرا لمركز النجف الديني ووجود المرجعية فيها[6].

---

١ – علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جـ٣ مطبعة الشعب، بغداد١٩٧٢ص٧٩.

٢ – محمد جعفر محبوبة، المصدر السابق، ص٣، ٤، ٦.

٣ – التوحيد (مجلة) عدد خاص عن جمال الدين الافغاني، العدد (٨٩)السنة السادسة عشرة، ربيع الاول ١٤١٨ هـ، الموافق تموز ١٩٩٧، ص٢٢.

٤ – قصي سالم علوان، الشبيبي شاعرا، سلسلة الكتب الحديثة (٨٣)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص٣١.

٥ – علي الشرقي، الاحلام، ط١، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٣، ص٥٩.

٦ – ناجي وداعة الشويس، لمحات من تاريخ النجف الاشرف، جـ١، النجف، ١٩٧٣، ص٩٤.

وفضلاً عن ذلك، فإن وصول الصحف والمجلات من مصر وبلاد الشام وغيرها من البلدان ساهم في انتشار الأفكار الحديثة[1]. والتي يبدو أن مفكرين نجفيين قد تأثروا بها، فكانت الصحف التي ترد النجف من مصر مثل ((المؤيد)) و((اللواء)) و((الهلال)) وتتضمن سير المصلحين ومشاهير الشرق، فساهمت إلى حد كبير في إطلاع المثقفين على كثير من الحقائق التي أخفيت عن الناس مما خلق جواً فكرياً اتسم بالمناظرات والمجادلات[2].

أما الكتب المصرية، فقد حملت إلى العراق أفكاراً عصرية فأيقظت الشعور والإحساس وانتقلت عدوى التجديد إلى كثير من المثقفين، فبدأوا بالدعوات الإصلاحية مهدمين شيئاً من البنيان القديم[3].

وكان ذلك حافزاً قوياً لحركة النشر والتأليف، فظهرت الحاجة القوية إلى المطابع لطبع الكتب لما كان يرافق عملية الطباعة من صعوبات كبيرة، فقد كانت الكتب تطبع في مطابع بعيدة عن النجف، لذلك فقد جلبت المطابع إلى النجف، فكانت أول المطابع هي مطبعة ((حبل المتين)) التي جلبت من الهند سنة ١٩٠٧، وقد طبعت فيها كثير من الكتب والمجلات والجرائد حتى توقفت عن العمل بوقوع الحرب العالمية الأولى. وكانت المطبعة الثانية التي وردت النجف هي المطبعة العلوية سنة ١٩٠٨[4].

وفي ٢٩ آذار ١٩١٠ صدر العدد الأول من مجلة ((العلم)) التي أصدرها أحد رواد النهضة الحديثة هو السيد هبة الدين الشهرستاني(١٨٨٤-١٩٦٧م)، وقد بيّنت المجلة سبب صدورها ألا وهو خدمة الدين وحبا لانتشار المعارف

---

١ - مذكرات عبد الحميد زهدي (من المشاركين بأحداث ثورة العراقية ١٩٢٠)، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٧، ص٦.

٢ - علي الخاقاني، شعراء الغري (النجفيات)، جـ٨، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦، ص٨٥.

٣ - النجف (جريدة)، العدد٤٣، السنة الثانية، ٢٨ مايس١٩٢٦، مقال حول الحياة الفكرية في النجف.

٤ - محمد هادي الاميني، معجم المطبوعات النجفية، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦، ص٣٥.

وتنويرا للعقل والتربية لأبناء الوطن[1]، وتعد ((العلم)) أول مجلة عراقية تصدر باللغة العربية بعد إعلان الدستور العثماني[2].

وقد سادت النجف في مطلع القرن العشرين أجواء فكرية اتسمت بحرية نسبية والانفتاح على الأفكار التي جاءت مع الفكر الجديد لعصر النهضة حتى التي تتعارض مع الفكر الديني.ولعلّ أفضل دليل على ذلك انه عندما أريد إدخال كتب ((داروين)) التي ترجمها ((شبلي شميل))[3] إلى العراق خاطبت السلطات العثمانية علماء النجف تستشيرهم في ذلك، فعقد هؤلاء اجتماعا قرروا فيه وأفتوا بجواز إدخالها إلى العراق على أن يرد عليها وعلى ما جاء فيها ردا فكريا، وهو ما كان، فقد رد على نظرية داروين أحد علمائها وهو الشيخ محمد جواد البلاغي(١٨٦٠-١٩٣٢)[4]، وهو دليل على التطور الفكري الذي أخذ يتصاعد في تلك المرحلة ووصول المفكرين إلى درجات من الثقافة والرقي، فتمثل ذلك باحترامهم مختلف الأفكار والآراء"وعدم الانغلاق داخل أفكار بعينها، وهو ما جعلهم يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع في عيون العامة والخاصة[5].

---

١ - العلم (مجلة)، العدد الاول، المجلد الاول، ٢٩ مايو ١٩١٠، ص٣.

٢ - علاء الرهيمي، مجلة العلم النجفية، مركز دراسات الكوفة، مكتب المناهل، النجف الاشرف، ٢٠٠٠، ص٦.

٣ - من رواد النهضة الحديثة والمتأثرين بالنهضة الاوربية وبنظرية داروين وروج لها في البلاد العربية، وهو خريج المعهد الطبي التابع للكلية البروتستانتية في بيروت عام١٨٧١واكمل دراسته في باريس فاتصل بملامح الفكر الاوربي وهو من الداعين للنهضة على اساس الاخذ بالحضارة الاوربية. ينظر:مكي حبيب المؤمن، وعلي عجيل منهل، من طلائع يقظة الامة العربية، دار حرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص٩٩_١٠٢.

٤ - محمد رضا شمس الدين، حديث الجامعة النجفية تاريخ وتحليل، المطبعة العلمية، النجف، ١٩٥٣، ص٧٣.

٥ - ابو كلل، المصدر السابق، ص١٢.

وقد كانت للدراسة في مدارس النجف العلمية الدينية سمعة طيبة ومكانة مرموقة عند طلاب العلوم الدينية من المسلمين من مختلف الأنحاء، فعلى الرغم مما كانت تعانيه النجف مطلع القرن العشرين من ضعف العمران فيها وعدم توفر وسائل الرفاهية، فإن قوة الجذب للدراسة فيها لها تأثير طاغ على النفوس، وزوايا الدرس والمدارس لها سحر خاص، فسرعان ما يزول الضجر والملل والشعور بالعزلة والوحدة ويحل محلها الشعور بالراحة والانبهار بالعالم الجديد بعد الانهماك في الحياة العلمية والدراسية في هذه المدينة التي تبدو كالقرية الصغيرة والتي طبقت شهرتها الآفاق. وعندما يعود طالب العلم إلى بلده يتحدث عنها بحلاوة ولذة، وحتى عندما يتحدث عن المصاعب والجوع فبدلاً من التعبير عن ذلك بمرارة يتحدث عنها بسرور وحبور، فالطالب يختار الدراسة في النجف مفضلاً إياها على أماكن أخرى فيها وسائل الراحة والرفاهية، لقوة الدراسة وجديتها ووجود خيرة الأساتذة في مدارسها[1].

وهناك عامل آخر ساعد في وصول الكثير من الأفكار الحديثة إلى النجف وإطلاع النجفيين على حضارات متباينة من خلال تقليد دفن الموتى في النجف، إذ تقصد المدينة جماعات مختلفة في قومياتها وفي اللغة والتاريخ والنظرة الفلسفية إلى الحياة[2].

ويبدو أن إطلاع المثقفين على ثقافات متنوعة جعل الشخص النجفي واسع الأفق مطلعاً على ما يجري في العالم من أحداث، وهذا أسهم بدوره في تقديم فنون وآداب نجفية متميزة. ويمكن القول إنه قد ساد نوع من الحرية

---

١ – النجفي القوجاني، سياحة في الشرق، ط١، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص١٩٦ – ١٩٧.

٢ – النفيسي، المصدر السابق، ص٧٩.

الفكرية التي سمحت بالإطلاع على الاتجاهات الفكرية المختلفة والسائدة انذاك.

ولتحسس علماء الدين والطبقة المثقفة النجفية لأهمية تدريس العلوم الحديثة واللغات الأجنبية، فقد قام جماعة من الأهالي في مطلع القرن العشرين (في عام ١٩٠٩) بتأسيس هيئة علمية اشترك فيها علماء الدين وعدد من التجار، أخذت هذه الهيئة على عاتقها إنشاء مدارس تعنى بتدريس العلوم الحديثة واللغات الأجنبية كالفرنسية والانجليزية. وتجسد ذلك بتأسيس مدرستين على النمط الحديث هما المدرسة ((العلوية)) والمدرسة ((المرتضوية))، وقد لعبت هاتان المدرستان دورا هاما في حركة التجديد ونشر الأفكار الحديثة، فقد كانت تعقد فيهما الاجتماعات الثقافية والسياسية ويتم مناقشة مختلف القضايا، ويتم كذلك قراءة الصحف والمجلات العربية في أندية هاتين المدرستين[١].

وهكذا، فالنجف كما يقول عنها الشيخ كاشف الغطاء: ((هي تلك الدايرة التي جعلت مركزها باب مدينة العلم فاستسقت من ينبوعه واستمدت من روحانيته وحلقت في سماء المعارف الدينية والأخلاقية والأدبية حتى بلغت ما شاءت هي وما شاءت لها العناية))[٢].

الحياة الاقتصادية:

كان لمرقد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) دور رئيس في تمتع النجف بوضع اقتصادي جيد قياسا ببقية مدن العراق الأخرى، خاصة إذا

---

١ – حسن الاسدي، ثورة النجف، دار الحرية، بغداد ١٩٧٧، ص٧٩.

٢ – جعفر الخلي، سحر بابل وسجع البلابل، تعليق وتصحيح محمد حسين كاشف الغطاء، النجفي، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١، ص٧.

علمنا أن النجف فقيرة بالموارد المائية التي قد تعينها على الزراعة والتي كانت شبه معدومة في النجف[1]. ولذلك وبسبب مركزها الديني ووجود العتبات المقدسة فقد كان يتوافد عليها على مدار السنة الزائرون من المدن العراقية والعالم الإسلامي[2].

ولوقوع النجف قرب الصحراء الغربية[3]، فقد أصبحت سوقا مهما تتسوق منها القوافل العربية التي تأتي إليها من الصحراء، وفي الوقت نفسه تبيع هذه القوافل ما تحمله من بضائع وسلع ونقود ذهبية، وتأخذ بدلا عنها ما تحتاجه من الرز والقماش والملابس الصوفية والوبرية والخيام، وهي سلع كانت توفرها النجف إما عن طريق انتاجها بداخل المدينة أو يجلبها تجار نجفيون من مناطق أخرى، وخاصة المنتجات الزراعية والصناعية التي تنتجها منطقة الفرات الأوسط، فتقوم النجف بدور الموزع الرئيسي لهذه السلع إلى مختلف الأسواق[4].

وقد أصبحت النجف في القرن التاسع عشر مركز الصلة التجارية بين نجد والعراق، كما أصبحت مقرا لحياكة العبي الصوفية والأواني النحاسية وصياغة الذهب والفضة.

وبسبب ازدياد الساكنين في المدينة توسعت النجف وضمت مختلف الطبقات من الناس بين ربوعها، فإنها خرجت من كونها مدينة دينية صرفة إلى مدينة صناعية تجارية غنية[5]، فكان هذا المركز التجاري المهم الذي

---

١ – النجفي، القوجاني، المصدر السابق، ص١٩٥.

٢ – حسن الاسدي، المصدر السابق، ص١٣٥.

٣ – عبد الهادي الفضلي، المصدر السابق، ص١٢.

٤ – النقيبي، المصدر السابق، ص٧٥.

٥ – النجف (جريدة)، العدد(٤٥)، السنة الثانية، في ١١ حزيران ١٩٢٦.

حصلت عليه النجف سببا في ظهور الكثير من الأسر التي امتهنت التجارة والأعمال المالية[1].

وبسبب ثراء النجف والانتعاش الاقتصادي الذي عاشته أصبحت مرمى لأطماع القبائل المحيطة بها، فتعرضت لغزوات وعمليات نهب وسلب، ولكنها مع ذلك لم تفقد حيويتها ونشاطها واستمرت في توسعة نشاطها الاقتصادي[2].

ولعلّ تعرّض النجف للغزوات المستمرة كان سببا وراء تشكيل قوة مقاتلة من الشباب المغامر تصدى لمهمة الدفاع عن المدينة بوجه الغزوات والهجمات التي تعرضت لها[3].

ثم إن تجار النجف لم تقتصر تجارتهم على بضاعة بعينها، والواضح أنهم نتيجة إطلاعهم على أحوال المتعاملين معهم عرفوا ما تحتاجه الأسواق والعشائر المحيطة بهم، فأصبح هناك تجار مختصون بتجارة السلاح وكانت لهم سوق رائجة تتوفر فيه البنادق البريطانية والألمانية، فتكاملت التجارة فيها

---

١ – حسن الاسدي، المصدر السابق، ص١٥.

٢ – محمد هادي الاميني، المصدر السابق، ص٣٢.

٣ – المقصود هنا جماعتي (الشمرت والزكرت) وهما الجماعتان العسكريتان النجفيتان، المجموعة الاولى اطلقت عليها كلمة (الزقرت) نسبة إلى مجموعة من الشبان النجفيين الذين كانوا يتصيدون الطيور خارج المدينة (والزقر) تعني (الصقر) وقد اطلق على هؤلاء للدلالة على انهم لا يمتلكون الا سلاحهم فيكونوا خفيفي المؤنة. (والشمرت) اطلقت على المجموعة الثانية من الشباب المنافسة مع المجموعة الاولى والشمرت مأخوذة من (الشمردل) التي تعني الفتي الصغير من الابل واطلقت على هؤلاء دلالة على قوتهم وسرعتهم. واعتبر العقدان الاول والثاني من القرن العشرين نشاط سياسي كبير للنجف، فقد ادت في هذه الفترة دورا في توجيه السياسة في العراق وفي مناطق اخرى – عبي كاشف الغطاء، سعد صالح في مواقفه الوطنية ١٩٢٠ – ١٩٥٠، مطبعة الزايد، بغداد، ١٩٨٩، ص٤٨.

ووصلت قمة ازدهارها خلال فترة الحكم المحلي للمدينة الذي استمر ١٩١٥- ١٩١٧، إذ فتح الطريق مع البصرة أمام تجار النجف الذين كانوا يصدرون الحبوب إلى هناك ويعودون منها ببضائع متنوعة من صنع الهند وبريطانيا، فتوجه تجار بغداد وغيرهم إلى النجف للحصول على البضائع فكان لذلك مردود مالي كبير لصالح المدينة [١].

١ - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٩١٤ - ١٩١٨، جـ٤، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤، ص ٢٤٤.

الفصل الأول

حياة الشيخ محمد حسين كا شف الغطاء

أولا: آل كاشف الغطاء

ثانيا: ولادته ونسبه وشخصيته واختلاف الناس فيه

ثالثا : تعليمه وثقافته

رابعا: رحلاته وسفراته

خامسا: كتبه ومؤلفاته

سادسا : علاقته بالمستبدة والمشروطة

سابعا: وفاته

حياة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

أولا :- آل كاشف الغطاء

أسرة عربية صميمة وعريقة في الشرف[1]، ترجع إلى قبيلة بني مالك من قبائل العراق المعروفة بآل ((علي))، وينتهي نسبهم إلى ((مالك بن الحارث الأشتر)) من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)[2].

وهاجر جدّ الأسرة الأعلى الشيخ خضر إلى النجف الأشرف في عام ١٧١٦م من بلدة ((جناجة)) الواقعة جنوب الحلة[3]، ويقال لها قديما ((قناقية)). وفي النجف اشتغل الشيخ ((خضر)) بتحصيل العلم حتى عدّ من الرعيل الأول من زعماء الدين في عصره، حيث عرف بالصلاح والتقوى، فكان العلماء والصلحاء يتزاحمون على الصلاة خلفه. وقد أسّس هذا الشيخ هذه الأسرة في النجف وقام أولاده بالزعامة والرئاسة للمرجعية العلمية، واشتهر صيتهم في الشرق ونبغ منهم من يعد من العظماء[4].

وقد أطلق على الأسرة اسم ((كاشف الغطاء)) نسبة إلى كتاب عالم ديني

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العبقرية في الطبقات الجعفرية، ط١، تحقيق حودت القزويني، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨، ص١٢.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ط١، جمع وتحقيق محمد علي القاضي، مطبعة شركة جاب - تبريز، ١٣٨٥، ص ١٥.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العبقرية، ص١٣.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص١٦.

من الأسرة هو الشيخ جعفر (١٧٣٦-١٨٠٨) المسمّى «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء»، وهو كتاب في الفقه والأحكام صدر في عام ١٧٩٠م[١].

ويقول عنهم محمد جعفر محبوبة: «إن هذه الدوحة الجعفرية اليانعة والنبعة العلمية المثمرة لم يزل العلم والإرشاد ضاربا فيهم رواقه وممدا عليهم سرادقه ما يقرب من قرنيين»[٢].

وكتب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء كتابه «العبقات العنبرية» في نسب أسرته ومناقبها والأدوار التي اضطلعت فيها على مدى تاريخها، وهو في مجال تقديره لحفظ الأنساب، يقول: «إن شرف العرب بين سائر البرية من البديهيات الأولية، ولا شك فيه ولا شبهة تعتريه، وسبب سيادتهم وشرفهم زيادة على كون الثقلين العظيمين منهم وهي الفصاحة والبلاغة أولا، وحفظ أنسابهم وأحسابهم ثانيا والمحافظة على الوفاء ثالثا»[٣].

وقد كان لآل كاشف الغطاء دور كبير في خدمة الأدب العراقي الحديث من خلال ما قدمته من أدباء وحفظها لكثير من المخطوطات الثمينة[٤].

وارتبط تاريخ «آل كاشف الغطاء» بتاريخ النجف زهاء قرن من الزمان (القرن التاسع عشر)، وقد نبغ منها الكثير من الأفراد الذين كان لهم دور مهم وإيجابي في المحاولات العلمية والسياسية والاجتماعية حتى ذاع صيتها في العراق والمشرق[٥].

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية، ص٥٥.

٢ - محمد جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ط١ جـ٣، المطبعة العلمية النجف١٩٥٥، ص١٨٣.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية، ص١٥.

٤ - محمد مهدي البصير، نهضة العراق الادبية في القرن الثالث عشر للهجرة، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٠.

٥ - ناجي وداعة النفيس، المصدر السابق، ص٢١٤.

ثانيا : ولادته ونسبه وشخصيته واختلاف الناس فيه

أ- ولادته ونسبه :

ولد الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي[1] بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر (صاحب كتاب كاشف الغطاء)[2] في النجف الأشرف عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٦م[3]، في أسرة عرفت بالتقوى والصلاح[4]، ذات توجه علمي ديني[5]، وقد قدمت كثيرا من العلماء والفقهاء والمجتهدين الدينيين[6]، وأرّخ شعرا ولادة الشيخ (حسب التقليد المتبع في تاريخ الأحداث والمناسبات المفرحة والمحزنة) الشاعر ((موسى الطالقاني)) بقوله[7]:

---

١ – رجل دين جليل وأديب كان عاشقا للكتب ولاجله فقد ضاف كثير من البلدان الاسلامية بحثا عن المخطوطات واقتناء النفيس من الكتب. وله مخطوط بالانساب . خصوص المتبعة. توفي سنة ١٩٣٦. علي الشرقي، الاحلام، ط١، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٣، ص٧٠

٢ – محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، تعليق محمد حسن حرز الدين، جـ٢، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٩٦٤، ص٢٧٢، محمد هادي اميني، معجم رجال الفكر في النجف خلال الف عام، مطبعة الاداب، النجف، بلا تاريخ، ص٣٦٥ ، حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، جـ١، ط١، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥، ص١٨١

٣ – علي خاقاني، شعراء الغري، جـ١٠، ص٩٩، محمد حسين كاشف الغطاء، جمة المأوى، ص١٢.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية، ص١٥.

٥ – محمد جعفر محبوبة، المصدر السابق، ص١٨٣.

٦ – منير بكر التكريتي، اساليب المقالة في الادب العراقي الحديث والصحافة العراقية، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٦، ص٢٦١.

٧ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ص٩٩.

سـرور خص أهل الغـري فعم المغـارب والمشرقين
بمولد من فيه تـم الهنـا وقرت بـرويته كل عين
وقد بشـر الشرع منذ أرخـوا (سنتلي وسايـده للحسين)

ونشأ المولود في حجر والده الشيخ علي الذي تولى تعليمه[1]، وكان والده معروفاً بعلمه، وكان العلماء يتزاحمون لحضور دروسه والنهل من أدبه. وفي تلك البيئة النجفية نشأ الفتى منذ نعومة أظفاره على المطالعة والدرس[2].

وكان يقضي أكثر ساعات يومه بالقراءة والإطلاع على العلوم، ويقول الشيخ عن بدايته: ((إني منذ عرفت ليلي ونهاري وميّزت بين خشونة رأسي وأظفاري لم أصب ولم أتعلق إلا بمدارسة الكتب ومزاولة العلم والتعلم واللصوق بأهل الفضائل والمثول بين يدي الأكابر والأماثل، اقتباساً من فوائدهم وتطفلاً على موائدهم))[3].

وفي هذا الوسط العلمي والجو المليء بالنبوغ والتطلع إلى المجد والسؤدد نشأ الشيخ وترعرع، وكان طموحه لا يتوقف عند حد لا يرى في الوصول إلى غايته وأهدافه العالية (حتى لو صعد القمة وبلغ الكواكب)[4]. حتى غدا عالماً أصولياً فقيهاً وكاتباً لا يدانيه أحد في عصره بقلمه وخطاباته ومجالسه، وكان لحديثه تأثير قوي على المتكلمين وممثلي السياسة[5].

وقال عنه المؤرخ النجفي الشيخ محمد جعفر محبوبة:((هو عميد الطائفة

---

١ – علي الخاقاني، شعراء الغري، جـ ١٠، ص١٠٠.

٢ – منير بكر الكربلي، المصدر السابق، ص٢٦٢.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام او الدعوة الاسلامية، جـ١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ، ص٢٠.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، ط٨، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٥، ص٧.

٥ – محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص٢٧٣.

وزعيمها وعلم من أعلامها وناصرها منبع العلوم والآداب))[1].

وهكذا نشأ الشيخ في بيت قلّ من توفرت لهم مثل هذه البيئة، حيث الأسرة العريقة والبيت المشهور بحبه للعلم والثقافة[2].

ب- شخصيته واختلاف الناس فيه:

كان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رجلا طويل القامة أسود اللحية[3] أسمر اللون رقيق الشفتين مستطيل الوجه واسع الجبهة، وكانت عيناه واسعتين براقتين ذات نظرات حادة[4]، تدل ملامحه على شخص كثير الثقة بنفسه وكثير الاطمئنان من مقدرته (ثقة واطمئنانا خالصين)، بعيدا عن الغرور والعجرفة[5] بأخلاق عالية، وقد عرف بابتعاده عن الصغائر والتوافه من الأمور، ولمس ذلك الناس والأفراد الذين أساءوا إليه، فحين يلتقون به لا يجدون في نفسه شيئا مما حدث له منهم سابقا[6]، لأنه كان مجردا من العقد النفسية والنزعات المكبوتة، ولذلك لم يكن يحمل ضغينة أو حقدا على أحد، بل كان سريع العفو عن الذين أساءوا إليه[7].

ولم يكن يعير اهتماما لمن يبتعد عنه ولا يرى للوحدة خطورة أو وحشة، فلم يقترب الشيخ من شخص لا يراه كفوءا للمسالمة[8].

---

١ - ماضي النجف وحاضرها، جـ٣، ص١٨٣.

٢ - علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١٠١.

٣ - جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج٢، دار المعارف، بغداد بلا تاريخ، ص٢٧٧.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، دار البلاغ، بيروت، ١٩٨٨، ص١٠

٥ - جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٧٧.

٦ - محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤١.

٧ - علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١٠١.

٨ - علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١١٨.

وكان يرى أن النجاح والتفوق في الحياة لا يتم ((بالحيلة)) و((المؤامرات والخداع))، بل يكون النجاح بالعمل الجاد والانغمار فيه، والهدف الرئيسي من عمل الإنسان وكدحه يجب أن يكون مستهدفا خدمة المجتمع الذي يعيش فيه، فعلى الفرد تبعا لذلك أن يكون لديه حس بتكران الذات لأن المعرقل الأكبر عن النجاح والسعادة كثرة تفكيره واهتمامه بذاته، ولهذا فقد اندفع الشيخ في عمله وهو يضع نصب عينيه خدمة المجتمع، ومع ذلك فإن الشيخ كان يرى أن كثيرا من الناس لا يفهمونه ولا يقدرونه القدر اللائق[1].

وهذه الثقة بنفسه جعلته موضع إعجاب الكثير من الكتاب والفقهاء في البلاد العربية والإسلامية[2]، الذين وجدوا فيه فقيها حرا يبني أفكاره وأحكامه على المنطق والدليل العقلي[3]، ويجمع بين الأدب والسياسة والاجتماع. وهي صفات قلّما نجدها بين رجال الدين، فقد ترددت على لسانه نغمات الحرية والوطنية والشعب والاستقلال والوزراء وأعمالهم[4]، فضلا عن ذلك فقد كان كاشف الغطاء يتمتع بقدرة قوية على الاعتراف بالرأي الآخر وإعطائه حق التعبير والانطلاق دون تصلب في رأيه وقمع الرأي المغاير، حتى وصل الأمر بالشيخ إلى التراجع عن رأيه أكثر من مرة عندما يراه خاطئا، أو كان هناك رأي يفوق رأيه صوابا وتطورا[5]، على الرغم من أن الشيخ وصل في نهاية العشرينات إلى أعلى المراتب الدينية بوصوله إلى مرتبة المرجع الديني الكبير (١٩٢٧ حتى وفاته)[6].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، حلة المأوى، ص٤٢.

٢ – منير بكر التكريتي، أدباء صحفيون، ط١، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م، ص٨٣.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، حلة المأوى، ص٢٦.

٤ – منير بكر التكريتي، فن المقالة، ص٣٨٩.

٥ – جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٤٤.

٦ – محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص٣٧٥.

لكن هذا لم يمنع من تغيير رأيه مادام هناك الأفضل وهو ناتج عن جرأته، فقد كان لا يهاب أحدا ولا يحترم قوة مهما كانت إذا ما حادت عن طريق الحق والمنطق[1].

وقد كان الشيخ كاشف الغطاء رجلا يتصف بمواصفات الرجل الجاد الذي يعمل بنشاط وحماس في كل موقف يرى فيه مصلحة للإسلام والمسلمين[2].

أما في عمله اليومي، فقد كان قوي العزيمة نشيطا يقضي القسم الأكبر من ساعات اليوم في دوامة العمل، فهو يستيقظ فجرا ويؤدي صلاة الصبح ثم يبدأ بالقراءة والكتابة، وعند طلوع الشمس يتناول طعام الفطور ثم يعود إلى المطالعة والكتابة، ويستمر في ذلك حتى وقت الضحى حيثما يخرج إلى مدرسته في مكتبه الخاص، ويبدأ بمقابلة الناس والوافدين إليه وذوي المصالح ويفصل في كثير من القضايا بين المتخاصمين، وعند الظهر يعود إلى البيت بعد أن يكون قد صلى صلاة الظهر في ((الحرم العلوي))[3]، فيتناول طعام الغداء وينام بعدها ساعة أو أقل نوم القيلولة، وبعد استيقاظه يعود للكتابة والمطالعة وقراءة الرسائل الواردة إليه من مختلف أنحاء العالم، ويكتب الأجوبة عليها ويستمر في عمله هذا إلى قبيل آذان المغرب بقليل، فيتوجه إلى الصحن الحيدري وهناك يؤم المصلين لأداء الصلاة جماعة، وبعد أداء الصلاة يتوجه للقاء تلامذته ويلقي دروسه عليهم في الفقه والأصول وهو جالس على المنبر وطلابه جالسين على الأرض، ويستمر درسه ساعتين، وبعد الانتهاء يعود إلى بيته أو يقوم بزيارات إلى بعض العلماء أو الوجهاء

---

١ – جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٤٥.

٢ – العرفان (مجلة) الجزء (٩)، المجلد (٣٦)، صيدا، ايلول ١٩٤٩م، ص٩٥٩ – ٩٦٠.

٣ – أي: صحن الروضة الحيدرية الشريفة.

في النجف، أو يستقبل القادمين إليها من خارج النجف. وعندما يعود إلى بيته يجلس مع أهله مدة قليلة متناولا طعام العشاء عائدا بعد الانتهاء منه إلى المطالعة والكتابة. وقبل منتصف الليل بساعة يأوي إلى النوم[1].

والواقع أن الشيخ يتلقى يوميا بين خمسين أو ستين رسالة وقد يتجاوز المعدل في بعض الأحيان المائة تأتيه من مختلف أنحاء العالم[2].

ويظهر من خلال العمل اليومي للشيخ كاشف الغطاء مدى قوة الإرادة والجدية التي يتمتع بها فضلا عن حبه الشديد للعلم والإطلاع وقدرته على تحمل مثل هذه الأعباء يوميا.

ولم تقتصر علاقات الشيخ واتصالاته بشخصيات إسلامية، بل كانت له علاقات قوية مع غير المسلمين ومن المسيحيين بالخصوص، ومن مختلف أنحاء العالم وخاصة الأدباء والمفكرين، فقد كانت تأتيه الرسائل والاستفتاءات من رجال ينتمون إلى مختلف المذاهب والأديان، ومنها ما كان يرده من رجال الفكر والأدب المسيحيين المقيمين في لبنان والمهاجرين منهم[3]، وهو بذلك يكون قد سلك غير مسلك مراجع التقليد على الرغم من أنه تمتع بالزعامة الدينية وصار مرجعا للتقليد، وقد انتشر مقلدوه في العراق وسواحل الخليج العربي والقطيف وإيران والهند والصين والتبت والأمريكيتين[4].

ومع ذلك فقد كان الشيخ كاشف الغطاء اقل تقيدا بالتقاليد من العلماء الروحانيين الآخرين، وأقل اهتماما بالرأي العام وأكثر العلماء جراة[5] في

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء. جنة المأوى. ص٤٦.

٢ – جعفر خليلي. المصدر السابق. ص٢٤٣.

٣ – المصدر نفسه. ص٢٤٤.

٤ – محمد حرز الدين. المصدر السابق. ص٢٧٢.

٥ – جعفر الخليلي. المصدر السابق. ص٢٣٠.

فتاواه وتصرفاته، فقد أفتى بصحة الزواج بالعقد الدائم من غير المسلمات[1]. وهو بذلك يكون قد تجرأ بفتواه تلك على أحكام سائدة، ويرى أن رجل الدين المجتهد يجب أن لا يكون جامدا في مجال الفتاوى حتى تكون ملائمة لروح العصر وبعيدة عن التقليد.

وقد تأكدت جرأة الشيخ أكثر أثناء زيارة المفكر اللبناني أمين الريحاني[2] للعراق في سنة ١٩٢٢[3]، إذ كانت للشيخ مراسلات سابقة مع الريحاني، وعندما زار النجف قابل الشيخ في بيته وحينها قال للشيخ كلمته المشهورة: ((إنك خلقت لتكون مصلحا اجتماعيا لا رجل دين، فإن الدين قد أفسدك علينا))[4].

وتحرك بعض ممن يناصبون الشيخ العداء ويرون في بروزه وصعوده منافسا خطيرا لهم، أخذوا في تأليب الناس ضده وفي بث الأخبار المضخمة عنه[5]، مستغلين نظرة أكثر الناس إلى الريحاني باعتباره ((ملحدا)) أو ((عميلا)) لبريطانيا، وهو ما أثار حفيظة رجال الدين المحافظين محركين وراءهم جمهورا واسعا بعد أن رؤوا في الشيخ كاشف الغطاء مرجعا دينيا من طراز جديد لم يعهدوه سابقا[6].

---

١ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١١٥.

٢ – أمين الريحاني، مفكر لبناني ولد بالفريكة سنة (١٨٧٦م) وتجول في مناطق عديدة من العالم وهاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية وله مؤلفات بالاصلاح الاجتماعي والسياسة. ويعد من ابرز كتاب الرحلة في الادب العربي المعاصر وكتب باللغتين العربية والإنجليزية ــ محمد علي موسى، أمين الريحاني، سلسلة اعلام الفكر العربي (١٣)، منشورات دار الشرق جديد – بيروت، بلا تاريخ، ص١٣ – ١٥.

٣ – رؤوف الواعظ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، وزارة الاعلام – بغداد، ١٩٧٤م، ص١٤٧.

٤ – جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٣٠.

٥ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١١٣.

٦ – جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٣١.

وليس جرأته وحدها من حركت الكثيرين ضده، بل إن النجاح الذي حققه في المجالات العلمية والأدبية واتساع شهرته وتصاعدها في النجف وغيرها من مدن العالم الإسلامي وإصداره مجموعة من المؤلفات التي نالت رواجا، مما أثارت روح البغض والحسد عند بعض رجال الدين فأخذوا يبث الدعايات المضادة للحط من مكانته وتشويه سمعته [1].

وكان هناك عامل اخر ساعد على انتشار الدعايات المضادة للشيخ والتقليل من أهميته وتخلى الكثير من الطلبة وابتعادهم عنه واتجاههم إلى صوب أخر. وهذا العامل هو الحرص وقلة ما يعطيه كاشف الغطاء من مرتب شهري للطالب الذي يدرس عنده وكان هذا العامل فضلا عن الدعايات المضادة التي انطلقت ضده فعالا في ترجيح كفة السيد ((أبو الحسن الموسوي))[2] في ميدان الوصول إلى زعامة المرجعية الدينية التي الت في النهاية للسيد المذكور[3] بعد جهود حثيثة بذلها أنصار هذا المرجع الديني للتقليل من علمية الشيخ كاشف الغطاء، على الرغم مما يتمتع به من قدرات علمية وفقهية وأدبية عالية[4] تفوق قدرات منافسه[5].

لكن الشيخ كاشف الغطاء رغم تقديره الواضح لأهمية ((المال)) في تحقيق السيادة والوصول إلى الزعامة، إلا أنه يرى أن الذين يتبعون الزعيم

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٣.

٢ – ابو الحسن الموسوي: ١٨٦٧م – ١٩٤٦م، هو المرجع الديني المجدد كان من العلماء الذين افتوا بحرمة الانتخابات النيابية سنة ١٩٢٢ تحت ظل الانتداب البريطاني على العراق له عدة مولفات في الفقه وكان سخياً مع طلاب العلوم الدينية: باقر أمين الورد، اعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩م – ١٩٦٩م، مراجعة ناجي معروف، ط١، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٨م، ص٩٩.

٣ _ محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص٢٧٢.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٢.

٥ – جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٥٢.

الديني لأجل المال، وخاصة من طلاب العلم، ما هم إلا أشخاص بعيدون عن الاستقامة، وهم ليسوا في موضع الثقة، لأن هؤلاء قد جعلوا من المال غاية لا وسيلة، فهم بعيدون عن منطق الأخلاق[1].

وعلى الرغم مما أثير حول كاشف الغطاء من انتقادات وتقولات، فقد كان هناك كثير من الأشخاص الذين يؤمنون برسالته ويدافعون عنه[2]. لكن هناك من رأى أن الشيخ أولى مسألة التأليف والبحث أهمية أكثر من أهمية التقليد والمرجعية لأن التأليف أنفع وأفضل[3]. وهو تبرير مفهوم اذا ما علمنا أن مؤلفاته قد تجاوزت ((التسعين)) مؤلفا بين مطبوع ومخطوط. وهناك كثير من المفقودات فضلا عن مقالات سياسية وأدبية نشرت في صحف ومجلات مختلفة[4].

ومع ذلك كله، فإن الشيخ كاشف الغطاء لم يرضخ لما حاكه خصومه له، بل وقف صلبا واستمر في الطريق الذي أراده لنفسه رافضا كل الصيغ التقليدية والجمود مخاطباً العقول المستنيرة[5]. فقد كان مؤمنا بأن عليه واجب الإصلاح والإرشاد والاستمرار في هذا الدرب على الرغم من العثرات والصعوبات.

ولأن الشيخ كان يرى في نفسه مصلحا، فلابد له من احتمال كثير من الصعوبات، والعمل بجدية وجلد دون التواء أو توقف وتخلٍ عن الهدف بأي حال من الأحوال لأغراض دنيوية أو شخصية، فالمصلح يجب أن يكون ذا

---

١ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١١٥.

٢ – جعفر الخليلي، المصدر السابق، ص٢٣١.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٠.

٤ – مقابلة شخصية أجراها الباحث مع ابن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الشيخ شريف في مكتبته بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٥.

٥ – منير التكريتي، فن المقالة، ص ٣٦٩.

حمية على الدين، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والمصلح يحتاج إلى الشجاعة والصلابة والصرامة الدينية[1].

ثالثا : تعليمه وثقافته

قبل الخوض في تعليم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في المدارس الدينية، لابد من معرفة مراحل الدراسة في هذه المدارس وطرقها.

تقسم المراحل الدراسية في جامعة النجف الدينية إلى ثلاث مراحل، مع العلم أنه ليس هناك فترة زمنية معينة لكل مرحلة، بل هي حرة ومفتوحة تعتمد على قدرات الطالب في إنجاز مدة دراسته مع تمتعه بالحرية في اختيار الأساتذة الذين يدرس عندهم[2].

المرحلة الأولى: الدراسات التمهيدية، وهي ما تسمّى ((بمرحلة المقدمات))، وهي الدروس الأولية للجامعة النجفية، كالنحو والصرف والبلاغة والمنطق كما تدرس في هذه المرحلة بعض المتون الفقهية غير الاستدلالية ((كتبصرة المتعلمين، وشرائع الإسلام))، وهذه المرحلة تمهد للمرحلة الثانية[3].

المرحلة الثانية: ((مرحلة السطوح))، ويدرس الطالب في هذه المرحلة الكتب الاستدلالية والفقهية والأصولية، ويدرس كذلك الفلسفة الإلهية وعلم الكلام[4].

المرحلة الثالثة: ((مرحلة البحث الخارجي))، وهي ما توازي الدراسات

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٠٤.

٢ – عبد الهادي الفضلي، المصدر السابق، ص٦٠.

٣ – جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة ــ قسم النجف، جـ٢، ط١، دار التعارف، بغداد، بلا تاريخ، ص٩٢.

٤ – عبد الهادي الفضلي، المصدر السابق، ص٦٤.

العليا، وفي هذه المرحلة يحضر الطالب دروس أعلام المجتهدين في الفقه والأصول، ويشارك الطالب في هذه المرحلة أستاذه في المناقشة والحوار وله الحرية في إعطاء الرأي[1].

آ ـ تعليمه وأساتذته:

اتجه الشيخ، كأمثاله من آل كاشف الغطاء، لدراسة العلوم الدينية بعد أن بلغ السنة العاشرة من عمره وبعد تعليم أولي تلقاه من والده[2] فأخذ بدراسة مقدمات العلوم من نحو وصرف ومنطق وأصول دين، فأظهر مقدرة عالية في التعلم والاستيعاب والإبداع[3]، واتجه إلى دراسة العلوم التي هجر دراستها كثير من الطلبة العرب كالحساب والهيئة والفلك والفلسفة وعلم الكلام[4]، ثم انتقل إلى مرحلة السطوح فدرس الفقه وأصوله فاستطاع أن يتم دراسة السطوح وهو شاب[5].

ولم ينطو العقد الثاني من حياة كاشف الغطاء إلا وقد دخل في طلب دائم وحركة قوية في دراسة علوم الحكمة والفلسفة والكلام عند أساتذتها وكبار مدرسيها في جامعة النجف[6]، فدرس عند الشيخ محمد باقر الأصفهاني والشيخ أحمد الشيرازي والشيخ علي النجفي. ودرس علم الحديث

---

١ – جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ص٩٣.

٢ – منير بكر التكريتي، في المقالة، ص٢٦٤.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص١٨.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٢٤.

٥ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ص١٠٠.

٦ – محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية، ص١٤.

عند المحدث النوري وعند الشيخ علي الخاقاني[1]. وقد كان الشيخ متلهفا وعاشقا للانتهال من العلوم حبا بالعلم والمعرفة وهو يقول عن ذلك: ((أنا لا ادعي الكمال فهو لله وحده، ولكني أقول: أنا أكمل من غيري مما شاهدت لأني طلبت العلم للعلم لا للزعامة، وطلبه غيري للزعامة وبذلك ضعفت طاقته العلمية لأنه خلط بتفكيره الإيجابي أمرا سلبيا))[2]. وبسبب هذا الحب القوي للعلم فقد صرف أكثر ساعات يومه بعيدا عن ملذات الحياة ورفاهيتها مشغولا بطلب العلم شغوفا به. وكان في كل مرحلة يزداد عطشا للانتهال والاشتغال بالمعارف، وهو يصف ذلك قائلا: ((كنت أشرب ولا ارتوي فصرت أرتوي ولا أشرب))[3]، فكان هذا العطش الملتهب دافعا قويا للتوسع فاتجه لدراسة الفلسفة الإلهية والحكمة المتعالية، فدرس فلسفة صدر الدين الشيرازي في مختصراته كـ ((المشاعر والعرشية وشرح الهداية))، وفي مطولاته كـ ((الأسفار، وشرح أصول الكافي))، ودرس مثنويات جلال الدين الرومي والجامي والتبريزي وغيرهم وكان يجد في ذلك لذة وراحة[4].

وهذا لم يوقفه عن دراسة العلوم الفقهية والأصولية، فقد حضر دروس الفقيه الشيخ رضا الهمداني والمحقق الأصولي محمد الاصفهاني والفقيه ميرزا محمد[5].

وقد كان في ذلك ممهدا له للدخول للدراسة العليا في مدارس النجف الدينية، وهي مرحلة ((البحث الخارجي))، فدرس الأصول عند الشيخ محمد

---

١ - محمد حرزالدين، المصدر السابق، ص٢٧٥.

٢ - علي الخاقاني، شعراء الغري، جـ ١٠، ص١٠٣.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية، ص١٥ - ١٦.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر نفسه، ص١٦.

٥ - محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص٢٧٦.

كاظم الاخوند[1]، إذ حضر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عنده عدة دورات في علم الأصول[2].

وفي مرحلة البحث الخارج أيضا درس عند السيد محمد كاظم الطباطبائي[3]، مع أخيه الشيخ أحمد كاشف الغطاء[4]، حيث درس على يد السيد الطباطبائي ((الفقه))، وقد أصبح الشيخ كاشف الغطاء من المقربين من السيد الطباطبائي وموضع ثقته، وأصبح بمثابة الساعد الأيمن له في كثير من المهمات التي أناب السيد الطباطبائي فيها وكان يرجع إليه في كثير من الأمور والمسائل[5]. وقد كان لهذه العلاقة القوية بين الشيخ وأستاذه تأثير كبير في شخصية الشيخ ومواقفه في عدد من الأحداث المهمة فيما بعد، حتى إن الطباطبائي كلفه ليكون ممثله في حملات الجهاد ضد البريطانيين في الحرب العالمية الأولى ١٩١٥[6].

وتتضح الصلة القوية مع الطباطبائي في الاحترام الكبير والذكر المتكرر للطباطبائي في كتب الشيخ، فقد كان يلقبه ((بالسيد الأستاذ))[7].

---

١ - الشيخ محمد كاظم الاخوند: المرجع الديني المشهور بمواقفه مع جماعة المشروطة، وفي مواقف اصلاحية اخرى وكانت له شهرة كبيرة من مؤلفه الشهير (شرح الكفاية) توفي عام ١٩١١. مجلة العلم، الجزء السابع من المجلد الثاني في ١٩١٠. ص٢٩٠.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العبرية، ص١٢.

٣ – محمد كاظم الطباطبائي (١٨٣١ _ ١٩١٩ م): كان فقيها ومرجعا دينيا معروفا بموقفه الحافظة واشهر مؤلفاته "العروة الوثقى". ينظر: محمد حرز الدين، المصدر السابق، ص٣٢٦.

٤ احمد كاشف الغطاء: ولد في النجف وهو عالم دين وفقيه مجتهد له عدة مولفات في الفقه والاصول توفي سنة ١٩٢٦. ينظر: محمد مهدي الموسوي، احسن توديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، جـ١، ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٨، ص٢٥٨ ــ٢٥٩.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص ٢٣ – ٢٤.

٦ – محمد حسين كاشف الغطاء، تعليقات على العروة الوثقى، المطبعة المرتضوية، النجف، بلا تاريخ، ص٢١٤.

٧ – محمد حسين كاشف الغطاء، تعليقات على العروة الوثقى، ص٢١٤

والواقع أن تأثر الشيخ كاشف الغطاء بأستاذه الطباطبائي ترتب عليه مواقف متناقضة ضمن مسيرة الشيخ. ويبدو أن موقفه من ثورة النجف ١٩١٨ كان بتأثير استمده الشيخ من موقف الطباطبائي منها. فقد وقف السيد الطباطبائي موقفا غير واضح من أحداث هذه الثورة[١]. وقد كان للشيخ موقف مشابه حيث اعتبرها أنها حدثت في ظروف غير ملائمة[٢]. ثم إن الطباطبائي قبل وفاته جعل الشيخ محمد حسين وأخاه الشيخ أحمد أوصيائه. وأشار بالمرجعية إلى الشيخ أحمد كاشف الغطاء الأخ الأكبر لمحمد حسين كاشف الغطاء[٣].

وكان الشيخ أحمد على نفس نسق الطباطبائي سلبيا اتجاه الأحداث السياسية وغير مبال للمواجهات، ولاسيما تلك التي تراق فيها الدماء[٤].

وقد كنّ محمد حسين كاشف الغطاء لأخيه الأكبر تقديرا كبيرا، وعدّه من أعظم مراجع الدين في زمانه[٥].

ونتيجة لما سبق، سنلاحظ فيما بعد أن محمد حسين كاشف الغطاء بعد وفاة أخيه عام ١٩٢٦ سيكون تدخله بالأمور السياسية أكثر بروزا ووضوحا.

ومن الدروس التي استفاد منها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هي الدروس التي حضرها في الجامع الأزهر أثناء زيارته لمصر عام ١٩١٢،

---

١ – عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، ط٥، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٨٣، ص٤٥ فما فوق.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مذكرات خطية حول اجتهاد محفوظة عند ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء، الورقة (٥).

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، تعليقات على العروة الوثقى، ص٢١٤.

٤ – محمد هادي الدفتر، رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية، مطبعة الغري، النجف، ١٩٤٧، ص٢٠٦.

٥ – احمد كاشف الغطاء، سفينة النجاة، تعليق محمد حسين كاشف الغطاء، مطبعة الغري، ١٣٦٤ هـ، ص١٣١.

فقد حضر دروس الشيخ محمد بخيت المطيعي أحد كبار العلماء في مصر ورئيس المحكمة الشرعية، وقد وصفه كاشف الغطاء بقوله: ((إنه في أكثر العلوم بحر مواج وسراج وهاج، شعلة ذكاء وفهم وإحاطة وحزم))[1].

ب ـ تلاميذه وتدريسه:

منذ وقت مبكر بدأ الشيخ كاشف الغطاء يلقي دروسا فقهية وعلمية على طلاب العلوم الدينية، ففي الوقت الذي كان فيه يتلقى علومه عند الكبار من علماء الدين كانت له حلقة دراسية يلتف حوله الكثير من الطلاب المتأثرين بأسلوبه وبطريقة تدريسه، وقد التزموا حلقته بعد أن رأوا فيه فقيها واسع الإطلاع ينطلق من ذوق عربي سليم، فضلا عن انه كان يمتاز عن غيره بأنه حر في آرائه ونظرياته، وهو ما كوّن له سمعة طيبة[2]، معتمدا في تدريسه على الحوار الحر الذي يرتكز على البرهان ويسانده العقل[3]. ولأنه كان حرا في التفكير فقد كان كثيرا ما يصطدم بآراء ونظريات أستاذه الطباطبائي[4]. وهذا دليل اجتهاده مع وجود أستاذه على قيد الحياة.

وكان يعطي دروسه في أماكن عدة، فهو يدرس مرة في المسجد الهندي في محلة الحويش، وفي الصحن الحيدري الشريف مرة أخرى ثم في مدرسته فيما بعد[5].

وقد تخرج على يد الشيخ كاشف الغطاء كثير من طلاب العلوم الدينية،

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، المطبعة العلوية، النجف، ١٣٤٥، ص٥.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٢٦.

٣ – علي الخاقاني، شعراء الغري، جـ ١٠، ص١٠.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٢٥.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٢٥.

الذين اصبح لهم اسم معروف وشهرة علمية كبيرة في العراق وبقية الأقطار ووصل بعضهم إلى مرتبة المرجعية المنفردة.

كذلك درس عند الشيخ كاشف الغطاء – وأصبح من معاونيه الرئيسيين في مدرسته وقريبا منه في كثير من القضايا – الشيخ باقر شريف القريشي الذي ولد في النجف سنة ١٩٢٦، وهو من الباحثين المعروفين المترجمة كتبه إلى عدة لغات في العالم، من أشهر مؤلفاته: نظام العمل في الإسلام ــ العمل وحقوق العامل في الإسلام ــ وحياة الإمام الحسين(عليه السلام)، وما زال حيا يرزق حتى كتابة هذه السطور ومستمرا في تأليفه وكتاباته[١].

وكان من تلامذته أيضا الشيخ محمد جعفر الكرباسي ولد عام ١٩٢٧ في النجف الأشرف، وهو باحث لغوي معروف، وكان عضوا في جمعية منتدى النشر وجمعية الرابطة الأدبية في النجف، وبرع في النحو العربي واللغة وكرس نفسه لدراسة التاريخ والفقه والمعاني، وألف عدة كتب مطبوعة منها تحقيق كتاب ((جوهر القاموس والمصادر)) للفيروزبادي، ونظرات في أخطاء المنشئين (ثلاث أجزاء مطبوع)، والمنتخب من كلام العرب، وإعراب القرآن في ٣٠ جزء[٢].

ج ـ ثقافته:

تمتع الشيخ كاشف الغطاء بثقافة متنوعة وإطلاعات واسعة، ويمكن الاستدلال على ذلك بالإطلاع على كتبه وما كتب عنه. والحقيقة أن عدة عوامل قد تشابكت وساعدت على هذا التنوع الثقافي، فمنذ بداياته جد الشيخ

١ – مقابلة شخصية اجراها الباحث مع الشيخ باقر شريف القريشي في مكتبته (مكتبة الامام الحسن العامة) في النجف بتاريخ ١٨/٥/٢٠٠١.

٢ – حميد المطبعي، المصدر السابق، ص١٨٤.

في طلب المعرفة والإطلاع على العلوم الدينية والفلسفية والأدبية والتاريخية[1]، مستفيدا أشد الفائدة من توفر المكتبة العامرة بأنواع الكتب والمخطوطات الفريدة والنادرة والتي دأب على جمعها والده الشيخ علي من خلال تجواله في العالم الإسلامي[2].

وقد استهوت الشيخ في بداية حياته دراسة الأديان والتعمق في عقائدها. وقد بذل مجهوداً كبيراً في هذا المجال[3]، يمكن ملاحظة نتائجه من خلال قراءة ما كتبه عن الأديان والعقائد، ففي رده على مجلة ((المشرق)) التي نشرت مقالاً عن ألوهية المسيح يلاحظ القارئ الحجج القوية والبراهين التي يقدمها الشيخ كاشف الغطاء[4]، ويمكن اعتبار ما كتبه عن ((البابية والبهائية)) بمثابة المرجع للدارس لهذه الفرقة، فهو يغطي فترة مهمة من تاريخ ظهورها وانتشارها مع ردود علمية لعقائدها وادعاءاتها[5].

وعندما رد الشيخ على الطبيعيين، فهو يرجع تاريخيا للفلاسفة الطبيعيين مقارنا إياهم مع الفلاسفة الذين يدعون للإيمان معرجا على ظهور ((الزنادقة))، وأصحاب الفكر الإلحادي في زمن الدول العربية الإسلامية، معتبرا الأفكار الإلحادية سببا مهما في دمار الدولة والمجتمع وبالتالي سقوطها[6].

وقد أقر الشيخ كثيراً من الأفكار والنظريات الحديثة، وأفكار النهضة

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العبرية، جـ١، ص١١.

٢ – ما زال لحد الساعة الكثير من المخطوطات والكتب النادرة التي تحويها هذه المكتبة والتي يسعى بها الباحثين في عملهم وهي ارث تركه الاجداد للاحفاد.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، التوضيح في بيان ما هو الانجيل وما هو المسيح، جـ١، مصر ١٩١٢، ص٥.

٤ – المصدر نفسه، جـ٢، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٦، ص٧٩.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، الايات البينات، ص٣ فما فوق

٦ – المصدر نفسه، ص٣٣ فما فوق.

الأوربية، وهو ما يلاحظ في كتابه ((الدين والإسلام))، مقدما شرحا لهذه النظريات والأفكار وردوده على بعضها التي يرى فيها تناقضا وتشكل خطرا على الإسلام[1].

ولابد من التأكيد أن بيئة النجف الفكرية قد ساهمت بشكل واسع في تشكيل التنوع الثقافي عنده لما شهدته النجف - في فترة نبوغ الشيخ - من حركة فكرية وثقافية، ووصول الكثير من الأفكار الحديثة التي تأثرت بها الطبقة المثقفة في المدينة، وقد ساعدت المجلات الصادرة في كل من مصر وسوريا وبعض البلدان الإسلامية في نشر ثقافة جديدة مهّدت لنهضة فكرية تبلورت في ظهور أدباء وشعراء اهتموا بإحياء التراث وتمجيد التاريخ العربي[2]. وكان الشيخ من القرّاء الدائمين لهذه المجلات ولا زالت بعض أعداد هذه المجلات موجودة ضمن تركة الشيخ كاشف الغطاء، ومنها على سبيل المثال مجلة ((القبلة)) ومجلة ((الهلال)) وغيرها[3].

وكانت معرفة الشيخ للغة الفارسية من الأسباب التي زادت من إطلاعه والحصول على مصدر مهم للثقافة، وهو ما ساعد الشيخ على ترجمة عدد من الكتب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية[4].

وقد استفاد بشكل كبير من قراءاته للتاريخ العربي الإسلامي والتراث

---

١ - ناقش الشيخ ما جاء به المستشرقون الفرنسيون في كتبهم دفاعا عن الاسلام والقرآن الكريم ورد على بعض المشككين منهم والذين يتهمون الاسلام باستخدام السيف في نشر عقيدته ورحب بالذين دافعوا عن الاسلام مثل (عبد الله ويليام كويليام) البريطاني و(كارليل) و(تولستوي). ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء. الدين والاسلام والدعوة الاسلامية. جـ٢. ص٤٥٠ فما فوق.

٢ - علي كاشف الغطاء. المصدر السابق. ص٤٤.

٣ - مقابلة شخصية مع ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء في مكتبته. بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٨.

٤ - ينظر: القوشجي. الهيئة والفلك. ترجمة محمد حسين كاشف الغطاء. مخطوطة محورة ولده الشيخ شريف اطلع عليها الباحث الورقة ٣.

العربي، وهو ما يظهر بشكل واضح من خلال كتبه وخطبه، فلا يكاد يخلو كتاب أو خطبة من أمثلة تاريخية مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي مع تقديم تفسير لما تنطوي عليه الحادثة التاريخية من أسباب ونتائج، مستعينا بالمثل التاريخي للمقارنة وللتحفيز والموعظة[1].

وقد ساعد إطلاعه على التراث والتاريخ العربيين من التأثير على مستمعي خطبه وجذبهم إليه، فلا يشعر معها المستمع بالضجر والملل رغم طول خطبه التي قد تتجاوز في بعض الأحيان الساعتين، وهذا فضلا عما يمتاز من فصاحة وبلاغة وحينها تخترق خطبه القلوب قبل الأسماع، فكان لهذه الخطب صدى واسع النطاق[2].

وكدليل على إطلاع الشيخ وعمق ثقافته فهو يتحدث عن السينما في عام ١٩١٢ برسالة موجهة إلى أمين الريحاني بطريقة نقدية تؤكد عصرية الشيخ كاشف الغطاء[3].

ويمكن القول إن الشيخ كاشف الغطاء جمع بين الأصالة والمعاصرة، فكان اتصاله بالتراث العربي ودفاعه عن العروبة والإسلام دليل أصالته وإطلاعه على الفكر الحديث، وما يجد في العالم من تطورات وأحداث نوعا من المعاصرة. وبإطلاعه على التاريخ والتراث الخاصين بالأمة، وبحثه مما هو جديد، وإطلاعه على العلوم الحديثة وبناء علاقات قوية مع النخب المثقفة في العراق والأقطار العربية والعالم، كوّن لدى الشيخ كاشف الغطاء ثقافة عصرية استطاع مزجها بأصالته ليخرج الشيخ بثقافة عالية المستوى.

---

١ – ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، جـ٢، ص٢٧٠ فما فوق.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٩، ص١١٦.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المراجعات الريحانية، المطالعات والمراجعات، جـ٢، المطبعة الاهلية، بيروت، ١٩١٣، ص٢٤.

رابعا : رحلاته وسفراته

سافر الشيخ إلى مناطق مختلفة من العالم الإسلامي خلال مسيرة حياته، وقد كانت أغلب رحلاته تتم لغرض التوجيه والإصلاح والانتفاع من خلال الإطلاع على ما يدور في العالم الإسلامي من أحداث وتطورات، وكذلك كان بعضها لغرض الاشتراك في مؤتمرات دعي إليها.

بدأت أول رحلة للشيخ خارج العراق عام ١٩١١م بعد أن صادرت السلطات العثمانية كتابه((الدين والإسلام)) من المطبعة التي كانت تطبعه في بغداد في عهد الوالي ناظم باشا، وبإيعاز من القاضي الشرعي الشيخ سعيد الزهاوي، فهاجمت الشرطة المطبعة وصادرت نسخ الكتاب[١].

والمرجّح أن ما تضمنه من نزعة إصلاحية ودعوة تحررية وتمجيد اللغة العربية ودفاع عن العنصر العربي كان له دور في منع الكتاب، وهذا بدأت الدوافع التي أدت بالشيخ كاشف الغطاء إلى ترتيب رحلته الأولى لطبع هذا الكتاب خارج العراق بعد أن سبب له هذا الحادث خسائر مادية وتأثيرا نفسيا كما يعبّر الشيخ عن ذلك[٢].

بدأ الشيخ كاشف الغطاء أول رحلة له متوجها إلى مكة لأداء فريضة الحج، ومن مكة توجّه إلى دمشق ومنها إلى بيروت ثم صيدا، وهناك طبع كتابه ((الدين والإسلام))[٣]. وخلال وجوده في الشام التقى الوطنيين في سوريا ولبنان، كالشيخ أحمد طبارة والشيخ أحمد عارف الزين وعبد الكريم الخليل وعبد الغني العريسي. وقد شارك هؤلاء الوطنيين مشاعرهم ودعاواهم

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٢.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، تعليقات على العروة الوثقى، ص٢١٤.

٣ – العرفان (مجلة)، جزء (١٩)، مجلد (٤)، كانون الاول ١٩١٢، ص٥٠.

الوطنية، ونشر عدة مقالات في الصحف السورية بتوقيع ((نجفي)) و((سيار)) عبّر فيهما عن تأييده للوطنيين السوريين[1].

ثم غادر مدينة صيدا متوجهاً إلى القاهرة وبقي هناك أكثر من ثلاثة أشهر وتعرف على كثير من رجال العلم والأدب فيها، وحضر دروس بعض علمائها كشيخ الأزهر سليم البشري. وقد حاضر الشيخ بطلب من جماعة من طلبة الأزهر في الفقه والفصاحة والبلاغة، ونال إعجاب الطلبة الحاضرين لدرسه[2].

وفي أثناء زيارته القاهرة هاله انتشار نوادي التبشير وخاصة الأمريكية (فكان له موقف سنتطرق إليه فيما بعد). وأثناء رحلته هذه التي استمرت ثلاث سنوات كتب وصفاً لرحلته أسماه ((نهزة السفر ونزهة السمر)) وقد فقد منه[3].

في كانون الأول عام ١٩٣١ سافر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء إلى فلسطين ممثلاً للعراق لحضور المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف، والذي حضرته شخصيات من الأقطار العربية والإسلامية، وكان من بين المشاركين في هذا المؤتمر محمد رشيد رضا صاحب مجلة ((المنار))، والشيخ نعمان الأعظمي، ورجل الدين المعروف بهجت الأثري، وحسن الواعظ، والشاعر المعروف محمد إقبال. وعند وصول الشيخ القدس استقبله مفتي القدس محمد أمين الحسيني وجمع من العلماء والأعيان. ونزل الشيخ كاشف الغطاء في التكية البخارية بجوار المسجد الأقصى[4].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء. محاورة الامام المصلح مع السفيرين البريطاني والامريكي في بغداد. ط٢، المطبعة التجارية. بوينس آيرس. ١٩٥٥، ص٣٩.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء. في السياسة والحكمة. ص١٤.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء. جنة المأوى. ص٤٣.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء. المحاورة بين السفيرين. ص٤٠ – ٤١.

وقد شارك الشيخ بفعالية في نشاطات المؤتمر، وصلت تلك الفعالية أعلى مستوياتها عندما طلب مفتي القدس من الشيخ كاشف الغطاء أن يخطب بالحضور ويؤمهم بصلاة المغرب والعشاء، وقد أمّ الشيخ جميع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم ((١٥٠)) عضوا من شخصيات العالم الإسلامي مع حشد كبير من أهالي فلسطين ناهز عددهم عشرة آلاف نسمة. وكان ذلك في المسجد الأقصى في ليلة المعراج ٢٧ رجب، وقد ألقى الشيخ خطبة مشهورة دعا فيها إلى الوحدة الإسلامية ومواجهة الأطماع الاستعمارية والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في محنته. ودعا الشيخ كذلك إلى نبذ الطائفية والتمسك بالإسلام[١]. وأثناء وجوده في فلسطين سافر إلى عدد من المدن الفلسطينية، وألقى خطبا فيها، وفي كل هذه الخطب كان الشيخ يؤكد على التمسك بالوحدة الإسلامية. ثم عاد إلى العراق عن طريق سوريا فكان له استقبال حافل من الشخصيات المعروفة والجمهور الكبير[٢].

وفي عام ١٩٣٢ سافر إلى إيران[٣] عن طريق كرمنشاه وتجول في المدن الإيرانية، وخطب في الناس في أكثر من مكان داعيا الإيرانيين إلى التمسك بالمبادئ الإسلامية بعد أن لاحظ الشيخ أثناء وجوده في إيران تأثر الإيرانيين بمظاهر الحضارة الغربية، ونصحهم بعدم الخروج عن حضيرة الإسلام وترك القوانين الإسلامية ورائهم[٤].

وقد لقي في إيران الحفاوة والاستقبال الكبير في كل مدينة زارها. وكان الشيخ قد زار كل من كرمنشاه وهمدان وطهران وقم واصفهان وشيراز،

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٤.

٢ – محمد جعفر محبوبة، المصدر السابق، جـ٣، ص١٨٦.

٣ – كانت ايران تسمى ولغاية عام ١٩٣٥ ببلاد فارس ثم تحول اسمها رسمياً إلى ايران وهو المصطلح الذي استخدمناه تخلصا من الالتباس.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٨.

وصلى هناك في جامع المدينة الكبير بحضور عدد كبير من علمائها وأهاليها، ومن جاء من القرى القريبة منها. ثم سافر من هناك إلى كازورن والمحمرة وعبادان. وبعدها عاد إلى طهران واجتمع فيها مع الشاه رضا بهلوي (١٩٢٥-١٩٤١) مرتين متتاليتين، وقدم الشيخ كاشف الغطاء للشاه رضا النصح وحثه على السير على طريق الإسلام وعدم الانفصال عن الدول الإسلامية، وطلب من الشاه مؤازرة الشعب الفلسطيني والوقوف بجانب القضية الفلسطينية[١]. وتذاكر الشيخ كاشف الغطاء مع الشاه في قضايا إسلامية وشؤون دينية[٢].

سافر في صيف عام ١٩٤١ إلى لبنان للمعالجة ونزل في ضيافة الشخصية اللبنانية المعروفة يوسف الزين في بيروت وشتورا، ثم في ضيافة الزعيم اللبناني أحمد الأسعد في بحمدون[٣].

في صيف ١٩٥٠ سافر إلى إيران وأثناء وجوده هناك أرسل إليه شاه إيران محمد رضا بهلوي (١٩٤١-١٩٧٩) يرحب به ويدعوه لمقابلته، فأجاب الشيخ رسول الشاه بالرفض، من باب أن العلماء لا يزورون الملوك، لأن ذلك يقلل من شأنهم وهيبتهم، وحينها زاره الشاه بنفسه[٤].

وكان الشيخ ناصحا للشاه محذراً إياه من التورط في معاونة الدول الاستعمارية ضد مصالح المسلمين، ودعاه إلى تقديم العون للقضايا الإسلامية وخاصة القضية الفلسطينية[٥]. وعندما أهدى له الشاه سيارة من النوع الغالي

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٥.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٩.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٦.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٥٠.

٥ - مقابلة شخصية اجراها الباحث مع ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء في مكتبته بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٥.

الثمن باع الشيخ هذه السيارة وتصرّف بثمنها بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين من طلاب المدارس الدينية[1].

وفي العاشر من شباط سنة ١٩٥٢ سافر الشيخ كاشف الغطاء إلى الباكستان تلبية لدعوة وجهت إليه لحضور المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراتشي العاصمة، وعند وصوله استقبل من الحكومة الباكستانية والأهالي استقبالا حارا[2].

وفي ١٦ شباط ألقى خطابا في المؤتمر ركز فيه بشكل خاص على الوحدة الإسلامية والتضامن بين المسلمين، لأنهما الطريق الأفضل للوقوف بوجه الأطماع الاستعمارية، وعاب على المسلمين تأثرهم بالحضارة الغربية حتى وصل الأمر بهم إلى نبذ التقويم الإسلامي واستخدام التاريخ الميلادي، وابتعادهم عن لغة القرآن والتحدث باللغة الانكليزية، واتخاذ بعض الدول الإسلامية يوم الأحد عطلة رسمية، ثم تطرق إلى الوحدة والالتزام بالإسلام باعتبارها سبيلا لعودة المجد والعزة الإسلامية وتحقيق المنعة والاستقلال للمسلمين. وحيّا في الوقت نفسه اتخاذ الباكستان الإسلام عنوانا لها، وانفصالها عن الهند باسم الإسلام، وتطرّق إلى ما يتعرّض له المسلمون في كل مكان من العالم الإسلامي من ظلم واضطهاد ومن قبل الدول الاستعمارية، مرحبا بما قام به محمد مصدق[3] في إيران من تأميم للنفط والتخلص من الاستغلال الذي يقوم به الاستعمار، داعيا الدول الإسلامية إلى السير بنفس الاتجاه[4].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء. جنة المأوى. ص٥٠.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء. في السياسة والحكمة. ص١٦.

٣ – محمد مصدق: رئيس الوزراء الايراني الذي قام بتأميم النفط عام ١٩٥٢ وحظي بتاييد شعبي واسع وقد استعان الشاه محمد رضا بهلوي بالجيش الامريكي لقضاء على ما قام به مصدق عام ١٩٥٣.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء. الخاورة بين السفيرين. ص٥٨ – ٦٠.

خامسا : كتبه ومؤلفاته

كانت الظروف التي توفرت للشيخ كاشف الغطاء والمحيط الذي نشأ فيه أثر في نشأته العلمية والأدبية والتنافس العلمي الحاصل في داخل طبقة رجال الدين، ومحاولة كل واحد منهم الصعود والارتقاء بما يحقق له الشهرة والمكانة العلمية المحترمة ليشار إليه بإصبع الغمز والاعتزاز بين أقرانه وأبناء طبقته، كل هذا كان دافعا قويا حرّض الشيخ كاشف الغطاء لدخول عالم التأليف والنشر، فكان سباقا إلى ذلك حتى اذا بلغ العشرين من عمره كان أول مؤلف يبدأ به تأليفه وكتاباته، وكان هناك في النهاية مجموعة كبيرة من المؤلفات في مختلف فنون المعرفة، ضمنها آراءه وأفكاره وفتاواه الدينية والسياسية ودعواته الإصلاحية، فكانت مثار إعجاب وتقدير من الكثيرين[1].

ولأن الشيخ لم يطبع الكثير من كتبه في حياته وكان شحيحا في السماح بطبعها ومغاليا في هذا الشأن، فقد ظل الكثير من هذه الكتب مخطوطا وغير مطبوع، وضاع قسم آخر، ولما كان الحال هكذا فسيكون في تناول مؤلفاته كالآتي:-

الكتب المطبوعة والمعروفة والمتداولة.

الكتب المخطوطة التي استطاع الباحث الإطلاع عليها عند ورثته (ابنه الشيخ شريف كاشف الغطاء).

الكتب المخطوطة التي لم يطلع عليها الباحث التي أكد عليها أكثر من مصدر، أو ذكرها الشيخ في ثنايا كتبه، وستكون على شكل قائمة وسيتم تسجيلها اقتناعا من الباحث بصحة نسبها إليه.

---

١ – ينظر: مجلة العرفان، جزء (١٩)، كانون الاول ١٩١٢، ص٥٠.

الهاتف(جريدة)، العدد(٢٦٨)، السنة السابعة، الجمعة ٢٠/اب/١٩٤١م – ٥/شعبان/١٣٦٠ هـ.

الغري (مجلة)، العدد (٣)، السنة الخامسة عشرة، الثلاثاء ٢٢/كانون الاول/١٩٥٣، ص١٤.

١- الكتب المطبوعة:

الكتب الإصلاحية:-

- الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية :- بجزئين ضم هذا الكتاب الأفكار الإصلاحية التجديدية للشيخ ودعوته للوقوف بوجه الغزو الثقافي والعسكري الأوربي للبلاد الإسلامية، مع تأكيد على أفضلية الإسلام على بقية الأديان، لاحتوائه على قوانين كاملة للحياة، تضمن حياة سعيدة وبناء مجتمع قوي وسليم قادر على مواجهة التحديات الغربية[١].

- المراجعات الريحانية: الكتاب بجزأين احتوى الرسائل المتبادلة بين الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وأمين الريحاني، والتي تناولت قضايا إسلامية وإصلاحية وأدبية وسياسية. وفيه نقد لـــ ((انستاس الكرملي)) صاحب مجلة ((لغة العرب))، ولكتاب ((تاريخ آداب اللغة العربية)) لجرجي زيدان لما تضمّنه من تقليل لدور العرب[٢].

- التوضيح في بيان ما هو الإنجيل ومن هو المسيح: بجزأين، طبع الجزء الأول في مصر عام ١٩١٢، والجزء الثاني طبع في بغداد سنة ١٩٢٦، والكتاب جاء ردا على الحملات التبشيرية وما رآه الشيخ من انتشار للمبشرين أثناء زيارته لمصر[٣].

- الآيات البينات في قمع البدع والضلالات: تضمّن الكتاب ردود الشيخ على بعض البدع التي انتشرت بين المسلمين ويجادلها الشيخ فكريا، لأنها لا تتناسب مع الإسلام ولا مع العقل والذوق، ترجم إلى عدة لغات[٤].

---

١ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام والدعوة الاسلامية.

٢ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، المراجعات الريحانية.

٣ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، التوضيح في بيان ما هو الانجيل ومن هو المسيح

٤ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الايات البينات في قمع البدع والضلالات.

- أصل الشيعة وأصولها: دراسة لعقائد الشيعة لتكون مصدرا للباحثين حتى يبتعدوا عن الخلط ومحاولات التشويه. ويضمّ الكتاب أيضا دعوة الشيخ للوحدة الإسلامية ونبذ النزعات الطائفية والمذهبية، والتأكيد على الإسلام باعتباره الأصل لكل الطوائف والمذاهب. ترجم إلى عدة لغات[1].

- الفردوس الأعلى: ويضم الكتاب مجموعة من الأسئلة المختلفة التي وجهت للشيخ مع الإجابة عليها. وفيه بحوث تجديدية عن العلاقات الاقتصادية والحقوق المالية وحول حقوق العامل في الإسلام، وفي الكتاب منحى فلسفي في عدة بحوث كلامية. ترجم إلى الفارسية[2].

- الميثاق العربي الوطني: كتبه استجابة لدعوة من بعض القوميين العرب لوضع منهاج يستفيد منه الشباب العربي لتحقيق الوحدة العربية، فيضع الشيخ أسسا يراها صالحة وأساسية لتحقيق الوحدة العربية وبناء المجتمع القومي[3].

- جنة المأوى: كتاب إصلاحي يهدف إلى تحقيق الإصلاح في المجتمع الإسلامي، مع إجابة الشيخ على الأسئلة الواردة إليه من مختلف أنحاء العالم. وضمّ الكتاب بحوثا تاريخية بتفسير جديد ورؤية عصرية[4].

- في السياسة والحكمة: ويضم الكتاب أفكار الشيخ التي لم تدون أو التي دونت في صحف ومجلات، جمعها ولده الشيخ عبد الحليم. والكتاب ذو طابع إصلاحي أخلاقي[5].

---

١ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، ط٨، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٥.

٢ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الفردوس الاعلى، ط١، جمع وتعليق محمد علي القاضي، مطبعة شركة جاب تبريز ١٣٨٦هـ.

٣ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي الوطني، ط١، تعليق عبد الغني الخضري، مطبعة الغري - النجف ١٩٣٨.

٤ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٥٠ فما فوق.

٥ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة.

- الكتب السياسية:-

- المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون: جاء الكتاب ردا على الدعوة التي وجهتها إلى الشيخ جمعية أصدقاء الشرق الأمريكية لحضور مؤتمر في ((بحمدون - لبنان)) لمناقشة القيم الأخلاقية في الديانات الثلاثة وتأثيرات الأفكار الشيوعية. ورفض الشيخ حضور المؤتمر، بل ألف هذا الكتاب كوثيقة ضد المؤتمر داعيا الشخصيات الأخرى المدعوة إلى مقاطعته، على اعتبار أن الخطر الأكبر الذي يهدد العرب والمسلمين والإنسانية هي الحركة الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وقد كانت الاستجابة واسعة لدعوة الشيخ لمقاطعة المؤتمر حيث قاطعته شخصيات عديدة[1].

- محاورة الإمام كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد: الكتاب يضم في جانب منه اللقاء الذي تم بين الشيخ كاشف الغطاء والسفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد على التوالي في تشرين الثاني عام ١٩٥٣. وفيه تسجيل المحاورة التي دارت بينه وبين السفيرين وتناولت قضايا سياسية واقتصادية، وفي الجانب الآخر منه يتناول رأي الشيخ في كثير من الأمور[2].

- خطب الشيخ كاشف الغطاء: يضم الكتاب مجموعة الخطب التي ألقاها الشيخ في مناسبات وأماكن مختلفة، مضافا إلى خطبه وفتاواه عن القضية الفلسطينية. وتناولت الخطب قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية[3].

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، حنة الماوى، ص ٥٠ فما فوق.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، محاورة الامام كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والامريكي في بغداد.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، الخطب، جمعها عبد الحليم كاشف الغطاء، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٦٩.

- الكتب التاريخية:

- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: وهو أول مؤلف كتبه الشيخ، يتكون من جزأين. والكتاب يؤرخ لفترة مهمة من تاريخ المرجعية الدينية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وكشف للصراع الذي دار بين علماء الدين حول قضايا دينية وعقائدية، وكذلك فإن الكتاب يضم في جزء كبير منه تاريخ أسرة ((آل كاشف الغطاء)) وأهم رجالها[1].

- السياسة الحسينية: دراسة تاريخية تحليلية لثورة الإمام الحسين[2].

- الأرض والتربة الحسينية: ألف الشيخ هذا الكتاب جوابا على طلب من أحد المستشرقين الذي كان يريد تأليف دائرة معارف كبرى، وقد أراد أن يلم بتاريخ التربة الحسينية والسبب الحقيقي في نشأتها. والكتاب يضم دراسة علمية يستعرض فيها الشيخ العناصر المكونة للأجسام في حالاتها الثلاث الصلبة والسائلة والغازية وخواص كل نوع من أنواع التربة، ويلمس القارئ فيه سعة الإطلاع على العلوم الحديثة عند الشيخ كاشف الغطاء[3].

- الكتب الفقهية:

- الوجيز في الفقه: وهو الرسالة العملية الفقهية للشيخ كاشف الغطاء يضم آراءه الفقهية في العبادات والمعاملات[4].

- تحرير المجلة: الكتاب موسوعة فقهية ودراسة مقارنة قام بها الشيخ كاشف الغطاء للفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه، يعبّر فيها عن مقدرته المعرفية بالفقه على اختلاف المذاهب الإسلامية، وتتجلى فيه النزعة نحو

---

١ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية.

٢ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، السياسة الحسينية، مطبعة الغري، النجف، ١٩٥١.

٣ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الارض والتربة الحسينية، ط٤، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، ١٣٧٣ هـ.

٤ - ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، الوجيز في الفقه، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٤٥ هـ.

الوحدة الإسلامية، على اعتبار أن المذاهب جميعها ترجع لمصدر تشريعي واحد، والكتاب بخمسة أجزاء[1].

- سؤال وجواب في الفتاوى الفقهية: تظهر في الكتاب الروح التجديدية في الفقه عند الشيخ كاشف الغطاء، حيث تكون الفتاوى منسجمة مع روح العصر، دالة في الوقت نفسه على قدرته على الاجتهاد واستنباط الأحكام بما اشتهر عنه من تجديد وإصلاح[2].

- تعليقات على العروة الوثقى: وهي التعليقات التي كتبها الشيخ كاشف الغطاء على كتاب ((العروة الوثقى)) للسيد كاظم الطباطبائي وآراء متعارضة معه في الفقه والأحكام. وفيه بيان عن العلاقة القوية التي ربطته وأخيه الشيخ أحمد مع السيد الطباطبائي[3].

- الكتب التي حققها الشيخ وراجعها وعلق عليها:

- ديوان شعر جعفر الحلي، سحر بابل وترجمة الأعلام الأفاضل: وهو ديوان شعر جعفر الحلي حققه الشيخ وترجم للشخصيات والمواقع المذكورة ضمن قصائده، وفيه روح نقدية وأدبية واضحة، وفيه يعبر عن تبرمه من الإهمال الذي أصاب اللغة العربية من أبناء العرب وعدم تقديرهم لعظمة لغتهم. وكان الشيخ قد طبعه في لبنان خلال رحلته الأولى[4].

- مختار من شعراء الأغاني : وهي مختارات من شعراء الأغاني

---

١ - ينظر : محمد حسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، الاجزاء ١، ٢، ٣، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٥٩ هـ. الجزأين ٤، ٥، مطبعة العدل الاسلامي، النجف، ١٣٧٠ هـ.

٢ - ينظر : محمد حسين كاشف الغطاء، سؤال وجواب في الفتاوى الفقهية، النجف، ١٣٥٠ هـ.

٣ - ينظر : محمد حسين كاشف الغطاء، تعليقات على العروة الوثقى.

٤ - جعفر الحلي، سحر بابل وترجمة الاعلام الافاضل: ديوان شعر، تحقيق محمد حسين كاشف الغطاء، صيدا ١٣٣١م، ص١١.

(لأبي الفرج الاصبهاني)، اختار الشيخ من الكتاب الشعر ذا المستوى العالي الذي وجد فيه ما ينفع ويفيد، كتبه أيام العطل ترويحا للنفس والاستجمام كما يقول عن تأليفه، وقد كان من ضمن مقتنيات والده الشيخ ((علي)) التي أحضرها من مصر[1].

- سفينة النجاة لشقيقه الشيخ أحمد، والكتاب رسالة فقهية علّق عليها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ويتكون من جزأين[2].

٢- الكتب المخطوطة:

- مذكرات خطية حول أحداث كان للشيخ دور فيها سياسية واجتماعية، ولها علاقة بشكل رئيسي بتاريخ العراق الحديث والمعاصر وتغطي فترة زمنية مهمة. وفيها آراء الشيخ حول تلك الأحداث[3].

- مذكرات خطية حول الجهاد ضد البريطانيين في سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٥). وتتكون المذكرات من خمسة عشر ورقة محفوظة عند ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء.

- ديوان شعر خطي للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: يضمّ الديوان قصائد للشيخ في مواضيع مختلفة أخلاقية وسياسية واجتماعية، محفوظة عند ولده الشيخ شريف.

---

١ - ينظر: محمد حسن كاشف الغطاء، مختار من شعراء الاغاني، حديث الشهر (١٠) ايلول ١٩٥٠م.

٢ - ينظر: احمد كاشف الغطاء، سفينة النجاة، جزأين، تعليق الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٦٥هـ.

٣ - اطلع الباحث على هذه المذكرات عند ولده الشيخ شريف بعد محاولات متكررة ورفض مستمر من ولده إلى ان وافق بشرط ان يختار هو الموضوع الذي يستل منه المادة التاريخية واصراره على اختيار المواضيع والمادة التاريخية منها وان لا تخرج المذكرات من عتبة مكتبته.

- الهيئة والفلك للقوشجي، ترجمه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عن الفارسية، وقد ترجمه دون إضافات أو زيادات أو حذف، فجاء مطابقا للأصل - كما يقول الشيخ - ويشمل على مقدمة ومقالتين وخاتمة. والكتاب دراسة في علم الهيئة والحساب والكواكب، وهو محفوظ عند ولده الشيخ شريف.

٣ ولكاشف الغطاء العديد من الكتب منها[١]:

- حاشية على كتاب الأسفار لصدر المتألهين[٢].
- حاشية على رسالة العرشية لصدر المتألهين.
- حاشية على رسالة الوجود لصدر المتألهين.
- دائرة المعارف العليا، وهو بثلاث مجلدات. وفيه ما ورد من الأسئلة مع أجوبتها في الفقه والحكمة والتفسير وغيرها.
- شرح العروة الوثقى خمسة أجزاء.
- حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري[٣].
- حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري.
- تنقيح المقال في مباحث الألفاظ.
- حاشية على الكفاية للشيخ الآخوند.
- رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية.

---

١ - لم يتمكن الباحث من الاطلاع عليها.

٢ - صدر الدين بن ابراهيم بن يحيى. ولد في شيراز اشتهر بالفلسفة الاشراقية وكان من البارعين فيها من اشهر كتبه (الاسفار الاربعة) توفي سنة ١٠٥٠ هـ في البصرة عندما كان في طريقه للحج. النجف (مجلة)، العدد التاسع، السنة الثانية. في ١٠ تموز ١٩٥٨، ص٣ - ٤.

٣ - الشيخ مرتضى محمد امين الانصاري: (١٢١٤ ــ ١٢٨١ هـ) فقيه اصولي عرف بالزهد والتقوى وصار مرجعا دينيا ودفن بالنجف. ينظر محمد حرز الدين. المصدر السابق. ص٣٩٩ - ٤٠٤.

- نزهة السمر ونهزة السفر: وصف لرحلة الشيخ الأولى (الكتاب مفقود).
- عقود حياتي – ترجمة ذاتية للشيخ بقلمه (مفقود).
- تعاليق على أمالي الشيخ المرتضى.
- تعاليق على أدب الكاتب لابن قتيبة.
- الوجيز في تفسير القرآن العزيز.
- تعاليق على نهج البلاغة، ونقد على شرح الشيخ محمد عبده.
- تعليق على كتاب الفتنة الكبرى لطه حسين.
- منتخبات من الشعر القديم.
- منتخبات من الأحاديث والأخبار والتراجم.
- كتاب استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام).
- ترجمة لرحلة الحكيم ناصر خسرو عن الفارسية.

سادسا :- علاقته بالمستبدة والمشروطة

أدى إعلان الدستور في إيران في اب ١٩٠٦ إلى حدوث انقسام حاد بين رجال الدين (العلماء) في النجف[١]، إذ وقف بعضهم إلى جانب الحركة الإصلاحية، وأطلق على هؤلاء اسم ((المشروطة))، بينما وقف الاخرون إلى جانب الحركة التي تنادي بالسلطة المطلقة للحاكم وترفض الدستور، وأطلق على هؤلاء ((المستبدة))[٢].

ولم يقتصر تأثير الصراع بين المتنورين والمحافظين على طبقة بعينها،

---

١ – حسن الاسدي، ثورة النجف، ص٦٧.

٢ – علي الشرقي، الاحلام، ط١، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٣، ص ٥٧.

بل امتد ليشمل العراق كله حتى وصل الارياف التي تأثرت بشكل أو بآخر بهذا الصراع[1].

تزعم جماعة المشروطة المرجع الديني الشيخ محمد كاظم الاخوند فلقب بـــ ((أبي الأحرار)) في حين تزعم جماعة المستبدة السيد كاظم الطباطبائي[2].

وقد دار جدال طويل وعنيف بين الفريقين، حول نوع الحكم الأفضل والمنسجم مع روح الإسلام والمتوافق مع متطلبات العصر، وقدم كل من الطرفين حججه في هذا الشأن.

فقد رأى المستبدة أن تأسيس برلمان وسن دستور للبلاد يغاير الشرع الإسلامي[3]. ويرى المستبدة أيضا عدم تدخل رجال الدين في هذه القضية، وأنها مجهولة العاقبة، وليس هناك من ثقة بحصول النتيجة الصحيحة ولا يليق والحال هذه بعلماء الدين إقحام أنفسهم بأمور مجهولة العاقبة، خاصة إذا أدى ذلك إلى إراقة الدماء وتلف الأموال والخوف من تدخل يد الأجنبي[4]. وهي إشارة واضحة إلى وقوف بريطانيا إلى جانب المطالبين بالدستور في إيران.

أما أنصار المشروطة (الدستوريين) فيرون ضرورة تدخل العلماء

---

١ – لفوجاني، المصدر السابق، ص٣٠٤.

٢ – علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، جـ٣، ص١١٧.

٣ – يرى الدكتور علاء الزهيمي: انه اضافة إلى الجماعتين المشروطة والمستبدة كان هناك جماعة ثالثة لم تدخل الصراع ولم تروج نفسها فيه فكانت على الحياد، ينظر علاء الزهيمي، حقائق عن الموقف في العراق من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥ –١٩١١ م، بحث مكتوب على الآلة الطابعة مقدم إلى جامعة الكوفة، ص٧.

٤ – الرضوان (مجلة)، العدد السابع، السنة الثانية، رجب ١٣٥٥ هـ، ص٨، مقال حول المشروطة والمستبدة بقلم محمد حسين كاشف الغطاء.

لإصلاح الحال ونظم المملكة على قوانين عادلة وشرعية تناسب عادات البلاد وتقاليدها[1].

ويرى هؤلاء أيضا وجوب قطع دابر الفساد ورفع الظلم عن الرعية وتحقيق العدالة والحرية، ويرون أن مطالبهم تنسجم مع التشريع الإسلامي، وهي التي تؤدي في النهاية إلى بناء مجتمع إسلامي يستطيع التصدي للأطماع الاستعمارية[2].

ويرى الباحث أن الصراع بين المتنورين الذين اقتدوا بالأخوند والمحافظين الذين التزموا خط الطباطبائي لم يكن وليد الاختلاف في الرؤية للدستور، بل إن هذا الخلاف كان موجودا من قبل ويرجع للسنوات القليلة التي سبقت إعلان الدستور الإيراني، لكنه بقي غير واضح المعالم إلا أنه وجد في المشكلة الدستورية نقطة الصدام والبروز بشكل صريح على السطح. والدليل أن النجف كانت تمور بكثير من الأفكار السياسية الجديدة التي تعتمد على العواطف الوطنية والحماس الديني[3]، فضلا عن انتشار الأفكار الحديثة عن طريق الصحف والمجلات القادمة من مصر وبلاد الشام[4]. وقد التف هؤلاء المتنورون منذ البداية حول الشيخ الأخوند، إذ وجدوه متنورا. والتف المحافظون حول السيد كاظم الطباطبائي المعروف بموافقه المحافظة[5].

وكانت هناك أسباب ساهمت في نشر الوعي الإصلاحي في العراق وتطوره إلى نشاط هز المجتمع العراقي، فهناك الجاليات التي كانت تنشر

---

١ – المصدر نفسه، مجلة الرضوان، ص٨.

٢ – علاء الوهيبي، حول موقف العراق، ص٢.

٣ – منير بكر التكريتي، يوسف رجيب الكاتب والصحفي والسياسي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١، ص٢١.

٤ – وميض عمر نظمي، الجذور التاريخية، ص٧٤.

٥ – القوجاني، المصدر السابق، ص٢٩٨ – ٣٥٤

أنباء الداعين للإصلاح من أبنائها في بلدانها، وكذلك الضباط والإداريين الأتراك. وأكثرهم من الأحرار الناقمين على الوضع وقد أبعدوا إلى العراق وغيره من البلدان، وهؤلاء عملوا على نشر الأفكار التحررية[1].

وكانت بداية انطلاق حركة الصراع بين الفريقين (المستبدة والمشروطة) عندما وصلت رسالة إلى علماء النجف من إيران تدعوهم إلى إبداء رأيهم حول مسألة الدستور الذي أوقف العمل به شاه إيران مظفر الدين الشاه، وطالبت الرسالة من العلماء الوقوف إلى جانب الدستور، ونصح الشاه بالنزول عند رغبة العلماء والشعب والكف عن المظالم التي يقوم بها. وفعلاً بادر هؤلاء العلماء ببعث البرقيات والرسائل المؤيدة للدستور، وكان لها صدى قوي في نفس الحكومة، كما أن علماء طهران المطالبين بالدستور وجدوا في موقف علماء النجف سندا وقوة لهم، وقد كان السيد الطباطبائي في البداية من المؤيدين لمواقف العلماء المؤيدين للدستور إلا أنه تخلى فيما بعد عن ذلك، وهو ما أدى إلى انقسام العلماء إلى الفريقين المذكورين[2].

وقف آل كاشف الغطاء -- ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء -- في هذا الصراع الحاد العنيف بصف المعارضين للدستور (المستبدة) وزعيمهم السيد كاظم الطباطبائي[3]. وهو موقف ناشئ عن العلاقة المتميزة بين الطباطبائي والشيخ كاشف الغطاء، فقد كان من المقربين إليه ومعتمده وأستاذه وموضع ثقته، وهو ما يجعل وقوفه إلى جانب الطباطبائي موقفا يرجع في كثير من أسبابه إلى هذه العلاقة، إذ جاء انضمام الشيخ محمد حسين وأخيه الشيخ أحمد بطلب من الطباطبائي بالانضمام إليه ومساندته

---

١ - علي الشرقي. الاحلام. ط١. شركة الطبع والنشر الاهلية. بغداد. ١٩٦٣. ص٨٩.

٢ - علي الخاقاني. شعراء الغري. ج١٠. ص٨٢.

٣ - مجلة الرضوان. العدد السابع في رجب ١٣٥٥. ص٨.

للوقوف بوجه جماعة الدستوريين (المشروطة)، وفعلا كان انضمام الشيخ محمد حسين وأخيه الشيخ أحمد تعزيزا قويا لمركز الطباطبائي، بعد أن كانت أسرة آل كاشف الغطاء تقف إلى جانب «المشروطة» التي تلتزم خط الاخوند. فيما تخلت أسرتان أخريتان (لهما شأنهما أيضا) عن تأييد الطباطبائي والوقوف مع جماعة المشروطة، وهما «آل الجواهري وآل بحر العلوم»، وقد اتخذت الأسرتان المذكورتان هذه الخطوة مقابل انضمام آل كاشف الغطاء إلى المستبدة. وقد زادت عملية تبادل المواقع هذه إلى زيادة الخلاف والتعصب بين الفريقين المتنازعين[1].

ولابد من ذكر أن الدستوريين أنفسهم قد انقسموا إلى قسمين، هما الجماعة الذين حملوا أفكارا متطرفة ودعوا إلى تقليد الغرب في ديمقراطيته، وقد أطلق على هؤلاء اسم الثورية الديمقراطية، أما القسم الثاني فقد أطلق عليه المعتدلة لأن هؤلاء لم يتجاوزا الأعراف السائدة[2].

وقد استغل جماعة المستبدة ذلك فأخذوا على تشويش وتشويه أهداف المشروطة فعدّوها وسيلة للتغلغل الاستعماري البريطاني ومدعاة للخروج عن التعاليم الدينية، وعدّوا طروحاتهم منافية للشرع الإسلامي[3].

وقد وقف الروس إلى جانب المستبدة بسبب عدائهم للبريطانيين الذين كانوا يساندون «المشروطة»، وبسبب صراع المصالح والنفوذ على إيران بين الدولتين، ولمعرفة الروس بدور النجف المهم في هذا الصراع، فقد قامت الحكومة الروسية بفتح قنصلية في النجف عام ١٩٠٧ لتكون قريبة من المركز المحرك للأحداث والوقوف بوجه نشاط الدستوريين المعادين للروس.

---

١ – حسن الاسدي، ثورة النجف، دار الحرية، بغداد ١٩٧٧، ص٥٩.

٢ – القوجاني، المصدر السابق، ص٣٠١ – ٣٠٣.

٣ – علاء الرهيمي، موقف العراق من الثورة الدستورية، ص٧.

وانضم القنصل الروسي (الشيرواني) إلى جماعة المستبدة، وأخذ يتقرب من السيد الطباطبائي[1].

وكان هناك عامل آخر زاد من حدة الصراع، فقد لعبت الصحف الصادرة في الخارج دورا في تأجيج الصراع في الداخل ونقل أخبار التناحر بين الجماعتين إلى خارج العراق، فكانت صحيفة ((حبل المتين)) الصادرة في الهند السباقة في هذا المجال، فقد كانت تضخم الأحداث الجارية في الداخل وتثير الرأي العام ضد جماعة المستبدة وزعيمهم السيد الطباطبائي، مما أثار بعض العواصم الإسلامية ضد المستبدة، فاتصل ((أحرار)) الهند من جماعة غاندي بالشيخ محمد كاظم الأخوند وجماعته ووعدوهم بالمساعدة والمعونة[2].

والحقيقة أن جماعة المشروطة قد تعرضوا للأذى فعلا على أيدي جماعة ((المستبدة))، فلم يكن الطرفان متكافئين من ناحية القوة العددية وقوة الرأي العام المساندة لكل طرف، فبينما ضمت جماعة المشروطة بين صفوفها المتنورين وأكثرهم من رجال الدين، فبالمقابل ضمت جماعة المستبدة بين صفوفها رجال دين ((محافظين)) والعوام من الناس[3]. فضلا عن القوة الأهلية المسلحة المتمثلة بـــ ((الزكرت والشمرت))[4]. وهو ما دعم موقف الطباطبائي وزاده قوة.

والحقيقة أن دخول هؤلاء إلى حلبة الصراع جعله أكثر انجرارا للعنف والتصلب، لأن هؤلاء المسلحين لا يعرفون من حقيقة الصراع شيئا. فميدان

---

١ – علي الخاقاني، شعراء الغري، جـ ١٠، ص٨٦.

٢ – حسن الاسدي، ثورة النجف، دار الحرية، بغداد ١٩٧٧، ص٥٩.

٣ – علي الشرقي، الاحلام، ط١، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٣، ص٩٠.

٤ – حسن الاسدي، المصدر السابق، ص٦٠.

عملهم الرئيسي هو المعارك والمصادمات التي تدور بينهم، وإنما هم اقحموا بهذا الصراع. وحينها زاد الضغط على ((المشروطة)) وأصبحوا أكثر حذرا في الجهر بأفكارهم خشية تعرضهم للأذى، وقد كان للإعلان الذي الصق على أحد الجدران أثر في تأليب الرأي العام ضد جماعة ((المشروطة))، اذ رسمت يد تحمل مسدس موجه إلى السيد الطباطبائي طالبين منه النزول على رأي المشروطة وإلا كان القتل مصيره[1].

وقد جرت عدة معارك بين الطرفين سفكت فيها الدماء[2]. وتعرض أنصار الدستور إلى تهم مختلفة ألصقت بهم، وقد أدى بعضها إلى القتل وتعرضت أموالهم إلى السلب بحجة كفرهم[3].

لكن الوضع لم يبق على ما هو عليه حتى دارت الأيام دورتها على جماعة المستبدة بحلول العام ١٩٠٨، حين وصل الاتحاديون الأتراك إلى السلطة في الدولة العثمانية وإعلان الدستور، فانتعشت فكرة الأحرار وصاروا يتنفسون الصعداء بعد ما عانوه من جماعة ((المستبدة)) الذين شعروا بانقلاب الوضع ضدهم، وقد فتح الاتحاديون (أعضاء جمعية الاتحاد والترقي) فرعا لجمعيتهم بالنجف، وهو الفرع الثاني الذي فتح بعد فرعهم الأول في بغداد. وزار أحد المسؤولين الاتحاديين وهو ((ثريا بك)) النجف ١٩٠٨، واجتمع في مدرسة الخليلي بأعلام النجف وزعمائها من جماعة المشروطة[4].

وكان ممن ساعد ((الأحرار)) في النجف قائممقامها المتأثر بالروح

---

١ – علي الخاقاني. شعراء الغري. جـ ١٠. ص٨٦.

٢ – ناجي وداعة الشريس. المصدر السابق. ص١٨١. علي الشرقي. الاحلام. ص٩١.

٣ – النجفي الفوجاني. المصدر السابق. ص٣٠٤.

٤ – علي الخاقاني. المصدر السابق. ص٨٨.

الإصلاحية ((الناجي السويدي))، اذ كان يحرضهم على المطالبة بالدستور ويدافع عنهم أمام مناوئيهم[1].

ولشعور جماعة الدستور (المشروطة) بهدف مشترك يربط بينهم ولوجود قاعدة فكرية واحدة ينطلقون منها لتكثيف جهودهم المطالبة بالدستور وللحفاظ على ما حصلوا عليه من مكاسب، فقد أصبح هناك اتصال بين كل من الدستوريين في كل من العراق وإيران وتركيا، وأصبحت النجف مقرا لهذه الاتصالات فقد غدت مركزا سياسيا مهما له صوت مؤثر بين عواصم الأمم الإسلامية[2].

وعندما حاول السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩) الوقوف بوجه الاتحاديين الداعين للدستور والالتفاف حول الوضع الدستوري[3]، استنجد النواب الاتحاديون في اسطنبول بالشيخ محمد كاظم الأخوند وأبرقوا له يطلبون منه التدخل بعد أن عطل عبد الحميد العمل بالدستور، فبعث الأخوند ببرقية إلى عبد الحميد يحذره من أن عمله هذا مخالف للقرآن الكريم، مهددا إياه بالطرد من عرش السلطنة كما حصل سابقا لشاه إيران محمد علي[4]. وقد بعث الشيخ الأخوند الرسالة عن طريق البريد، ولكن قبل وصولها كان الاتحاديون قد استطاعوا خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ عن العرش وجعلوا مكانه أخوه محمد رشاد[5].

وحينها أرسل محمد رشاد برقية مع أخرى من شيخ الإسلام إلى الشيخ

---

١ – علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، ص١١٩.

٢ – علي الخاقاني، شعراء الغري، جـ ١٠، ص٨٩.

٣ – الحياة (مجلة)، العدد الاول، المجلد الاول، ١٩١٠، ص٤٨.

٤ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ج١٠، ص٩٠.

٥ – المصدر نفسه، ج١٠، ص٩٠.

محمد الأخوند بشكرانه على موقفه[1].

وكان من نتائج الصراع بين المشروطة والمستبدة أن تكوّن في العراق جو جديد، إذ جرت المناقشات الصريحة والمناظرات المفتوحة في الجوامع والمدارس، وقد ولدت وعيا عاما في البلاد، فتوحّد المثقفون العراقيون بمختلف مذاهبهم ومشاربهم حول الدستور[2]، وأخذوا يستنشقون نسمات الديمقراطية والأفكار والمبادئ الدستورية. وقد تفاعلت الفئة المثقفة العراقية الحديثة التكوين مع هذا الجو الجديد فترك آثارا واضحة على أحاسيسها وأفكارها[3].

وكان من التأثيرات التي تركها هذا الصراع زيادة الوعي السياسي ومحاولة بعض المفكرين تقديم طروحاتهم مستمدة من الشريعة الإسلامية، والبحث عن أدلة لتدعيم فكرة الدستور، وهو ما دفع الشيخ ((النائيني))[4]، وهو من أنصار المشروطة إلى تأليف كتاب ((تنزيه الملة وتنبيه الملة)) في وجوب المشروطة، فكان أن أحدث صدوره ضجة في الأوساط العلمية، كما يذكر ذلك الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[5].

ثم إن الحركة خلقت طبقة مثقفة تمثل الجانب التقدمي بالنسبة لتلك المرحلة التي عاشت فيها وكان لها أثر في تطوير المجتمع العراقي، فظهرت تلك الدعوات إلى تأسيس المدارس الحديثة، وتعلّم اللغات والعلوم ومطالعة الجرائد والمجلات[6].

---

١ – القوجاني، المصدر السابق، ص٣١٢.

٢ – مجلة المستقبل العربي العدد المزدوج للاشهر (٨ – ٩ – ١٠)، ١٩٨٢، ص٧٩.

٣ – علاء الوهيبي، موقف العراق من الثورة الدستورية، ص١٠ – ١١.

٤ – حسين النائيني: ولد سنة ١٨٥٦م، نشأ في النجف وتعلم فيها الفقه والاصول، واصبح مرجعا توفي ١٩٣٧م. ينظر باقر الورد، المصدر السابق، ص٢٨١.

٥ – مجلة الرضوان، العدد السابع، السنة الثانية، رجب ١٣٥٥ هـ، ص٩.

٦ – الوردي، لمحات اجتماعية، ج٣، ص١٢٦.

سابعا : وفاته

أصيب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بمرض التهاب المثانة، وأدخل على أثر ذلك مستشفى الكرخ ببغداد في يوم ١٩٥٤/٦/١٦ لمعالجته من هذا المرض، وقد مكث في المستشفى المذكور شهرا كاملا[١]. وفي هذا الشهر لم ينقطع عن مزاولة بعض نشاطاته والاتصال بالشخصيات العراقية والقادمة من خارج العراق والتعرف على ما يستجد من أوضاع[٢].

وبعد خروجه من المستشفى في ١٦ تموز من نفس العام سافر إلى مصيف ((كرند)) في إيران للراحة والاستشفاء، وبعد يومين في ١٩ تموز ١٩٥٤ توفي هناك مثيرا عاصفة قوية من الأحزان والأسى لفقده[٣].

ولمكانته فقد حضر ممثلو الحكومة العراقية إلى مصيف ((كرند))، ونقل جثمان الشيخ إلى بغداد وجرى له استقبال كبير شارك فيه الوزراء والشخصيات المهمة وجماهير غفيرة، وقد رافق كبار مسؤولي الدولة جثمان كاشف الغطاء إلى مدينة كربلاء، وفيها استقبل استقبالا جماهيريا حافلا، وبعدها نقل إلى النجف الأشرف ترافقه عشرات السيارات، وكان الناس في النجف قد خرجوا بأعداد غفيرة لاستقبال جثمان الفقيد، وقد جرى له تشييع مهيب ليدفن بعدها في مقبرة النجف[٤].

وأقيمت لكاشف الغطاء مجالس الفاتحة في مختلف المدن العراقية وفي بعض البلاد العربية الإسلامية، تقديرا للمكانة المرموقة التي كان يتمتع بها، وقد استمرت هذه المجالس إلى يوم الأربعين من وفاته مع استمرار الوفود بالتقاطر لحضور هذه المجالس، وأبنته الجمعيات الثقافية والعلمية، ونعته

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٦.

٢ – علي الخاقاني، شعراء الغري، ج١٠، ص١٢٨.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٦.

٤ – علي الخاقاني، المصدر السابق، ج١٠، ص١٢٩.

الصحافة في مختلف أنحاء العالم ورثاه الشعراء بقصائدهم[1]. كما أذيع نبأ وفاته من الإذاعات العالمية[2].

وخير ما نختار مما قيل في حقه من قصائد، مقاطع من قصيدة الشاعر عبد المهدي مظر في أربعينية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[3].

يافيلـــق الديـــن انصـــدع وتبـــدد ... سقـــط اللواء من الكمى والمنجد

واكتم حديثك بالعدو بمسمع ... منـــه (وداد الاعتماد) بمرصد

وامســـح دموعـــك ياعراق تجلدا ... فأمـــاد عيـــنيك بسمـــة المستبعد

واهتـــف بـــذكـــر (أبـــي الحليم) ... فذكـــره غضب تطيح به كف المعتدي

واذا الطـــغاة تباشرت فاشحذ لهم ... مـــن روحه الوثاب أي مهند

واذا خطـــا المستعمـــرين تقدمـــت ... فقل ارجـــعي فالـــدرب غير معبد

ودرت بـــأن الحـــق غيـــر مسالم ... وعقيـــدة (الدولار) لـــم تتأيد

فكشفـــت عن شره النفوس غطاءها ... وفضحـــت غامـــض كيدها المتهود

وتحطمـــت بيـــديك كـــل دعاية ... لبســـت لباس الناصح المتودد

وأريتـــهم أن الحمايـــة باطـــل ... ذهبـــت به الأيـــام لم يتجـــدد

وأريتهـــم أن العروبـــة أعيـــن ... يقظـــى وإنك ساهر لم ترقد

قـــم وابعـــث الأمـــل الـــدفيـــن ... فإنه في غير لحدك قط لما يلحد

فعســـاك تـــدفع عن بلادك طامعا ... مازال ينحت جسمها في مبرد

فلقـــد عهدتك لا تنـــام على القذى ... يقظا سوى السعدان لم تتوسد

---

١ – علي الخاقاني. شعراء الغري. جـ ١٠، ص١٢٩.

٢ – مقابلة شخصية مع الشيخ شريف كاشف الغطاء بمكتبه بتاريخ ١٠ /٨/ ٢٠٠١.

٣ – النجف (مجلة) العدد الثاني عشر. السنة الثانية. في ٤ ربيع الاول ١٣٧٨هـ الموافق ١٨ايلول ١٩٥٨م ص ٢١ – ٢٣.

الفصل الثاني

دوره في الحركة الوطنية العراقية
من عام ١٩١٥ – ١٩٥٤ م

أولا : دوره في حركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٥م

ثانياً : دوره في أحداث العشائر عام ١٩٣٥ م

ثالثا : دوره في حركة مايس عام ١٩٤١ م

رابعا : موقفه من انتفاضة الشعب ١٩٤٨ م

خامسا : موقفه من حركة الاضرابات عام ١٩٥٢ م

دور الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في الأحداث الوطنية

١٩١٥ -١٩٥٤

أولا : دوره في حركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٥

في بداية آب ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى، وكان موقف الحكومة العثمانية في البداية موقف الحياد، غير أن هذا الموقف خضع لضغوط عديدة من أجل زج العثمانيين في هذه الحرب، ولاسيما أن الدول الاستعمارية كانت تريد فرض الحرب على الدولة العثمانية[١] لتحقيق أغراضها الاستعمارية في تقسيم البلاد الخاضعة للسيطرة العثمانية. وقد التقت هذه الدوافع مع رغبة الزعماء الاتحاديين الجامحة في دخول الحرب إلى جانب المانيا، والذين تصوروا أن النصر يكون حليف الألمان وهزيمة أعدائهم وكان للبعثة الألمانية المسيطرة على الجيش العثماني دور في تشجيع هذا الاتجاه الموالي لألمانيا[٢].

---

١ - سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ط١، مركز الغدير - بيروت ١٩٩٤، ص٧٩.

٢ - طه الهاشمي، حرب العراق، ط١، ط٢، مطبعة النجاح بغداد ١٩٣٦، ص٢١ ٢٢

في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ تقدم الجيش البريطاني باتجاه البصرة يريد احتلال العراق والسيطرة على ثرواته والاستيلاء على شؤونه ومقدراته[١]. وكانت دوافع البريطانيين لاحتلال العراق فرض سيطرتهم على ابار النفط والمحافظة على مصالحهم[٢]. فضلا عن أن تقدمهم سيكون له دور واسع في الشرق الأوسط، وخاصة في إيران وأفغانستان، وسيزيد الأثر الذي خلفه عدم النجاح في مناطق أخرى. وكذلك فإن احتلال العراق سيؤدي إلى عزل الموالين للألمان في ايران ويحبط المحاولات الألمانية لإثارة المسلمين، إذ سيكون له أثر كبير في البلاد العربية[٣].

في٧ تشرين الثاني١٩١٤ أعلنت الدولة العثمانية الجهاد ضد البريطانيين وحلفائهم الروس والفرنسيين، إذ أصدر شيخ الإسلام - وهو صاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية - الفتوى بجهاد الدول المعادية للدولة العثمانية، وأنه فرض عين على جميع المسلمين في العالم ومن ضمنهم الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا، ودعت الفتوى المسلمين إلى الوحدة لمقاومة هذه الدول الثلاثة عدوة الإسلام. ثم أصدر السلطان بلاغا للجيش والإسطول العثماني في ١١ تشرين الثاني ١٩١٤ أعلن فيه الحرب للدفاع عن دولة الإسلام المهددة. ثم لحقه في اليوم الثالث والعشرين من الشهر نفسه بيان موجه إلى العالم الإسلامي اصدره شيخ الإسلام وثمانية وعشرون عالما من ذوي المناصب الدينية الكبيرة،

---

١ – احمد الحسيني، الامام ثائر السيد مهدي الحيدري، مطبعة الآداب – النجف الاشرف، بلا تاريخ، ص٢٩.

٢ – هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ط١، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٩ ص٦٧.

٣ – عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي، ج١، ط١، مطبعة العرفان – صيدا١٩٥٧، ص٥٥.

أهاب البيان بالمسلمين في العالم أن يطيعوا كتاب الله وأوامره وأن يشتركوا في الدفاع عن الإسلام والأماكن المقدسة[1].

وكانت القوات البريطانية قد تمكنت من إنزال كتيبة تابعة لفيلق المشاة السادس عشر في ميناء الفاو، ورفعت العلم البريطاني محل العلم العثماني وأخذت بالتقدم نحو البصرة[2].

شعر المسلمون في العراق بالخطر المحدق ببلدهم وما سيحيق بهم من كوارث اذا تمكن البريطانيون من السيطرة على العراق، وما يسببه من محن وضرب للعقيدة الإسلامية[3].

وقد أدى هذا الغزو إلى تغيير في استراتيجية زعماء العراق وعلماء الدين، الذين كانوا يضعون الخطط للتخلص من الحكم العثماني وتحقيق استقلال العراق، وكانوا يترقبون الفرصة لتحقيق ذلك. وحين وقع الغزو البريطاني لم يجدوا بدا من التعاون مع العثمانيين والعمل معهم في جبهة واحدة ضد الحلفاء[4]. ولاسيما بعدما توالت البرقيات من مختلف الأطراف إلى علماء الدين تدعوهم إلى إعلان الجهاد. وكان أخطر هذه البرقيات البرقية الواردة من البصرة إلى علماء الدين في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ تستعين وتطلب النجدة من رؤساء البصرة: ((ثغر البصرة الكفار يحيطون به، الجميع تحت السلاح، يخشى على باقي بلاد الإسلام ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع))[5]. وأرسلت الحكومة العثمانية وفدا إلى النجف بغرض الطلب من

---

١ – جورج انتونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ط٤، نشر ناصر الدين الاسد واحسان عباس، دار العلم للملايين، ١٩٧٤ . ص٢٢٢.

٢ – عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق، ص٨٤.

٣ – احمد الحسيني، الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، ص٢٩

٤ – محمد جواد مغنية، مع علماء النجف، ط٣، دار القلم، بيروت ١٩٦٥، ص١١٥.

٥ – احمد الحسيني، المصدر السابق، ص٢٩.

علماء الدين لإصدار الفتاوى بالجهاد، وقد تمّ للوفد التركي ما أراد، وأصدر علماء الدين الفتاوى بهذا الخصوص[1].

ويصف كاتب معاصر قضية الجهاد ضد الحلفاء: ((إن فكرة العاملين من المجاهدين فكرة وطنية، والتضحية قضية عربية وليس دفاعاً عن العثمانية، وكان الاعتقاد السائد أن دولة العثمانيين قد ولت ولابد من العمل بدقة وحذر حتى لا نكون قد تخلصنا من الأفاعي ونمنا فوق العقارب. أي لا نكون قد تخلصنا من الأتراك وتورطنا مع الانكليز. فإننا لا نريد هؤلاء ولا أولئك، بل نثبت الحق السليب ونحاول بكل ما أوتينا أن نستهدف الظروف، فنقدم القضية العربية إلى العالم ولو بذراع واحدة))[2]..

وفي مجال دفع الناس للالتحاق بجبهات القتال فقد عملت الدعاية العثمانية بأقصى طاقاتها لإثارة الناس للاشتراك في الجهاد، واستخدموا كل الأساليب لإيقاد روح الحماس الديني، فقد أصدروا النشرات التي تحض لإثارة الناس والأتراك على الجهاد، وأقيمت المراسيم الدينية التي عرضت فيها بعض الآثار الباقية في المدن المقدسة في النجف وكربلاء، مثل السيف الذي يرجع إلى الإمام الحسين بن علي(عليه السلام)[3].

ويصف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تلك الأيام قائلاً : ((أعلنت الحرب الأولى وقامت القيامة وترى الناس بسكارى وما هم بسكارى ولكن هول الحرب شديد، وتفاقم البلاء وسيق الرجال عموماً إلى ميادين المنايا ولم يبق سوى النساء))[4].

---

١ – علي الوردي. غايات اجتماعية. ج٤. ص١٢٨.

٢ – علي الشرقي. الاحلام. ص١٠٠.

٣ – جورج انطونيوس. يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية. ص٢٢٣.

٤ – مذكرات خطية حول الجهاد للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. الورقة ٢ محفوظة عند ولده الشيخ شريف.

وتمشيا مع دعوات الجهاد وإصدار العلماء الفتاوى بهذا الشأن، فقد أصدر السيد محمد كاظم الطباطبائي فتوى بجهاد البريطانيين، واعتبر أن القضية هي قضية هجوم الكفر على الإسلام، وأعلن وجوب النفير العام على كل متمكن من الدفاع عن الإسلام. وكلف السيد الطباطبائي الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بمهمة العمل لنشر دعوة الجهاد ومراسلة زعماء العشائر وحثهم على القتال، والعمل على الاتصال بالحكومة العثمانية ومراجعتها في الشؤون اللازمة، وتهيئة الأسباب والمعدات للمجاهدين في سائر الجبهات، إذ كانت النجف هي العاصمة الروحية التي تلعب دورا كبيرا في مهمة الجهاد[1].

والحقيقة أن فتاوى الجهاد التي أطلقها علماء الدين واندفاع الناس تلبية لنداء الجهاد الذي أصدره هؤلاء العلماء، لم تكن هذه الفتاوى من باب الدفاع عن الدولة العثمانية التي عرفت باضطهادها للناس، وإنما كانت للدفاع عن بلاد الإسلام بوجه قوة أجنبية غازية، وخوفا من سيطرة البريطانيين عن مقدرات العراق وهو البلد العربي الإسلامي.

وفي سبيل تهيئة الناس للجهاد فقد تمّ إقامة اجتماعات وعقد ندوات لدعوة الناس للالتحاق بفصائل المتطوعين للقتال، وعلى هذا المنوال فقد عقد اجتماع كبير في مسجد الهندي في مدينة النجف الأشرف ألقيت فيه الخطب التي أكدت على وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الإسلام. وفي الصحن الحيدري خطب بالناس السيد محمد كاظم الطباطبائي يدعوهم إلى الدفاع عن البلاد الإسلامية، وأوجب على الغني العاجز بدنا أن يجهز من ماله الفقير القوي[2].

١ – مذكرات خطية حول الجهاد للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الورقة ٤.

٢ – سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص٨٢.

وكان أول المتوجهين إلى جبهات القتال ضد البريطانيين السيد محمد سعيد الحبوبي[1]، فقد انطلق الحبوبي من النجف في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ تاركا حلقة الدرس وندوة الأدب واتخذ له مع المجاهدين مركزا في منطقة الشعيبة[2].

وقد تلا ذلك توجه قوافل المجاهدين إلى جبهات القتال عن طريق بغداد، وكان من بين تلك القوافل قافلة المجاهدين التي ضمت الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد محمود كاظم الطباطبائي كموفدين عن الطباطبائي إلى جبهات القتال، وضمت هذه القافلة بعض الطلبة وغادرت النجف في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٤[3].

ويتحدث الشيخ كاشف الغطاء عن تحرك قافلتهم من النجف باتجاه بغداد، إذ ضمت القافلة ثلاثمائة مجاهد، وكان فيهم الأعيان والأشراف من رجال النجف، وهم يرفعون العلم الحيدري أمامهم، وبلغت عدد السفن التي نقلت هؤلاء المجاهدين من شريعة الكوفة أربعين سفينة، وعند وصولهم مدينة ذي الكفل[4] ارتقى المنبر شيخ الشريعة[5] فوعظ الناس وحث على حماية

---

١ – محمد سعيد الحبوبي: ولد في النجف الاشرف عام ١٨٥٨ وكان فقيهاً وعالما دينيا معروفا فضلا عن انه كان شاعرا بارعا توفي عام ١٩١٥ بعد معركة الشعيبة ينظر: مقدام عبد الحسن الفياض. تاريخ النجف السياسي ١٩٤١ – ١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب جامعة الكوفة عام ٢٠٠١م. ص٥٤ – ٥٥.

٢ – حسن الاسدي. ثورة النجف. ص٩٩.

٣ – حسن الاسدي. المصدر السابق. ص٩٠.

٤ – ذي الكفل مدينة تتوسط المسافة بين النجف والحلة وهي تابعة للاخيرة. وسميت بذلك نسبة إلى مقام النبي ذي الكفل الموجود فيها.

٥ – هو فتح الله بن محمد جواد الملقب بشيخ الشريعة ولد ١٨٤٦ وتوفي عام ١٩٢٠ بعد مشاركة فعالة في ثورة العشرين وقد كان عالما مجتهدا وعارفا بـ الرجال والتفسير والكلام والفقه. ينظر: محمد هادي الاميني. رجال الفكر والادب خلال ألف عام. ص ٢٤٩.

الأوطان ودفع العدو. ثم تلاه السيد محمد نجل السيد الطباطبائي فوعظ أيضا وأبلغ الناس بوجوب الجهاد، ثم انفض الجميع. وفي اليوم التالي انطلقت سفن المجاهدين متجه غربا إلى أطراف المسيب ورست على ضفة الفرات من الجانب الغربي إزاء السدة القديمة. وكان المجاهدون يحثون الناس على الجهاد في المدن والقرى التي يمرّون بها وعند وصولهم بغداد خرج الناس لاستقبالهم وهم يرددون هتاف الله اكبر، ثم توجه الموكب إلى سراي الكوفة فألقى معاون الولاية خطبة باللغة التركية حيا فيها العلماء وأظهر لهم -نيابة عن الحكومة العثمانية - غاية الامتنان[1].

وفي الكاظمية جرت مفاوضات بين مجاهدي النجف وكربلاء، ومن بينهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وشيخ الشريعة وعلى الداماد وبين السيد مهدي الحيدري من كبار علماء الدين في الكاظمية، وتناولت المفاوضات الخطط المقررة لعملية الجهاد. ثم توجه المجاهدون إلى جبهات القتال سبقهم السيد مهدي الحيدري بموكب كبير وقد شيعته جماهير بغداد والكاظمية[2].

وتوزع المجاهدون على ثلاث مجموعات، الأولى في القرنة برئاسة السيد مهدي الحيدري وشيخ الشريعة، والثانية في الحويزة برئاسة الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمود الطباطبائي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والثالثة في الشعيبة برئاسة السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد محسن الحكيم[3].

قاتل المجاهدون القوات البريطانية ببسالة، وقد استطاعوا تحقيق النصر

---

١ - مذكرات كاشف الغطاء حول الجهاد لورقة ٦.

٢ - احمد الحسيني، الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، ص ٣١ - ٣٤.

٣ - سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص ٨٤.

على هذه القوات في معركة «الروضة» قرب القرنة، إذ أبلوا في هذه المعركة بلاء حسنا وكبدوا القوات البريطانية خسائر كبيرة بين قتلى وجرحى[1]، لكن الفرق الكبير بين القوات البريطانية والقوات العثمانية ومعها المجاهدين كان عاملا مهما في الحسم العسكري في النهاية، فأثر على الجنود العثمانيين الجوع وفقدان التجهيزات فضلا عن تفوق البريطانيين في السلاح[2].

وفي رسالة من الشيخ كاشف الغطاء إلى السيد محمود الطباطبائي يخبره فيها بما حققه المجاهدون من انتصارات على القوات البريطانية[3].

أما جبهة الشعيبة التي تقع على بعد تسعة أميال من الجنوب الشرقي للبصرة فقد وقعت فيها معركة في ٢١ نيسان ١٩١٥، وكان للمجاهدين دور كبير فيها. وكانت خطة المعركة التي وضعها القائد العثماني سليمان العسكري تقضي بقيام الجيش النظامي بالهجوم من الوسط فيما يقوم المجاهدون بالهجوم من الجانبين. إلا أنهم أعلموا سليمان العسكري أن الهجوم على الشعيبة لا يحقق النتائج المطلوبة نظرا لقوة التحصينات التي اقامها البريطانيون، وقد أبدى الضباط الألمان نفس الموقف، إلا أن العسكري أصر على موقفه[4].

وقد خاض المجاهدون معركة كبيرة ضد القوات البريطانية استمرت ثلاثة أيام، ولكن تفوق البريطانيين العسكري وتحصنهم أنهى المعركة لصالحهم، فكان من نتائج ذلك انتحار قائد الجيش العثماني سليمان

---

١ – احمد الحسيني. الامام الثائر السيد مهدي الحيدري. ص ٤١.

٢ – طالب مشتاق. اوراق ايامي – بغداد والعراق والوطن العربي. ١٩٠٠ – ١٩٥٨. ط٢ دار واسط للطباعة بغداد ١٩٨٩. ص ١٦ – ١٧.

٣ – ملحق رقم واحد.

٤ – سليم الحسني. دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار. ص ١٠٠.

العسكري[1]. وأثرت تلك الأحداث على السيد محمد سعيد الحبوبي فأدت إلى مرضه ثم موته قهراً وكمداً[2].

ولم تقف جهود المجاهدين عند هذا الحد، فبعد واقعة الشعيبة وواقعة ناحية القرنة جهزوا حملة ثانية للقتال على جبهة الكوت، وكان يقود الجيش التركي خليل باشا. وانطلقت هذه الحملة بعد أن تجهزت وكانت تضم السيد محمود نجل السيد الطباطبائي وشيخ الشريعة والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وقد شارك هؤلاء المجاهدون مع القوات التركية في حصار القوات البريطانية، لكن المجاهدين رجعوا إلى النجف قبل استسلام القوات البريطانية للجيش العثماني[3].

والحقيقة أن المجاهدين لعبوا دوراً مهماً في ضرب القوات البريطانية على جبهة الكوت والحقوا بها ضربات موجعة وخسائر بالأرواح والمعدات، حتى إن الجنرال البريطاني ((طاوزند)) قائد القوات البريطانية المحاصرة اعترف بشدة الهجمات التي شنها المتطوعون العرب[4]. فقد كانت مسألة الجهاد شيئاً مخيفاً في نظر البريطانيين، فهؤلاء المتطوعون للجهاد كانوا يخوضون المعارك بطريقة شبيهة بحرب العصابات، مدفوعين بحماسة وعزم إلى قتال أشد بأساً وثباتاً[5].

لكن العثمانيين لم يعاملوا هؤلاء المجاهدين المعاملة الحسنة بل إنهم استمروا في معاملتهم القاسية للناس، وكما يذكر الشيخ كاشف الغطاء، فقد

---

١ – عبد الله النفيس. دور الشيعة في تطور العراق. ص٨٩.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء. مذكرات حول الجهاد. الورقة ٧.

٣ – المصدر نفسه. الورقة ٧.

٤ – عبد الله النفيس. المصدر السابق. ص٨٩.

٥ – هادي طعمة. الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية. دائرة الشؤون الثقافية – بغداد ١٩٨٤. ص٦٥.

كان قادة الجيش العثماني يتصرفون بقسوة وقباحة مع المقاتلين العرب المتطوعين، فضلاً عن سوء الإدارة في جميع النواحي ومع توفر الأغذية والأطعمة في مخازن الجيش العثماني، فقد عانى المقاتلون من شحة الطعام لهم والعلف لحيواناتهم، وكان الحصول على الطعام يتطلب معاملات رسمية وأوراق وتحويلات، مما أدى إلى هلاك كثير من المرضى لصعوبة معالجتهم بسبب هذه العراقيل. وعندما انهزم الأتراك وانسحبوا من الشعيبة وغيرها، فقد أحرقوا كميات كبيرة من تلك الأطعمة، واستولى البريطانيون على الباقي وهو ما كان له أثر سلبي على نفسية وروحية المقاتلين[1].

ثم إن الشيخ كاشف الغطاء يرجع بعض أسباب الانكسارات التي لحقت بالجيش العثماني والمجاهدين إلى التعاون القائم بين شيخي المحمرة والكويت مع البريطانيين ومساعدتهم للجيش البريطاني، ويصف الشيخ هذين الشيخين برأس الخونة[2].

ومما يذكر في صدد سوء تصرف الأتراك مع المجاهدين العرب هذه الحادثة: أنه في جمادي الأول من عام ١٣٣٥هـ ١٩١٥م، توغلت في الحدود العراقية كتيبة من الجنود العثمانيين والمتطوعين السوريين وطابور من ضباط الاحتياط بقيادة حسين رؤوف، فراح يسيء معاملة العراقيين ويقتل وينهب ويسلب من العشائر التي تشكل مؤخرة الجيش العثماني ورافدا مهما للمتطوعين. وقام هذا الضابط العثماني مع جنوده بقتل رجال الدين الذين كانوا يتجولون بين العشائر لتحريضهم على الجهاد، وكان من القتلى الشيخ جعفر بن الشيخ تقي وهو من الشباب النجفيين، وتم سلب سبعمائة ليرة ذهبية منه كان قد جمعها دعماً للمجهود الحربي، وكان لهذه الأعمال انعكاس سيء

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، مذكرات حول الجهاد، ورقة ٨.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مذكرات حول الجهاد، ص٩.

على الفرات والنجف، إذ أخذ الناس يتداولون جرائم العثمانيين بحق الناس[1].

كل هذا حدث لاحقاً في النجف، وكان ممهداً لقيام ثورة النجف على الأتراك في ١٩١٥ وقيام الحكم العربي المحلي فيها.

ثانيا : دوره في أحداث العشائر ١٩٣٥

بعد أن شكل علي جودت الأيوبي وزارته الأولى في ٢٢ / أيار /عام ١٩٣٤، عملت حكومته على حل مجلس النواب في ٤ أيلول ١٩٣٤[2]، وكان هدفها من ذلك إبعاد المعارضين من أعضاء حزب الإخاء الوطني وأنصارهم من شيوخ العشائر من المجلس الجديد[3]. وقد علّل الأيوبي حل مجلس النواب – الذي كان قد رفضه سابقا – بأن الظروف لم تكن مناسبة لحله، لأن البلاد كانت مشغولة بوفاة الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣، والآن قد تغيرت الأحوال وأصبح من الملائم حل المجلس[4].

وافق الملك غازي على طلب الأيوبي المتعلق بحل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة، مثيرا بذلك جماعة حزب الإخاء الوطني الذي رفض طلبهم في عهد وزارة رشيد عالي الكيلاني التي سبقت وزارة الأيوبي بحل البرلمان[5].

---

١ – حسن الاسدي، ثورة النجف، ص٩٢.

٢ – عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٤، ص٣٥.

٣ – عز الدين عبد الرسول المدني، محسن ابو طبخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية الاداب جامعة الكوفة ص ٧٤.

٤ – الحسني، تاريخ الوزارات ج٤ ص٣٥.

٥ – عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ – ١٩٤٥، ج٢ ، دار الرشيد بغداد ١٩٨٠ ، ص – ٣٨١ .

وفي ١٥ أيلول ١٩٣٤ أصدرت وزارة الداخلية أوامرها إلى متصرفي الألوية بالشروع بإجراء الانتخابات.

في ٦ كانون الأول ١٩٣٤[١]، وبعد إجراء الانتخابات أسفرت النتائج عن حصول أعضاء حزب الأيوبي على الأغلبية في المجلس النيابي الجديد، وحرمان كثير من زعماء الأحزاب والعشائر المتنفذين من مواقعهم النيابية[٢]. وكانت حكومة الأيوبي قد أعدت لأمر الانتخابات عدتها حتى تجرى حسبما تريد وتشتهي، فعلّقت أسماء بعض الذين يحق لهم الانتخاب من الوجهة القانونية، ثم جاء دور المنتخبين الثانويين، فكان جلهم من موظفي الحكومة وسعاة البلدية والمالية ومن الموالين للحكومة وسياستها. وقد جرت الانتخابات في ظروف غريبة وحدثت مخالفات واضحة، وكان من نتيجتها وصول صغار الشيوخ والسراكيل إلى المجلس النيابي الجديد ليحلوا محل الزعماء العشائريين الكبار الذين كان أكثرهم تضمّه صفوف المعارضة. وعمدت الحكومة ولأجل إسكات أصوات المعارضة إلى جعل بعض أصحاب الصحف نوابا في المجلس الجديد[٣].

وبهذا فقد كان التمثيل القبلي في المجلس الجديد ضعيفا مقارنة بعدد ممثلي المدن[٤]، وحسب التشكيلة الجديدة للمجلس النيابي فإنه مؤيد للحكومة الأيوبية.

أثارت نتائج الانتخابات المعارضين للحكومة الممثلين بحزب الإخاء الوطني الذي يتزعّمه ياسين الهاشمي والمعروفين بأطماعهم للوصول

---

١ – عز الدين المدني، محسن أبو طبيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، ص٧٤.

٢ – العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦، ترجمة وتعليق نجدت فتحي صفوت. منشورات مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة، بغداد ١٩٨٣ ص١١٣.

٣ – الحسني تاريخ الوزارات، ج٤، ص٣٦ – ٣٧.

٤ – عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، ١٩٦٧، بلا مكان، ص٢٤٣.

للسلطة[1]. وجماعة رؤساء العشائر الفاقدين لمراكزهم النيابية، فظهر التعاون والتواطؤ بين الطرفين - الحكام الذين هم خارج السلطة والعشائر - لاسقاط الحكام الذين هم في سدة الحكم من أجل المناصب الحكومية[2].

وبذلك فقد بدأ العمل الحثيث لإسقاط حكومة الأيوبي من خلال عرقلة عملها وتحريض العشائر ضدها، ففي يوم ٢٩ كانون الأول ١٩٣٥ افتتح الملك غازي الاجتماع الاعتيادي الأول للمجلس النيابي الجديد في دورته الانتخابية الخامسة، وألقى خطاب العرش الذي أعدته الوزارة، وكان خطابا موجزا[3].

وعندما تمّت مناقشة خطاب العرش في مجلس النواب استطاع النواب الموالون للحكومة إسكات صوت المعارضة الضعيف في المجلس دون صعوبة، وذلك راجع إلى قلة عددهم قياسا إلى عدد المؤيدين. وكان للعدد الكبير من النواب المؤيدين للحكومة أمام النواب المعارضين دورا في هذا الاتجاه، إلا أن للمعارضة موقفا آخر في مجلس الأعيان، إذ تمكن حزب الإخاء الوطني - الذي يتزعمه الهاشمي والكيلاني - من حشد تسعة من أعضاء مجلس الأعيان العشرين مع مواقفه. وكان صوت المعارضة في مجلس الأعيان قويا بتوجيهه نقد قاس وعنيف، إذ تضمّن جواب مجلس الأعيان على خطاب العرش هجوما على الحكومة وانتقادا لحل مجلس النواب في أيلول الماضي، والطريقة التي تمّت بها الانتخابات للمجلس اللاحق. وكان ذلك بمثابة التصويت بعدم الثقة بالحكومة عبّر عنه الأعيان الذين تصرفوا

---

١ - عبد الرزاق الحراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ص١٤.

٢ - عبد الغني الملاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، سلسلة كتاب الجماهير - بغداد ١٩٧٥، ص١٦٥

٣ - الحسني، تاريخ الوزارات ج٤، ص٣٨.

على غير المألوف والمعروف عنهم بالهدوء وعدم المعارضة [1].

وكان لهذا الموقف الغاضب لمجلس الأعيان صدى في الأوساط الشعبية والمثقفة، فقد وردت برقيات التأييد والمناصرة إلى الأعيان المعارضين من مختلف المدن العراقية؟ وكان للمحامين موقف أكثر تأييدا عندما أرادوا إقامة حفلة تكريم للأعيان المعارضين، فوقفت الحكومة مانعة إياهم من القيام بذلك، لكنهم ردّوا متحدّين قرار الحكومة بالمنع، مؤكدين ان ليس في القانون ما يمنع عقد الاجتماع، وقرروا إقامة الحفل في دار المحامي عوني النقشلي، ودعوا العديد من الشخصيات للحضور، لكن الشرطة استعملت القوة وحالت دون قيام الحفل وأوقفت بعض المحامين القائمين على ذلك الحفل. وهو ما أثار بقية المحامين فرفعوا برقية احتجاج بذلك إلى الملك مدعين أن الاجتماع الذي كانوا ينوون عقده يتم بطريقة قانونية، ولا يخالف الدستور الذي يكفل لهم الحق في عقد مثل هذه الاجتماعات ماداموا يحترمون القوانين المرعية، وأن عمل الحكومة بمنع الاجتماع يعد مقيدا لحرية الشعب. ورفع المعارضون – ومن بينهم الذين منعوا من عقد الاجتماع – عريضة إلى الملك [2].

ولم يقف الأعيان والمحامون وحدهم في مواجهة حكومة الأيوبي فقد تحرك شيوخ العشائر الذين فقدوا مصالحهم وكراسيهم في مجلس النواب، فأخذ هؤلاء يعملون لتوحيد أنفسهم لاستعادة دورهم الذي فقدوه [3].

واستفاد السياسيون المعارضون لحكومة الأيوبي من الزعماء العشائريين، فعمل حزب الإخاء الوطني الذي يمثل السياسيين المعارضين

---

١ – نجدت فتحي، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص١١٣.

٢ – الحسني، تاريخ الوزارات، ص٤، ص٢٥ – ٢٦.

٣ – حسن علي عبد الله السماك، عشائر منطقة الفرات الاوسط ١٩٢٤ – ١٩٤١، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة ١٩٩٥، ص٢١٢.

على استغلال العشائر في صراعه للوصول للسلطة، وأخذ هؤلاء بعقد الاجتماعات في بيت الكيلاني في منطقة الصليخ[1] ببغداد، أو لتنسيق جهودهم والتداول في الوضع القائم وإعطاء التعليمات لزعماء العشائر للتحرك ضد الحكومة. وكان من أبرز هؤلاء المتعاونين من أصحاب الأراضي والمتضررين ((محسن أبو طبيخ))[2]، والذي كان مخلصاً لياسين الهاشمي ويده المنفذة في محاولته الوصول للسلطة، وقد أستطاع التأثير على عبد الواحد آل سكر زعيم عشائر آل فتلة وضمّه إلى المتحالفين في هذا التجمع[3].

وقد وقع المجتمعون بالصليخ على وثيقة التزام أطلق عليها حكمت سليمان ((العهد المقدس)) وأقسموا على طاعتها بعد وضعها على القرآن الكريم، وكان آخر الموقعين عليها ياسين الهاشمي. وكان أهم ما تضمنته هذه الوثيقة عدم جواز الاشتراك في الحكم لأي من الموقعين دون موافقة القائمين بهذا الحلف الذي ضم إليه بعض زعماء العشائر من المنطقة الشمالية[4].

١ – كانت اجتماعات الصليخ تعقد في منزل رشيد عالي الكيلاني او منزل حكمت سليمان في منطقة الصليخ وهما متجاوران وبين الاثنين صلة نسب وكانت الاجتماعات سرية واشترك فيها ياسين الهاشمي وجعفر ابو التمن اضافة الى زعماء العشائر المعارضين للحكومة وكانت هنالك اجتماعات بين نفس المجموعة تعقد في مدينة النجف فكان الكيلاني وحكمت سليمان يسافران اليها سراً.
ينظر: الرابطة العربية (مجلة)، مجلد الثالث، جزء(٧٣)، القاهرة في ٢٧ اكتوبر ١٩٣٧، ص٢٥.
محسن ابو طبيخ، المبادئ والرجال، مطبعة ابن زيدون، دمشق ١٩٣٨، ص٦٩.

٢ – محسن أبي طبيخ: ولد سنة ١٩٧٦ في غماس ملاك وصاحب اراضي زراعية واسعة وفرت له هيبة وسيطرة ونفوذا في منطقة الفرات الاوسط، وكان بروزه في ثورة العشرين عندما اختاره ثوار حاكما لكربلاء اذى أدوارا متعددة على الساحة السياسية كمعارض وعضو مجلس نواب والاعيان توفي سنة ١٩٦٢، عز الدين الدفلي، المصدر السابق، ص٨،٩،٣٨.

٣ – مذكرات خطية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الورقة ٧٦ محفوظة عند ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء.

٤ – الحسني، تاريخ الوزارات، ج٤، ص٥٠ – ٥١

وبالمقابل، فإن حزب الوحدة الوطنية الذي يتزعمه رئيس الوزراء على جودت الأيوبي ضمّ إلى صفوفه زعماء عشائر آخرين وقفوا إلى جانب الحكومة تأكيدا لمصالحهم معها[1].

وبذلك يكون رجال السياسة الموجودون في السلطة والمعارضين لها قد ادخلوا شيوخ العشائر في صراعاتهم السياسية، محاولين الفوز من خلالهم إلى سدة الحكم.

ولأجل الحصول على غطاء شرعي لتحركهم المعارض وتقوية موقفهم أمام الحكومة ومساندتها من شيوخ العشائر الأخرى، عقد عبد الواحد سكر (معارض) مؤتمرا في بيته في النجف في أول يوم عيد الفطر المصادف ٩ كانون الأول ١٩٣٥، ورفعوا كتابا إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء يطلبون فيه منه الوقوف إلى جانب تحركهم، مدعين أن هدفهم هو تحقيق الإصلاح، مؤكدين حرصهم للشيخ كاشف الغطاء على حفظ الأمن والسلام وضمان التقدم والرقي للشعب[2]. ووقع على هذه الرسالة محسن أبو طبيخ وعلوان الياسري وعبد الواحد سكر وشيوخ اخرون[3].

ومع الشكوك التي كانت تعتري الشيخ كاشف الغطاء من نوايا الموقعين لكنه كان يرغب في تحقيق الإصلاح ومطالبة الحكومة أيا كانت بالعدل والاستقامة وتعيين الموظفين الأكفاء حسب تعبيره، ولذلك فإنه وافق على الاجتماع بزعماء المعارضة[4]. وقد بذل محسن أبو طبيخ جهودا كبيرة في إقناع الشيخ وكسبه إلى جانب التحرك المضاد للحكومة القائمة من خلال

---

١ – مجلة الرابطة العربية، مجلد الثالث، جزء (٧٣) في ٢٧ اكتوبر ١٩٣٧، ص٢٥.

٢ – الحسني، تاريخ الوزارات، ط٤، ص٥١ – ٥٢.

٣ – عبد الرزاق الحراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية، ص٣٨٣.

٤ – محمد حسن كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٧٦.

تردده المستمر على بيت كاشف الغطاء، مثيرا إياه بما يهيج عواطفه ذاكرا أمامه مظالم الحكومة والاضطهاد الذي يتعرض له أبناء الشعب واختلاس أموال الدولة وأن من واجب الشيخ باعتباره عالما دينيا مسؤولا أمام الله الوقوف بوجه هذه المظالم ومحاربة الحكومة القائمة بوصفها المسؤولة عن كل ذلك[1].

وتحقيقا لإصلاح ذات البين بين العشائر المتنازعة، فقد دعا الشيخ كاشف الغطاء عبد الواحد سكر والسائرين على نهجه إلى اجتماع في دار الشيخ في ١١/كانون الثاني ١٩٣٥، ودعي إلى الاجتماع عدد آخر من الشخصيات، فجرى حديث حول الإصلاح ووجوب التكاتف والتعاضد لتحقيق ذلك. كما قرر المجتمعون تأييد الأعيان في موقفهم من الحكومة. ووجوب تقديم عرائض من قبل النواب ترفع إلى الملك والى رئيس مجلس الأعيان والنواب تطالب بحقوق الشعب[2].

وقد ظهر من خلال الاجتماع أن عبد الواحد سكر والشيوخ المؤيدين لحزب الإخاء يهدفون التوصل إلى نتائج سياسية سريعة أكثر من تحقيق الإصلاحات[3]. فبعد أن حصلوا على دعم لموقفهم من خلال الاجتماع مع كاشف الغطاء، فإنهم غادروا إلى بغداد وعقدوا اجتماعا مع الملك غازي في ١٤كانون الثاني١٩٣٥، وقدموا له مضابط أكدوا فيها بأن المصلحة العامة هي التي كانت وراء تقديم هذه المضابط، وتقدموا بطلبين:

١- حل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد وفق الدستور.

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٧٦.

٢ – الحسني . تاريخ الوزارات، ج٤، ص٥٢.

٣ – عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية، ص٣٨٣.

٢- إسقاط الوزارة وإبدالها بأخرى تحوز رضا الشعب[١].

أما الزعماء المؤيدون لحكومة الأيوبي، فقد قاموا بأعمال استعراضية إظهارا لقوتهم وتماسكهم من خلال جولات في مدن الفرات الأوسط. ولحلول عيد الفطر المبارك فقد أرسلوا برقيات تأييد للوزارة داعين الناس لمؤازرتها. لكن مسعاهم هذا قد خاب ولم يجدوا أذنا صاغية إلا بين أفراد عشائرهم[٢]. لاسيما بعد أن سبقهم المعارضون للحكومة إلى كسب مرجع مهم كالشيخ كاشف الغطاء إلى جانبهم، فضلا عن أن أفراد عشائرهم كانوا يرون بأعينهم المعاملة السيئة التي يتعامل بها موظف الحكومة مع الناس[٣]. فما كان من هؤلاء الرؤساء إلا السير على نفس الخطى التي سار عليها معارضو الحكومة، فتوجهوا إلى كاشف الغطاء طالبين منه الوقوف إلى جانبهم وتوحيد صفوفهم، فطلب الشيخ كاشف الغطاء من المعارضين والمؤيدين الحضور عنده، فحضر الجانبان، وعندما طلب رأي كل جهة أبدى مؤيدو الحكومة استعدادهم للاستقالة من عضوياتهم في مجلس النواب بشرط أن يستقيل معارضو الحكومة من عضوياتهم في مجلس الأعيان، فرفض الاخرون ذلك بحجة أنهم قاموا بواجبهم اتجاه الدستور، وكان الفشل مصير الاجتماع[٤].

ووصلت الأزمة إلى ذروتها وتطورت الأحداث إلى درجة كادت أن تؤدي إلى نشوب مواجهة وقتال بين العشائر المؤيدة للحكومة والمعارضة لها، فما كان من الشيخ كاشف الغطاء إلا التصدي لذلك بإصدار فتوى تحرم القتال بين العشائر لما يسببه ذلك من ضرر على البلاد، وربما يؤدي إلى

---

١ – محسن ابو طبيخ، الباذي والرجال، ص٧٧.

٢ – الحسني، تاريخ الوزارات، ج٤، ص٥٤.

٣ – نجدت فتحي، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص١١٤.

٤ – الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص٥٥.

تدخل الأجانب، فضلاً عن إراقة الدماء ونهب الأموال واضطراب حبل الأمن[1].

ولهذا، فقد وجدت وزارة الأيوبي نفسها في مأزق، لاسيما بعد أن تمكنت المعارضة في مجلس الأعيان من عرقلة عمل الحكومة التي عمتها الفوضى وزادت الخلافات عمقاً بين أعضائها. فلم تستطع الصمود والمقاومة على البقاء في السلطة، فكان ذلك كافياً لتقدم استقالتها في ٢٧ شباط ١٩٣٥[2].

وزارة محمد جميل المدفعي: اختلفت الآراء فيمن يشكل الوزارة الجديدة لتخلف وزارة الأيوبي المستقيلة، وهنا عمل الملك غازي برأي رئيس مجلس النواب والأعيان فدعا ياسين الهاشمي إلى تأليف الوزارة، بشرط عدم اشراك رشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان اللذان أديا دوراً بإثارة الاضطرابات بين العشائر. والشرط الثاني عدم حلّ مجلس النواب، وهي شروط رفضها الهاشمي[3]. وكان رفضه متوقعاً لالتزامه بمقررات اجتماع الصليخ ولذلك فقد كلّف الملك جميل المدفعي بتشكيل الوزارة التي تألفت في اذار ١٩٣٥[4].

لكن هذا التغيير لم يكن له أثر في تهدئة المعارضة، بل ازداد الأمر خطورة واستمرت العشائر في أعمالها العدائية للحكومة الجديدة، إذ قامت جماعة مسلحة من آل فتلة بسحب كافة السفن والأخشاب والأدوات وأنزلوها إلى جهتهم، وسلبوا أمتعة الحراس المسؤولين عن حماية الجسر[5].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٨٨.

٢ – نجدت فتحي، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص١١٤

٣ – المصدر نفسه، ص١١٤.

٤ – الحسني تاريخ الوزارات، ج٤، ص٦٠.

٥ – د.ك.و. البلاط الملكي، التمرد والغزوات، احداث ثورات الاوسط، رقم الملفة ١١١٥، ٣١١، ص٩.

وبدفع من جماعة ببغداد قام عبد الواحد سكر في ٩ آذار بتحشيد رجال عشيرته المسلحين ونشرهم بمنطقة أبي صخير وإيقاف عمل الحكومة واحتجاز الشرطة والموظفين المدنيين في مقراتهم وبيوتهم. وبعد ثلاثة أيام استولت قوة من عشيرة ((الأكرع)) على ناظم مهم في الدغارة، وفي الوقت نفسه فإن العشائر الموالية للحكومة عرضت عليها مقاتلة العشائر المعارضة، وقابلت قرع طبول الحرب التي بدأتها العشائر المعارضة بقرع طبول مقابل، لكن الحكومة رفضت الانجرار في هذا الصراع بين العشائر[١].

وبعد أن يأست المعارضة بالحصول على الوزارة أخذ كل من محسن أبي طبيخ وعبد الواحد سكر التردد على الشيخ كاشف الغطاء طالبين موافقته للقيام بحركة ضد الحكومة القائمة، لكنه رفض مطالبهم المتكررة. ثم اجتمع أربعة من المعارضين – وهم كل من: محسن أبي طبيخ وعبد الواحد سكر وعبادي الحسين وعلوان الياسري – مع الشيخ كاشف الغطاء استمرارا لمحاولاتهم لجرّه بالوقوف معهم، وحينها طلب الشيخ من الحاضرين وجوب تخليهم عن التحزب وجعل عملهم خالصا للمصلحة العامة وليس للمصالح الشخصية، وفك ارتباطاتهم بجماعة الهاشمي والكيلاني. وهي شروط الشيخ للعمل معهم.

وقد أكد كل من علوان الياسري وعبادي الحسين عدم انتمائهم إلى أي حزب. أما عبد الواحد فقد وافق على شروط الشيخ بالاستقالة من حزب الإخاء. أما محسن أبو طبيخ فقد رفض الاستقالة من الحزب معللا ذلك بأن الحزب يعمل لقضايا وطنية ضد الاستعمار وقضايا إصلاح داخلية. فردّ عليه الشيخ كاشف الغطاء مؤكدا أن هدفه ليس المصلحة العامة، وأن كل أغراضه

١ – فخري صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص١١٥.

خدمة ياسين الهاشمي وتقديسه، وفي هذه الحالة فعلى الحاضرين معرفة حقيقة محسن أبي طبيخ والإطلاع على ما يصبو إليه من أهداف. فما كان من أبي طبيخ إلا القيام غاضباً من كلام الشيخ يريد الخروج، فأجلسه زملائه ولم يتوصل المجتمعون إلى اتفاق[1].

وفي محاولة من كاشف الغطاء لتهدئة العشائر المعارضة، فإنه عمل بواسطة وكيله في الرميثة الشيخ أحمد أسد الله على بذل الجهود في دعوة هذه العشائر على حفظ الأمن والتزام الهدوء، وعدّ أن ما يقومون به مخالفة للشريعة الإسلامية، وسيعود بالضرر عليهم جميعاً. واجتمع الشيخ أحمد أسد الله بقائممقام الرميثة طالباً منه اتخاذ إجراءات قانونية بحق مدير الناحية لقيامه بأعمال تثير الناس في الناحية[2].

وفي نفس المسعى، فقد عقد الشيخ عدة اجتماعات في النجف مع مؤيدي الحكومة ومعارضيها، وقد فشلت كل المحاولات لتقريب وجهات النظر وتحقيق التفاهم بين الطرفين.

إلا أن عبد الواحد سكر انقطع عن زيارة الشيخ وأعلن تمرّده على الحكومة وحمل السلاح، وقام بقطع بعض الجسور من ناحية أبي صخير، خشية عبور الجيش إليه إذا قررت حكومة المدفعي إرساله للقضاء على حركة العشائر المعارضة لها[3].

ولأجل إعطاء الفرصة لحل الأزمة عن طريق التفاوض فقد أرسلت الحكومة وزير المعارف «عبد الحسين الجلبي» إلى النجف للقاء الشيخ كاشف

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٧٩. ابو طبيخ، المبادئ والرجال، ص٦٢ – ٦٤.

٢ – د.إ. ومتصرفية لواء الديوانية، التحرير، العدد س/٤٣٥/التاريخ ١٣/٣/١٩٣٥ الدعايات في ناحية الرميثة، ١١١٥/٣١١، ٤٦، ص١٢٥.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة...

الغطاء وقادة المعارضة العشائرية[1].

وزار وزير المعارف برفقة متصرف كربلاء (خليل عزمي) الشيخ كاشف الغطاء للتفاوض حول الموضوع، حيث أكد لهم رفضه لوقوع الحرب وحل المشكلة عن طريق القوة وإراقة الدماء، واعتبر أن الحل الأفضل هو المصالحة لحل القضية[2].

وكانت نية الحكومة قد اتجهت لاستعمال القوة العسكرية ضد العشائر المعارضة، إذ طلبت من وزير الداخلية (عبد العزيز القصاب) العودة إلى بغداد بعد أن كانت قد أرسلته للتفاوض مع الشيوخ المعارضين، وقد استطاع تحقيق بعض النتائج بما يوافق حل المشكلة، هذا في الوقت الذي فشلت فيه جهود الوساطة التي قام بها علي السليمان رئيس عشائر الدليم مع عبد الواحد سكر مثلما فشلت جهود أخرى[3]، إذ كان زعماء المعارضة في بغداد – وخصوصاً رشيد علي الكيلاني – على اتصال يومي بعبد الواحد وجماعته يحثونهم على رفض مساعي الحكومة لحل الأزمة سلمياً ورفض التفاوض معها[4]، وكان يدعم ذلك من طرف خفي نوري السعيد[5].

واتجهت الحكومة للتفاوض مع زعماء الحركة في بغداد، إلا أنهم أنكروا علاقتهم بها ورفضوا استنكارها أيضاً إلا أن الحكومة سارت على خطتها بإرسال القوات العسكرية إلى مناطق العشائر المعارضة، ففي ١٥ آذار ١٩٣٥ استطاعت القوات الحكومية دخول أبي صخير دون

---

١ – دالك، والبلاط الملكي، التمرد والغزوات، أحداث الفرات الاوسط (١١١٥ : ٣١١)، و٤٢، ص١٨.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٨١.

٣ – الحسني، الوزارات، ج٤، ص٧٢ – ٧٣.

٤ – نجدت فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص١١٥.

٥ – عبد الغني الملاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، ص١٧٠.

مقاومة من العشائر، وأصبحت قادرة على التقدم أكثر. إلا أن شكوكا كانت تحوم حول الكثير من الضباط الذين كانوا متعاطفين مع زعماء المعارضة، حتى إن طه الهاشمي رئيس أركان الجيش - شقيق ياسين الهاشمي - طلب من الحكومة حل الأزمة سلميا، معللا ذلك أن قواته لم تكن من القوة بحيث تستطيع مواجهة العشائر المعارضة[1].

ومما ساعد على تعقيد الموقف فقد أخذ جماعة عبد الواحد سكر بإثارة عواطف الناس ضد الحكومة، وحركوا جماعة من مؤيديهم وقاموا بمهاجمة الدوائر الحكومية في النجف ورموها بالحجارة. وجرح نتيجة لذلك أحد مساعدي القائم مقام وتحطيم شبابيك الغرف فتوجه متصرف كربلاء (خليل عزمي) إلى الشيخ كاشف الغطاء الذي كان في زيارة كربلاء، وطلب منه التدخل لمنع تلك الحوادث وإعادة الهدوء إليها، فتوجه كاشف الغطاء عائدا إلى النجف واستطاع بتدخله تهدئة الأوضاع وإنهاء تلك الحوادث. ثم أبرق إلى الملك غازي طالبا منه التدخل لمنع قيام الحركات العسكرية، معربا عن استعداده للتوسط لحل الأزمة[2]، وقد تبعه عدد من زعماء الدين الذين أبرقوا للملك يطلبون حل الأزمة سلميا، كما أرسل عبد الواحد سكر ثلاث برقيات يعلن فيها للملك ولاءه للعرش ومطالبا في نفس الوقت باستقالة وزارة المدفعي[3].

وعندما قدمت الحكومة قراراها المتعلق باستعمال القوة العسكرية ضد العشائر المعارضة إلى الملك غازي في ١٤ آذار ١٩٣٥، أرسل الملك رئيس

---

١ - عبد الرزاق الدراجي. جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية. ص٣٨٥.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء. المذكرات. الورقة ٧٨. وزارة الداخلية. متصرفية لواء الديوانية الموضوع: التقرير اليومي عن اللواء في ١٤/ ٣/ ١٩٣٥ العدد س/٤٧٣. التاريخ ١٦/٣/١٩٣٥.

٣ - عبد الرزاق الدراجي. المصدر السابق. ص٣٨٦.

الديوان الملكي (رستم حيدر) إلى رئيس الوزراء طالبا منه إعادة النظر في قرار استعمال القوة العسكرية، وهو ما جاء نتيجة لتوسط الشيخ كاشف الغطاء وغيره من علماء الدين، كما أكد رئيس الديوان الملكي إلى المدفعي، فكانت إشارة فهم منها رئيس الوزراء أن الملك يطلب منه تقديم استقالته، وهو ما حصل فعلا يوم ١٥ /٣ / ١٩٣٥، إذ قدم كتاب استقالة إلى الملك فوافق عليها[١].

والحقيقة أن عهد الوزارة الأيوبية والمدفعية الثالثة قد ساءت فيها أحوال الإدارة وكثرت الشكاوي من الناس بسبب سوء تصرف بعض رؤساء الوحدات الإدارية الذين ارتبطوا بالفئة الحاكمة، وقد اتبعت الحكومة في تعيين الموظفين والإداريين وترقيتهم مقاييس اعتمدت على الاعتبارات السياسية والعواطف الشخصية والمذهبية أكثر من اعتمادها على التدقيق في مقدرة هؤلاء الموظفين[٢].

استقالت وزارة المدفعي الثالثة في ١٥ آذار ١٩٣٥ مخلفة فوضى عارمة تجتاح البلاد وفقدانا للنظام وانفراطا في حبل الأمن، وحينها استدعى الملك غازي زعيم المعارضة ياسين الهاشمي وكلّفه في تشكيل الحكومة الجديدة في ١٧ آذار ١٩٣٥، فتذكر الهاشمي الاتفاقات السرية المعقودة في اجتماعات الصليخ فبدأ في التشاور مع جماعته في كيفية تشكيل الوزارة وإسناد المناصب الوزارية. وكلّف الهاشمي محسن أبي طبيخ بمهمة أخذ موافقة جماعة الصليخ لتشكيل الوزارة، فبدأ أبو طبيخ في جولات ليلية استمرت حتى الصباح على جماعة الصليخ للحصول على موافقتهم، فشكل

---

١ – عبد الرزاق الدراجي. جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية، ص٣٨٦.

٢ – عبد الغني الملاح. تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، ص١٦٥.

الهاشمي الوزارة الجديدة في ١٧ اذار ١٩٣٥[١].

وعندما أراد الهاشمي إسناد المناصب الوزارية ظهر إلى السطح الخلاف حول منصب وزير الداخلية، فقد أشترط حكمت سليمان أن يشغل منصب وزير الداخلية، وأراد الهاشمي أن يسند هذا المنصب إلى رشيد عالي الكيلاني، وقد أدى ذلك إلى انسحاب حكمت سليمان من التحالف مع الهاشمي والكيلاني ضمن ما يعرف بجماعة الصليخ[٢].

ويبرر الهاشمي رفضه بإسناد الداخلية إلى حكمت سليمان إلى أن حكمت سليمان كان متأثرا بالفكر الشيوعي، وهو يبغي من إشغال هذا المنصب إعطاء الحرية الواسعة للشيوعيين لنشر أفكارهم[٣]. وهكذا يكون الإخائيون بتشكيلهم الوزارة قد استطاعوا الوصول إلى السلطة التي سعوا إليها كثيرا [٤]. وقد عبّر رؤساء العشائر الواقعين تحت نفوذهم عن فرحتهم وسرورهم بوصول أصدقائهم إلى سدة الحكم، وشكلوا وفودا كبيرة قادها عبد الواحد سكر واتجهوا بمجموعات كبيرة من السيارات إلى بغداد لتقديم التهاني إلى الحكومة الجديدة[٥]، مغمورين بالفرح والزهو، وتحولوا إلى حالة السلم وألقوا السلاح الذي رفعوه بوجه الحكومة السابقة. ويعبّر الشيخ كاشف الغطاء عن ذلك بقوله: ((كأنه قد حصل كل شيء وكأن الحركة لم تكن إلا لمثل هذه الغاية))[٦].

---

١ – محسن ابي طبيخ، المبادئ والرجال، ص٤٧ – ٤٩.

٢ – الحسني ، الوزارات، ج٤، ص٨٠ – ٨١.

٣ – محسن ابي طبيخ، المصدر السابق، ص٥٠.

٤ – عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية، ص١٤.

٥ – و. د. كتاب مديرية شرطة لواء بغداد والمرقم س/ ١١٢٠ والمؤرخ في ٢ / ٤ / ١٩٣٥ – متصرف لواء بغداد.

٦ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٨٠.

ويؤكد الشيخ كاشف الغطاء أن عبد الواحد سكر ومحسن أبي طبيخ أبلغوه سابقا وأعطوه عهودا أنه في حالة سقوط وزارة المدفعي، فإن الوزارة المقبلة ستكون ذات طابع شعبي[1]، يستشار فيها الشيخ وزعماء الشعب في أمر تشكيلها ويعطون رأيهم بذلك إلى الملك. ولكن عند تشكيل وزارة ياسين الهاشمي لم يحصل شيء من ذلك وهو ما جعل كاشف الغطاء يظهر تذمره وتأثره الواضح عند مقابلة محسن أبي طبيخ وعلوان الياسري، اللذان جاءا إليه محاولين إقناعه بمباركة وزارة الهاشمي والرضا عنها، وطلبوا منه توجيه نداء إلى العشائر بوجوب الخضوع لها ومساندتها فرفض الشيخ ذلك[2].

وكان كل من محسن أبي طبيخ وعلوان الياسري قد توجها بطلب من الوزارة الجديدة إلى منطقة الفرات الأوسط لتهدئة العشائر فيها[3]، وإثر وصولهم النجف قام مجموعة من الطلبة بتنظيم مظاهرة ضد الحكومة الجديدة وضد مبعوثيها[4].

وقد قام الأهالي في النجف أيضا عندما علموا بموقف الشيخ كاشف الغطاء من هذه الوزارة بمهاجمة دار محسن أبي طبيخ، واعتبروا أن ما قام به وجماعته كان مكرا وخديعة، ووجهوا إلى أبي طبيخ كلمات غاضبة وقاسية ووقفوا له بالطرقات والأزقة محاولين رميه بالحجارة، فما كان من

---

١ – يؤكد محسن ابو طبيخ ان وزارة الهاشمي هذه هي وزارة شعبية وليست حزبية ويؤكد ايضا انه لم يعط وعودا للشيخ حول تشكيل الوزارة وان ذلك هو من اختصاص الملك نفسه. محسن ابي طبيخ. المبادئ والرجال. ص٧٢ – ٧٣.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات. الورقة ٧٩.

٣ – محسن ابو طبيخ. المصدر السابق. ص٧١.

٤ – د.ك.و. البلاط الملكي. التمرد والغزو احداث الفرات الاوسط. الملفة المرقمة (٣١١/١١١٥ و٤٩). ص٥٨.

كاشف الغطاء إلا أن أرسل إلى الجمهور الغاضب من يدعوهم بالكف عن مثل هذه الأعمال، وعند حلول الظلام جاء أبو طبيخ إلى دار الشيخ كاشف الغطاء، عارضا عليه صيغة أخرى للاتفاق على هذه الحكومة من خلال انتظار ما ستقوم به من أعمال، فإن كانوا صالحين ومصلحين فهو المطلوب، وإذا حدث العكس فيكون حينئذ التحرك ضدهم كما حصل مع من سبقهم.

لكن كاشف الغطاء رفض هذا العرض معربا عن عدم ثقته لا بأبي طبيخ ولا بحكومة الهاشمي، وهو يقول في ذلك: ((هذه خدعة الصبي عن اللبن، أين العهود والمواثيق؟ إن الوزارة لا تكون إلا بعد الاستشارة، وهذه الوزارة لا احتمل فيها أي خير فضلا عن الظن. إني أعرف الكيلاني والهاشمي حق المعرفة وأعرف نفسياتهم))[1].

وفي محاولة أخرى للحصول على تأييد كاشف الغطاء للوزارة الجديدة، فقد بذل محسن أبو طبيخ جهدا آخر مع الشيخ للحصول على تأييده والطلب من العشائر الوقوف إلى جانبها، وقد جاء ذلك من خلال زيارة أبي طبيخ والياسري، إذ واجها نفس الموقف الرافض[2].

ويبدو أن إصرار أبي طبيخ بالحصول على هذه المباركة كان من المهام الرئيسية التي أوكلها له جماعته في بغداد، لمعرفتهم بمكانة كاشف الغطاء عند العشائر الفراتية على وجه الخصوص.

وكان لإصراره هذا أن أثار عليه الجمهور في النجف المتواجد عند باب الشيخ كاشف الغطاء الذي كان يترقب المفاوضات الجارية، فهاجموا أبا طبيخ معتبرين موقفه هذا إصرارا منه على الخيانة ومخالفة صريحة لكاشف الغطاء وحاولوا الاعتداء عليه، إلا أن كاشف الغطاء أمر الناس بالتفرق

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٧٩ ، محسن ابو طبيخ، المبادئ والرجال، ص٧٥.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر نفسه، الورقة ٨٠.

وحينها تسنى لأبي طبيخ واليأسري الخروج هاربا من النجف[1].

أخذت حكومة الهاشمي عند اليوم الأول من تشكيلها تبذل الجهود لتثبيت سيطرتها وإخضاع العشائر لسلطتها، فقد كان أول عمل قامت به إصدار بيان موجه إلى العشائر تدعوها إلى الهدوء والتزام حالة السلم والتوجه لمزاولة أعمالها الاعتيادية، ووعدت الحكومة بتحقيق الإصلاحات المطلوبة. لكن هذا البيان لم يلق استجابة من بعض العشائر، وأعلنت في برقيات إلى الملك غازي مطالبتها بإسقاط وزارة الهاشمي الحديثة العهد[2].

وتلقى كاشف الغطاء عريضة من زعماء الفرات الأوسط يعلنون فيها معارضتهم لحكومة الهاشمي وعدم ثقتهم بها، لأن هذه الحكومة لها غايات حزبية وأنها لن تحقق أي إصلاحات للبلاد[3].

وأرسل كاشف الغطاء مبعوثا منه إلى الشامية والرميثة ينصح زعماء المعارضة باللجوء إلى الهدوء ويدعوهم إلى وحدة الصف[4].

ثم وجه كاشف الغطاء كتباً إلى بعض رؤساء العشائر يؤكد فيها على وجوب التخلي عن الحزبيات وأن يكون دافعهم العمل للصالح العام[5].

وأرسلت الحكومة الجديدة كل من وزير الداخلية[6] رشيد عالي الكيلاني

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٧٩.

٢ – د. ك. و. البلاط الملكي، الغارات والتمردات، احداث الفرات الاوسط، الملفة المرقمة ١١١٦/٣١١١ ص٢٠ – ٢٥ وص٣٤ – ٣٩.

٣ – و.د. الحركات السياسية لشيوخ الفرات الاوسط الملفة المرقمة (٢٧/ديوانية/قسم٤).

٤ – و.د. موقف العلماء ازاء حركة العصيان، الملفة المرقمة (٢٥/ديوانية /٦) التقرير السري الخاصة من ادارة التحقيقات الجنائية المركزية إلى وزارة الداخلية المرقمة (ش خ/١٢٦٧) في ٢١ آذار ١٩٣٥.

٥ – وزارة الداخلية، متصرفية لواء الديوانية التحرير ردس، ٥٠٢، التقرير اليومي عن حالة الديوانية ورقة ٥٧، ١٩/٢٠/١٩٣٥.

٦ – يؤكد تقرير بريطاني ان رشيد عالي خلال زيارته لمنطقة الفرات الاوسط قد كافأ عبد الواحد سكر

ووزير الخارجية نوري السعيد إلى الديوانية في محاولة لتهدئة العشائر المعارضة لوزارة الهاشمي، علما أن أكثرهم من مؤيدي الأيوبي والمدفعي[1].

لكن كل هذا لم يخفف من شعور العشائر المعارضة للحكومة أن نفوذها سيضعف بوصول جماعة عبد الواحد سكر إلى السلطة[2]، وأخذوا بتوحيد صفوفهم لمواجهة حكومة الهاشمي، وتوالت الوفود والكتب لكاشف الغطاء تعرض عليه العمل برأيه وتحت أمرته بالطرق المشروعة، ويعلنون رفضهم للوزارة القائمة ووقوفهم ضدها ويطلبون رأي الشيخ في ذلك[3].

وهكذا فوجئ الهاشمي أن السلاح الذي استخدمه لإسقاط المدفعي من الحكم كان سلاحا ذا حدين شهر ضده منذ الأسابيع الأولى من حكمه، فصدمت الوزارات باستمرارية تمرد العشائر[4].

وكانت معظم العشائر المعارضة لحكومة الهاشمي تنطلق في معارضتها بدافع الحفاظ على مصالحها ودعم حلفائها السياسيين في بغداد، وهو موقف يختلف بالتأكيد من موقف كاشف الغطاء المنطلق من دواعي إصلاحية والمطالبة بحقوق الشعب، وبالتالي يكون الموقفان في طرفي نقيض، وهو ما حيّر الشيخ كاشف الغطاء في كيفية التعامل معه[5]. فقام ببذل مساعي كبيرة لتوحيد موقف العشائر من الحكومة على أساس تحقيق

بمبلغ كبير من المال نظير موقفه المتشدد اتجاه الحكومة السابقة التي كان لها دور مؤثر في ايصال الاخائين للسلطة. انظر. نجدت فتحي. العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب. ص١١٦.

١ – الحسني. الوزارات. ج٤، ص٨٣.

٢ – نجدت فتحي. المصدر السابق. ص١١٦.

٣ – الحسني. الوزارات. ج٤، ص٨٥ – ٨٦.

٤ – عبد الغني الملاح. تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق. ص١٧٤.

٥ – بلا اسم. ذكرى علمين من آل مطر. صورة من حياة الشيخ عبد الحسين مطر وحياة أخيه الشيخ محمد جواد مطر. مطبعة النجف – النجف. ١٩٥٧. ص٣٢.

الإصلاح النافع وتنبيههم أن يكون هدفهم خدمة الصالح العام، مذكرا إياهم أن مركزه الديني لا يسمح له بالتدخل في الوزارة والأحزاب، وإنما هدفه هو تخفيف الظلم الواقع على الأمة، وأن وحدتهم كفيلة لجعل الوزارة ترضخ لمطالبهم المشروعة وتحقيق أهدافهم، وأن تفرقهم يجعل الوزارة لا تعيرهم الاهتمام الكافي، ثم يدعوهم للهدوء والسكينة ويحرم القتال بين العشائر المتخالفة[1].

وفي خطوة تستهدف توحيد جهودهم ضد حكومة الهاشمي اجتمع المؤيدون للحكومة السابقة – وأكثرهم من عشائر عفك والرميثة والشامية في مدينة كربلاء – وأقسموا عند سيدنا العباس(عليه السلام) أن يعملوا على المطالبة بالإصلاح وتعديل الوضع القائم والتآزر فيما بينهم، فإذا ضربت حكومة الهاشمي أحدهم فالجميع ينصرونه، واتباع أوامر وإرشادات الشيخ كاشف الغطاء والرجوع إليه في كل الأمور[2].

وقد وقع ما يقارب المائتين من الشخصيات العشائرية على عهد بهذا المضمون، وذهبوا به إلى النجف وأودعوه عند الشيخ كاشف الغطاء واجتمعوا به وجددوا له اليمين بسماع إرشاداته[3].

وفي تطور للأحداث التي أخذت تسير باتجاه التعقيد، فقد وقع حادث في مدينة الكاظمية بين متظاهرين ضد الحكومة وقوات الشرطة أدى إلى مقتل عدد من المدنيين ومن الشرطة، وقد عمل ذلك على تصعيد الموقف، فرفع المعارضون لحكومة الهاشمي الاحتجاجات الشديدة إلى الملك غازي

---

١ – الحسني، الوزارات، ج٤، ص٨٦.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٨٩.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٨٩، د ، ك ، و، الملف المرقم (١١١٦ : ٣١١ و٣٤، ص٥١).

منددين بعمل الحكومة ومتهمين وزارة الهاشمي بارتكاب أعمال عدائية سببت هياج واضطراب الناس[1].

وفي نفس الوقت ٢٣/ ٣ /١٩٣٥ وبمناسبة عيد الغدير توجّه مجموعة من المحامين[2] من بغداد إلى النجف للقاء الشيخ كاشف الغطاء، وكان بينهم اجتماع مهم تمخض عنه إصدار بيان سمّي بـ ((ميثاق الشعب)) تألف من ١٢ مطلبا. ووزع هذا الميثاق على نطاق واسع مما أثار عليه الحكومة ودوائر الشرطة[3].

وتضمّن الميثاق مطالب تدعو إلى رفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة، وتحسين الخدمات المقدمة إلى منطقة الفرات الأوسط والسماح بحرية الصحافة وإجراء انتخابات حرّة على أساس أن يمثل المنطقة الانتخابية أحد أبنائها، وتضمن كذلك دعوات لإصلاح النظام التعليمي والتربوي وإصلاح القضاء بما يحقق العدالة وتوزيع موارد الأوقاف بصورة متساوية[4].

وقد قوبل الميثاق بتأييد كبير من الشخصيات ورؤساء العشائر وفي مختلف أنحاء العراق، ورفع هؤلاء برقيات إلى الملك غازي يعلنون فيها دعمهم للميثاق ومعارضتهم للحكومة القائمة، وطالبوا بتشكيل حكومة غير منحازة تحقق رغائب الشعب[5]. وأرسل الشيخ كاشف الغطاء نسخا من الميثاق إلى وكيله في الناصرية الشيخ عبد الحسين مطر ليذيعها على عشائر

---

١ – د . ك . و . البلاط الملكي، الملف المرقم ١١١٥ / ٣١١ ؛ و٣٨ ص ١٠، و . د . ادارة التحقيقات الجنائية المركزية في ٢٤ اذار ؛ ١٩٣٥ .

٢ – المحامون هم محمد الجرجفجي وذبيان الغبان وصالح يحيى وسليم الخريري.

٣ – د . ك . والبلاط الملكي، الملف المرقم (١١١٥ / ٣١١) و٢٥ ص٧٩، الملف ١١١٥ / ٣١١، د . ك . و و٤٩ ص١١٧.

٤ – للاطلاع على بنود الميثاق ينظر الحسني، تاريخ الوزارات، ج٤، ص ٩٢ – ٩٤.

٥ – د . ك . و . الملفة المرقمة ١١١٦ / ٣١١، و٤ . ص٥١.

المنتفك، والتي كانت تجري فيها تحركات مناهضة للحكومة مماثلة لما يجري في منطقة الفرات الأوسط، وقد زادت وصول نسخ الميثاق من سخونة الموقف[1].

وكما أكد كاشف الغطاء أنه أراد أن يوقع على الميثاق معارضو الحكومة ومؤيديها، رغم شكوكه بالطرفين وعدم التزامهم بتعهداتهم بسبب تناقض مصالحهم، لكنه أراد جمع كل الأطراف لتحقيق المطالب الإصلاحية الواردة في الميثاق[2].

وعلى هذا الأساس، فقد طلب كاشف الغطاء من رؤساء العشائر الحضور عنده للتوقيع على الميثاق، وفعلا حضر رؤساء العشائر وكان من بينهم وفود من المنتفك والديوانية والحلة. ووقع الأكثرية منهم على الميثاق، ولاسيما المعارضون لحكومة الهاشمي، ومنهم رايح العطية شيخ عشيرة الحميدات وخوام العبد العباس شيخ ازيرج، وشعلان السلمان من شيوخ الخزاعل، وشعلان العطية شيخ الأكرع، وآخرون غيرهم. أما عبد الواحد سكر فقد وقع على ورقة تعهد فيها أن يذهب إلى بغداد ليرى الحالة ثم يعود ليوقع الميثاق[3]. وقد رفض محسن أبو طبيخ التوقيع على الميثاق معللا ذلك بأن بعض بنوده لا يمكن تحقيقها[4].

والحقيقة أن عبد الواحد وجماعته لم يكن في نيتهم التوقيع، بل كان ذلك تملصا من ضغوط كاشف الغطاء، وقد عمل كل من أبي طبيخ وعبد الواحد سكر على تكليف جعفر أبي التمن للتوسط عند الشيخ بموجب الرسالة التي

---

١ – علوين من آل مظر، المصدر السابق، ص٣١.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مذكرات كاشف الغطاء، الورقة ٩٠.

٣ – د.ك.و، الملفة ٣١١/١١١٧، و٤٦ حركات رؤساء عشائر الفرات الاوسط.

٤ – محسن ابو طبيخ، المبادئ والرجال، ص٦٧، د.ك.و، التمرد والغزوات، احداث الفرات الاوسط، العام ١٩٣٥ (١١١٧/١١٣) و(٤٠) ص١٤١.

بعثوها إليه في ٣ نيسان ١٩٣٥، وطلبوا فيها التوسط لتخفيف مطالب الميثاق أو إعفائهم من التوقيع[١].

ومن أجل القيام بدور الوسيط وإقناع كاشف الغطاء لتخفيف بعض المطالب الواردة في الميثاق التي اعتبرها محسن أبو طبيخ وعبد الواحد سكر متشددة، فقد سافر جعفر أبو التمن في ٨ نيسان إلى النجف، وعندما لم يجد الشيخ هناك سافر إليه في كربلاء واجتمع به إلا أنه فشل في إقناعه بتعديل بنود الميثاق، فقد أصر الشيخ على موقفه وحينها رجع أبو التمن إلى بغداد[٢].

وحصل كاشف الغطاء على تفويض كامل من رؤساء العشائر لمطالبة الحكومة بتحقيق المطالب الواردة ضمن الميثاق[٣]. وطلبوا من الشيخ كاشف الغطاء التأني في تقديم المطالب للحكومة حتى يتم التوقيع عليه من قبل عبد الواحد سكر وجماعته[٤].

ويبدو أن موقف عبد الواحد سكر أصبح ضعيفا وقلقا نتيجة الضغوط التي يتعرض لها للتوقيع على بنود الميثاق ونكثه لوعده للشيخ بالعودة والتوقيع على الميثاق، وكذلك عدم إمكانية رفض التوقيع، لأنه سيتهم بمعاداة تحقيق الإصلاح، ولذلك فقد عمل وجماعته في الحكومة على دعم موقفه وجعله أكثر وثوقا وقوة للوقوف بوجه الموقعين على الميثاق، وجاء ذلك من خلال تنظيم المهرجانات لتكريمه وتقديمه ((كزعيم عظيم))، وفي نفس الاتجاه فقد قامت الحكومة لتأكيد عدم تحيزها بحل حزبها (الإخاء الوطني). وأعطى ياسين الهاشمي تأكيدات شخصية بأن شيوخ العشائر المعارضين للحكومة

---

١ – عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية، ص٣٩٩.

٢ – الملفة ٣١١/١١١٧، التقرير الخاص، المكتب الخاص سكرتارية مجلس الوزراء، و ٩٢، ص١٤١.

٣ – الملفة ٣١١/١١١٦، و ٢٩، ص١١٧.

٤ – و.د، متصرفية لواء الديوانية، التقرير اليومي عن حالة اللواء لنهار يوم ٢٨/٣/١٩٣٥، العدد ذس ٥٨٦/ ٢٨/٣/١٩٣٥.

سيمنحون في الانتخابات المنوي أجراؤها نفس عدد المقاعد التي كانوا يشغلونها في المجلس السابق[1].

ولتبرير مواقفهم من عدم توقيعهم الميثاق فقد اجتمع الرافضون للتوقيع ورفعوا كتابا إلى كاشف الغطاء يحذرونه من التأثيرات التي يقوم بها البعض ممن وصفوهم بالعابثين بالكرامات الدينية والمغامرين - حسب وصف الكتاب - ويدعونه إلى مقاومة هؤلاء، لأنهم يعملون على تشويه سمعته ويقودون البلاد إلى عواقب وخيمة[2].

والواضح من الرسالة أن هؤلاء يحاولون ثني الشيخ كاشف الغطاء عن المطالبة بالميثاق، متبعين أسلوب التحذير من النتائج الخطيرة له متناسين أنهم كانوا أول من رفع السلاح لإسقاط الحكومة السابقة.

رد كاشف الغطاء على كتاب المخالفين للميثاق ببلاغ اتسم بالحدة والإصرار على التمسك ببنود الميثاق، والتأكيد على أنه مفوض من زعماء عشائر الفرات لطلب الإصلاح وإيصال مطالبهم إلى الحكومة. ودعا كاشف الغطاء العشائر للمحافظة على الأمن وعدم الإخلال بالنظام وانتظار ما تسفر عنه نتائج المفاوضات مع الحكومة. ويشير الشيخ إلى أن هؤلاء المخالفين لبنود الميثاق إنما يفعلون ذلك بدوافع حزبية وليس خدمة المصلحة العامة[3].

وعملت حكومة الهاشمي على تمييع بنود الميثاق من خلال إرسالها وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني ووزير الدفاع جعفر العسكري للتفاوض مع العشائر بدون أن تعطي موافقتها على ما جاء فيه[4].

---

١ - نجدت فتحي، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص١١٦.

٢ - الحسني، الوزارات، ج٤، ص٩٧.

٣ - النص الكامل للبلاغ منشور في المصدر نفسه. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٤، ص٩٧.

٤ - علاوين من آل مطر، المصدر السابق، ص٣٢.

والحقيقة أن حكومة الهاشمي تشبثت بالبقاء بالحكم وأمرت بسوق القوات العسكرية لتأديب القائمين بتلك الحركة متبعة أسلوب العنف[1].

وجاءت الحادثة التي أوصلت الأمور إلى مرحلة الصدام بين الحكومة والعشائر، فقد كان محسن أبو طبيخ قد أوغر صدره على وكيل كاشف الغطاء في الرميثة الشيخ أحمد أسد الله الذي ساعد أبا طبيخ على الخروج من المدينة، بعد أن أراد الأهالي الاعتداء عليه. وقد تصور أبو طبيخ أن أسد الله كان المحرض للاعتداء عليه[2]، ولذلك فقد حرض الحكومة على اعتقاله باعتباره المحرض الرئيسي ضد الحكومة، وهكذا تم اعتقاله في ٦ مايس ١٩٣٥[3].

وقد أغدق أبو طبيخ كثيرا من الأموال والوعود في تحريض العشائر بعضها على بعض بعد ما فشل في استمالة الشيوخ العشائريين[4].

وعلى أثر اعتقال أحمد أسد الله كان ذلك كافيا لإثارة العشائر التي اعتبرت ذلك خطوة سيئة ضدها، فهاجمت سراي الحكومة في الرميثة في ٧ مايس١٩٣٥، وحاصرت الحامية وارتكبت أعمال تخريب بحق المنشآت العامة[5]. وقام أفراد من عشيرة الظوالم برمي سيارة القائممقام بالحجارة وكسروا زجاجها، وقامت عشائر البو حسان وبني زريج والخزاعل والبو جياش والظوالم بهوسات منددة بالحكومة وإشعال المشاعل وعملوا على تخريب السكك الحديد وقطع أسلاك الهاتف. وفي صباح يوم ١٩٣٥/٥/٨

---

١ – عبد الغني الملاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، ص١٧٤.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المذكرات، الورقة ٩١.

٣ – الحسني، تاريخ الوزارات، ج٤، ص١٠٣.

٤ – نجدت فتحي، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص٢٠٦.

٥ – الحسني، الوزارات، ج٤، ص١٠٤.

حاصر أفراد العشائر دار الحكومة في الرميثة ونهبوها[1].

وأرسل الشيوخ المعارضون للحكومة رسالة إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تبلغه بأن الحكومة قد خدعتهم طوال المدة السابقة، والتي كان الشيخ يدعوهم فيها إلى الهدوء، باعتبار أن الدعوة سلمية وهم يعلنون الآن استعدادهم للقتال، وقد وقع الكتاب عشائر بني حجيم وبني زريج[2].

ولمواجهة الموقف المتأزم فقد أرسلت الحكومة وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني لمعالجة الأمور في الرميثة، وكذلك فقد اتخذت بعض الإجراءات الاحترازية من بينهما وضع المحاميان ذيبان الغبان وامين الجرخجي تحت مراقبة الشرطة، باعتبار أن لهما يدا في أحداث العشائر[3].

ورافق وزير الداخلية في مهمته للقضاء على حركة العشائر كل من محسن أبو طبيخ وعلوان الياسري، ويؤكد أبو طبيخ أنه بذل مساع كبيرة من أجل إقناع رؤساء العشائر بوقف أعمالهم ضد الحكومة مقابل العفو عما فعلوه، وقد وافق كثير منهم على ذلك وسلموا أنفسهم إلى السلطة. معلنين الطاعة والولاء للحكومة ثم أخذهم أبو طبيخ إلى قائد الجيش بكر صدقي في مقره ليعلنوا الاستسلام، ولم يبق إلا خوام العبد العباس الذي استمر في مقاتلة الحكومة مع جماعة من عشيرته، وقد استطاع الجيش التقدم نحو القلعة التي تحصن فيها وقتل من جماعته عشرين شخصا، واستطاع خوام الإفلات من المحاصرة، إلا أن أبا طبيخ أرسل رجالا من جماعته للبحث عنه واستطاع القبض عليه، فسلّمه أبو طبيخ إلى بكر صدقي الذي كان يقود الحملة[4].

---

١ – ملف ١١١٧ – ٣١١، كتاب متصرفية لواء الديوانية ص٨٣٥ المؤرخ في ١٩٣٥/٥/٩ و٢٧ ص٤٠ إحادثة الشيخ احمد اسد الله.

٢ – الحسني، الوزارات، ج٤، ص١٠٥.

٣ – المصدر نفسه، ص١٠٥

٤ – محسن ابو طبيخ، البادئ والرحال، ص١٧٥ – ١٧٨، و د تغريد سري من الموقف السري في

وامتدت المعارضة المسلحة لحكومة الهاشمي الى الناصرية، فقد قامت العشائر في سوق الشيوخ بالسيطرة على المدينة معلنين تاييدهم للميثاق. وقد عملت العشائر في سوق الشيوخ على نهب المدينة وقطع اسلاك البرق والبريد وتعطيل السكك الحديد، ثم استطاعوا محاصرة مدينة الناصرية[1].

ولتدارك الموقف توجه وزير الدفاع جعفر العسكري لاجراء المفاوضات مع العشائر المعارضة، فالتقى الوزير مع وكيل الشيخ كاشف الغطاء الشيخ عبد الحسين مطر وطلب منه التوسط لدى العشائر واصلاح الأمر، وارسل بيده كتابا إلى الشيخ منشد ال حبيب شيخ ال غزي والشيخ كاظم آل مطر والشيخ عجيل شيخ الحسينات يدعوهم فيه للتداول معهم بما يرون عمله من أجل المصلحة العامة، لكن رؤساء العشائر لم يثقوا بما جاء في كتاب وزير الدفاع[2].

وفي نفس اليوم المصادف ١٦ مايس ١٩٣٥ وصلت الى عبد الحسين مطر برقية من الشيخ كاشف الغطاء جاء فيها: ((مشغولون بالإصلاح يلزم السعي لمنع المضاربة سيأتيكم تعريفنا حفظ الأمن واجب))[3].

شعرت الحكومة بالارتياح لما جاء في البرقية، لأنها تتوافق مع رغباتها، فطلبت من الشيخ عبد الحسين مطر تبليغ العشائر بهذه البرقية مع كتاب منه إليهم يطلب فيها المحافظة على الهدوء والسكينة، مع التأكيد أن الحكومة ستجري مفاوضات مع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء حول مطالبهم وأدعى وزير الدفاع في برقية إلى رؤساء العشائر المعارضة ان

متصرف لواء بغداد، رقم س/ ١١ في ٢٠/ ٥/ ١٩٣٥

١ - عبسين من ال مطر، ص٣٢

٢ - المصدر نفسه، ص٣٣

٣ - المصدر نفسه، ص٣٣.

الحكومة لم تصلها بعد مطالب الميثاق، وطلب منهم إعادة أفراد الشرطة وموظفي الحكومة إلى الناصرية بأقرب وقت ممكن[1].

وللتأكد مما جاء في بيان وزير الدفاع ولمعرفة رأي الشيخ في الموضوع، أرسل إليه رؤساء العشائر المعارضة كتابا يخبروه بما جاء في بيان الوزير حول إجراء المفاوضات معه لتنفيذ مطالبهم، ويريدون معرفة رأيه في المفاوضات وإيقاف الأعمال العسكرية بين الطرفين علما أنهم مستمرون في مطالبتهم بالميثاق[2]. وقد أرسلوا الكتاب بيد رسول خاص ليتأكدوا أن الكتاب الذي وصل إليهم الداعي للإصلاح ولزوم الهدوء صادر عن كاشف الغطاء نفسه وليس خدعة من الحكومة. وقد وافقت الحكومة عن ذلك ممثلة بوزير الدفاع ومتصرف اللواء، وأرسل الكتاب بيد الشيخ عبد المهدي بن الشيخ عبد الحسين مطر الذي أبرق في نفس اليوم إلى الشيخ كاشف الغطاء لاسلكيا يخبره بتبليغ برقيته السابقة إلى رؤساء العشائر وأنهم قد أقشلوا الراية وواجهوا الحكومة وشرعوا في الإصلاحات (في ١٥ صفر ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥م)، فرد كاشف الغطاء بما يلي :

الشيخ عبد الحسين مطر أبرقنا لكم خطتنا المألوفة بالإصلاح ونرغب في أن تقوموا بالإرشاد إلى وجوب منع المضاربة، والحيلولة دون ما يودي إلى إراقة الدماء أو تخريب الخطوط وقطع المواصلات والطرق العامة. والواجب الشرعي يحتم وجوب تبليغ طلبنا ورغبتنا هذه إلى الرؤساء، وخصوصا إلى الشيخ منشد وعجيل وكاطع وإعلامهم بأننا لا نرغب بأي حركة تعكر صفو السلام، وعليهم أن ينتظروا نتيجة ما نترقبه من وقوع ما

---

١ - عسين من آل مطر. ص٣٤.

٢ - الحسني. تاريخ الوزارات. ج٤. ١١٩ - ١٢٠.

يعدونه به من المفاوضة. وننتظر منكم جواب كتابنا ولكم التوفيق والتأييد والسلام.

محمد حسين كاشف الغطاء[1]

الأحد ١٥ صفر ١٣٥٤

وكانت نية كاشف الغطاء قد اتجهت نحو مفاوضة الحكومة على تنفيذ المطالب الواردة في ميثاق الشعب، وهو ما يظهر من خلال برقيته الى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي التي نصها :-

فخامة رئيس الوزراء

وردتنا برقيات وجهاء الناصرية يستمدون فيها إرشاد الرؤساء للخلود إلى السكينة. ابرقنا وحررنا بطلب الهدوء. الأمل مساعدتكم على توطيد الأمن والمسارعة إلى إجراء المفاوضة حسبما أذاعه وزير الدفاع في بيانه للرؤساء عشائر المنتفك. وعليهم أن ينتظروا نتيجة ما نترقبه من وقوع ما يعدون به من المفاوضة.

محمد حسين كاشف الغطاء[2]

ويبدو أن الحكومة لم تكن راغبة في إجراء المفاوضات، وإنما كانت تستغل برقيات الشيخ الداعية للإصلاح وحفظ الأمن لفرض سيطرتها واعادة النظام للمناطق التي شهدت الأحداث المسلحة، فرأت أن تستعمل الحيلة في تنفيذ خطتها، حتى إن البرقية الجوابية لرئيس الوزراء على برقية كاشف الغطاء كانت تخلو من وعود بالمفاوضات أو إجراء اتصالات، بل إن رئيس الوزراء شكر الشيخ على مواقفه الداعية إلى السكينة ووعده بعدم تدخل الحكومة

١ – علي من آل مطر، المصدر السابق، ص٣٥، الحسني، الوزارات، ج٤، ص١٢١.

٢ – الحسني، الوزارات، ج٤، ص١٢٠.

بالشؤون الشرعية[1]، وهو أقل بكثير مما تضمنته الميثاق. وهكذا فإن الحكومة التي استطاعت القضاء على حركات العشائر في الرميثة تمكنت أيضا من السيطرة على الموقف في سوق الشيوخ، بعد أن وصل وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني فتمكن من القضاء على حركات العشائر بقسوة وبطش، وتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها[2].

وقد سبب هذا ردود أفعال غاضبة، كان من أبرزها اعتراض أعضاء الكتلة العسكرية - وفي مقدمتهم صلاح الدين الصباغ - على أسلوب الشدة الذي اتبعه بكر صدقي في قمع حركات الفرات، وقد اعتبروا هذا الأسلوب محاولة للإذلال، وقد كلف الصباغ يونس السبعاوي إبلاغ الهاشمي رأي الضباط بهذه القسوة[3].

وفي المحصلة النهائية لم يحصل الإصلاح الذي توخاه الشيخ كاشف الغطاء وأراده بصورة سلمية، كما عبرت عن ذلك توجيهاته إلى روساء العشائر، فهو لم يستطع التوفيق بين الرغبات والأطماع المختلفة أو يوحدها في خدمة الصالح العام.

ثالثا : دوره في حركة مايس عام ١٩٤١

تعد حركة مايس في ١٩٤١ حركة قومية جاءت كرد فعل على السياسة الاستعمارية البريطانية في العراق، وما آل إليه الوضع في فلسطين العربية وتقديمها من قبل البريطانيين للصهاينة. وقد عملت السياسة البريطانية في

---

١ - المصدر نفسه، ص١٢١.

٢ - علوش من آل مطر، المصدر السابق، ص٣٦.

٣ - عبد الرزاق الحسني، الأسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١النحرية، ط٣، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٧٣، ص١٤ - ١٥.

العراق على تجاهل الأماني القومية للعراق. هذه الأماني التي تبنتها الكتلة العسكرية المؤلفة من الضباط القوميين وكانت مؤمنة بالعمل لتنفيذها عن طريق القوة العسكرية[1].

وأرادت وزارة رشيد عالي الكيلاني المشكلة في ٣١ آذار ١٩٤٠ ذات التوجه القومي استغلال ظروف الحرب العالمية الثانية للضغط على البريطانيين من أجل تحقيق الطموحات القومية، ولاسيما ما يتعلق بفلسطين وسوريا، وحاولت التوفيق بين المصالح الوطنية والقومية. وكان ذلك سببا كافيا لتذمر البريطانيين من هذه السياسة، ومحاولتهم بوسائل ضغط مختلفة إضعاف هذه الوزارة، كان أقواها طلب السفير البريطاني في العراق بازل نيوتن من الوصي على العرش عبد الإله إقالة هذه الوزارة، لكن الكيلاني رفض ذلك معتبرا ما يقوم به السفير البريطاني تدخلا سافرا في شؤون العراق، ولكن نتيجة للضغوط البريطانية وهرب الوصي الى الديوانية استقالت الوزارة في ٣٠ كانون الأول ١٩٤٠، لتخلفها وزارة جديدة في ٣١ كانون الثاني ١٩٤١ شكلها طه الهاشمي[2].

وفي ٢٦ / آذار ١٩٤١ اقترحت رئاسة أركان الجيش نقل العقيد كامل شبيب من بغداد إلى قيادة الفرقة الرابعة في الديوانية، ونقل العقيد صلاح الدين الصباغ إلى جلولاء بدلا من بغداد. فاعتقد العقداء الأربعة الذين يشكلون الكتلة العسكرية القومية في الجيش (صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمود سلمان وفهمي سعيد) أن هذا الأمر هو مقدمة لتدخل اجنبي أعظم خطورة، وأن الهدف منه هو تحطيم قوة الجيش وتفريق قادته.

١ – عبد الرزاق الحسني، الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ المجيدة، ص٤١

٢ – عز الدين المدني، محسن أبو طبيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، ص١٠٢

جاء تنفيذا لرغبة بريطانية في تفكيك أواصر الأخوة والتضامن بين قادة الجيش، فاتفقوا على رفض قرار النقل[1].

ونتيجة لذلك فقد تأزم الموقف بين الجيش والوصي على العرش عبد الإله، فهرب الوصي إلى البصرة وتحركت القطعات العسكرية بأمر من العقداء الأربعة واستعدت لمواجهة حالة الطوارئ، بعد أن طلب الضباط استقالة وزارة طه الهاشمي. وعجلت الكتلة العسكرية في إقامة حكومة دفاع وطني[2] في البلاد، ويكون رئيسها رشيد عالي الكيلاني، وقد تشكلت هذه الحكومة في يوم الخميس ٣ نيسان ١٩٤١، وأكدت الحكومة في بيانها أن هدفها هو صيانة سيادة الأمة وكرامتها والحفاظ على استقلال البلاد، ثم دعت حكومة الدفاع الوطني مجلس الأمة للانعقاد في اجتماع طارئ لتدارس أمر هروب الوصي من العاصمة ونزوله في باخرة حربية بريطانية راسية في شط العرب، ومحاولة تحدي شعور البلاد. فاجتمع المجلس في العاشر من نيسان ١٩٤١ ونودي بالشريف شرف ابن عم الملك فيصل الثاني وصيا على الملك، وبذلك تم عزل عبد الإله عن الوصاية، وحينها عهد الوصي الجديد الشريف شرف إلى رشيد عالي الكيلاني تشكيل وزارة جديدة، فألفها في ١٢ نيسان ١٩٤١[3].

ولمواجهة الموقف اتخذت الحكومة البريطانية خطوات عملية، فقد بدأت بإرسال قوات عسكرية إلى العراق بحجة المرور إلى فلسطين، ونزلت في البصرة، وفي ٢٨ نيسان طلبت الحكومة البريطانية من الحكومة العراقية

---

١ – الحسني، الاسرار الخفية، ص١١١.

٢ – تشكل مجلس الدفاع الوطني من رشيد عالي الكيلاني رئيسا وعضويه رئيس اركان الجيش امين زكي والعقداء الاربعة والمدنيين علي محمود الشيخ ويونس السبعاوي، خيري العمري، يونس السبعاوي سيرة سياسي عصامي، وزارة الثقافة – بغداد ١٩٧٨، ص٢٧٤.

٣ – عبد الرزاق الحسني، احداث عاصرتها، دار الشئون الثقافية – بغداد ١٩٩٢، ص٢٥٦ – ٢٥٧.

السماح لقوات بريطانية أخرى بالمرور، لكن حكومة رشيد عالى رفضت الطلب ما لم تغادر القوات السابقة البصرة، وقد كان لهذا القرار أثر في دفع البريطانيين للمواجهة[1].

وفي ٢ مايس ١٩٤١ اتخذت الحكومة البريطانية من وجود حامية عراقية في التلال المحيطة بسن الذبان سببا لفتح النار على هذه الحامية، فردت القوات العراقية على النار البريطانية، وهكذا بدأ الصدام المسلح فى فجر يوم الجمعة ٢ مايس ١٩٤١[2].

وبسبب العداء الذي يكنه العراقيون للمستعمر البريطاني فقد توحدوا مع الحكومة معلنين مساندتهم لها بروح عالية[3]، وكان لعلماء الدين مشاركة فى هذا الجهد القومي، تمثل ذلك بإصدارهم فتاوى يحثون فيها الناس على مساندة الجيش والالتحاق بصفوف المتطوعين للدفاع عن البلاد، والحفاظ على بيضة الإسلام والدعوة لمقاتلة الكافر البريطاني، والمدافعة عن النواميس الإسلامية[4].

وكان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من علماء الدين السباقين إلى مساندة الحركة القومية والوقوف مع الجيش في قتاله للجيش البريطاني، فقد أصدر فتواه معتبرا أن ما قام به الجيش وساسة العراق هو الحفاظ على كرامة البلد وصيانته من استيلاء الأجانب على مقدراته، فكانت نهضتهم

---

١ – عبد الرزاق الحسني، احداث عاصرتها، دار الشئون الثقافية – بغداد ١٩٩٢، ص٢٥٨.

٢ – المصدر نفسه، ص٢٥٩.

٣ – المصدر نفسه، ص٢٦٥.

٤ – بشأن فتاوى العلماء لنصرة حركة مايس ١٩٤١ ينظر: الهاتف (جريدة) العدد ٢٦٢، السنة السابعة الجمعة ٩ مايس ١٩٤١.

نهضة يحفزها الحزم ويقودها العزم[1].

ودعا الشيخ كاشف الغطاء المسلمين جميعاً للمشاركة في نصرة الشعب العراقي الذي يدافع عن سلامة بلاده وكرامتها، وأوجب نصرة الحركة بالمال والنفس، لأن القضية عادلة وتستهدف تخليص البلاد من الأجانب[2].

وفي دعوة أخرى لكاشف الغطاء أكد أن العراق العربي الحر قد فتح بحركته هذه الباب لتحقيق الوحدة العربية المنشودة وقدم التضحيات والقرابين من أجل المجد والفخر، فما على العرب اليوم الا العمل وإنجاح الآمال، وأن الاستقلال لا يتحقق إلا بالجد والتضحيات والوثبة الجبارة[3].

وقد كان لفتاوى علماء الدين ولاسيما الشيخ كاشف الغطاء ودعواته تأثير فعال في التحاق أبناء العراق بقوافل المتطوعين مع الجيش في الدفاع وقتال البريطانيين، فقد تطوع الآلاف من الأشخاص لدعم الجيش العراقي، واشتركوا في القتال في أماكن متعددة، كان لهم فيها دور في المقاومة[4]. وقد أرسل الكثير من شيوخ العشائر ورجالها الكتب والرسائل للشيخ كاشف الغطاء يعلنون فيها تأييدهم لفتواه في الجهاد، وأنهم سيقومون بأداء الواجب الوطني، مستعدين للتضحية والفداء في سبيل الوطن وإعلاء كلمة الله والحق[5].

---

١ – يونس بحري، اسرار ٢ مايس او الحرب العراقية الانكليزية، تقديم علي الخاقاني، منشورات دار البيان، مطبعة الحرية بغداد ١٩٤٨ – ص١٣٧.

٢ – يونس بحري، اسرار ٢ مايس، ص١٣٧، الحسني، الاسرار الخفية، ص٢٧٠.

٣ – الغري (مجلة)، العدد (٦٨) السنة الثانية، الثلاثاء ١٢ مايس ١٩٤١.

٤ – نجدت فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ط١، المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٩، ص١٧٤.

٥ – الغري (مجلة) العددان (٦٩ – ٧٠)، السنة الثانية ٢٠ مايس ١٩٤١، العدد الخاص بالحركة الوطنية العراقية.

وتثمينا لجهود الشيخ كاشف الغطاء ولما لفتواه من أثر باهر، فضلا عما يقوم به من إرشادات ونصائح شفوية تلهب النفوس وتثير الحماس الوطني، لذلك فقد قدر له رشيد عالي الكيلاني هذه الجهود المساندة للحركة وكتب اليه كتابا في الشهر الخامس من عام ١٩٤١ يشكره فيه ويبدي له امتنانه العظيم. ويؤكد الكيلاني لكاشف الغطاء بكتابه أن الأمة التي يذود عن حماها شعب نبيل وجيش باسل وتؤازرها جهود دينية وعطف روحي، لاشك أن هذه الأمة سوف تتبوأ مكانة راقية بين الأمم، وحينها تستطيع أن تؤدي رسالتها في خدمة الدين والإسلام والمسلمين[1].

ويبدو مما سبق أن الشيخ كاشف الغطاء على الرغم مما حصل من أزمة خطيرة بينه وعشائر الفرات الأوسط والجنوب – التي فوضته بموجب الميثاق للمطالبة بالإصلاح – من جهة وبين حكومة الهاشمي التي كان رشيد عالي الكيلاني من أعمدتها الأساسية من جهة أخرى، إلا أن الجميع قد تناسوا خلافاتهم الجانبية ووجهوا كل جهودهم لخدمة مصلحة الوطن في حربه مع البريطانيين.

رابعا : موقفه من انتفاضة الشعب عام ١٩٤٨

كانت معاهدة ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا قد جعلت العراق – عمليا بمثابة تابعا وملحقا للامبراطورية البريطانية، وهي في نفس الوقت أصبحت خارج الزمن وغير مقبولة من الشعب العراقي، ولكن إلغاء هذه المعاهدة لم يكن واردا في نظر الوصي عبد الإله ونظر نوري السعيد باعتبار أن الالغاء يتعارض مع مصالحهم، وهي بالنسبة إليهم درع حماية من الثورات الشعبية.

١ – مجلة الغري، العدد المزدوج (٦٩ – ٧٠).

ولكن مع استمرار حالة الرفض والمطالبة بضرورة إعادة النظر بالعلاقات العراقية البريطانية، شعر كل من البريطانيين والوصي عبد الإله بضرورة احتواء المشاعر الوطنية المعادية لهذه المعاهدة ولو شكلا، وهو ما حدث بمعاهدة ١٩٤٨ المسماة معاهدة بورت سموث[١].

قررت وزارة صالح جبر البدء بإجراء المباحثات مع الجانب البريطاني لتعديل المعاهدة، فدارت المفاوضات بين بغداد ولندن في الفترة الواقعة بين ٨ مايس ١٩٤٧ و ١١ كانون الثاني ١٩٤٨ .

وفي ٢٨ كانون الأول ١٩٤٧ عقد اجتماع في قصر الرحاب برئاسة عبد الإله وحضره رؤساء الوزارات السابقة ورئيس مجلس الأعيان والنواب للتشاور في موضوع تعديل المعاهدة، فكان الإجماع على وجوب تعديلها[٢].

أثار هذا الاجتماع الأحزاب السياسية التي اعتبرته تجاهلا من قبل الحكومة لها، واعترضت على عقد الاجتماع بمثل هذا الوقت الذي تجتاز فيه قضية فلسطين أدق مراحلها، لكن الطبقة الحاكمة لم تعر اهتماما لهذه الاحتجاجات وواصلوا مسعاهم في عقدها[٣].

وفي اليوم الثالث من كانون الثاني ١٩٤٨، وقبل بدء المباحثات الرسمية بين الجانبين العراقي والبريطاني، صرح وزير الخارجية العراقي محمد فاضل الجمالي لوكالة الأنباء العربية في لندن عن المحادثات المنتظرة فقال: ((إن المعاهدة البريطانية العراقية التي وقعت عام ١٩٣٠ قوبلت بكثير

---

١ – حنا بطاطو، العراق، الكتاب الثاني، ترجمة عفيف الرزاز، ط١، مؤسسة الابحاث العربية – بيروت ٩٩٢ ، ص٢١٢.

٢ – عبد الأمير هادي العكام، تاريخ حزب الاستقلال ١٩٤٦ – ١٩٥٨، دار شؤون الثقافة العامة بغداد ، ١٩٨٦ ص٣٠٣ – ٢٠٤.

٣ – المصدر نفسه، ص٢١٢ – ٢١٣.

من النقد في العراق، وكان أكثر الانتقادات التي وجهت إليها راجعا بالطبع إلى السياسة الحزبية في البلاد ولا إلى الحق بنصيب»[1].

وعلى أثر نشر هذا التصريح واحتجاج الأحزاب عليه، فقد خرجت مظاهرة طلابية من كلية الحقوق في كانون الثاني ١٩٤٨، وتصدت لها الشرطة وعطلت الحكومة الدراسة في الكلية، فأسرع رئيس الوزراء صالح جبر بتكذيب تصريح الجمالي، وادعى أن تعديل المعاهدة سيقوي وضع العراق الدولي، ويجعل العراق بوضع يستطيع معه أن يساعد ليس فلسطين فحسب، وإنما البلاد العربية كافة[2]. ومع ذلك فقد استمرت المظاهرات دون توقف، وكان المحرك الرئيسي لها حزب الاستقلال ذو التوجهات القومية[3].

ولكن ذلك لم يحل دون سفر الوفد العراقي إلى لندن من أجل التفاوض مع بريطانيا لعقد اتفاقية جديدة تحل محل معاهدة ١٩٣٠، فقد وصل الوفد العراقي المفاوض لندن في السادس من كانون الثاني ١٩٤٨، وقد جرت مفاوضات في السابع والثامن والعاشر من نفس الشهر، وتم الاتفاق مبدئيا على عقد معاهدة جديدة، وتمّ التوقيع عليها في ميناء بورتسموث في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٨. وقد جاءت المعاهدة الجديدة تشبه من حيث المضمون المعاهدة القديمة إلا بالشكل[4].

وعلى أثر نشر نصوص المعاهدة الجديدة في الصحف أضرب الطلاب وقاموا بتظاهرات شاركهم فيها عامة الشعب، كما أثارت احتجاجات الأحزاب

---

١ – المصدر نفسه، ص٢١٤.

٢ – اسماعيل احمد ياغي، تطور الحركة الوطنية العراقية ١٩٤١ – ١٩٥٢، مطبعة الارشاد – بغداد ١٩٧٩، ص٢٠٤.

٣ – حنا بطاطو، العراق، ص٢٠٦.

٤ – عبد الامير العكام، المصدر سابق، ص٢١٨.

السياسية، وازدادت وتيرة الاحتجاجات وامتدت من بغداد إلى بقية المدن العراقية في النجف والديوانية والناصرية والبصرة والسليمانية، وهتف المتظاهرون بسقوط البريطانيين وأتباعهم[1].

وكان للشيخ كاشف الغطاء موقف تضامني مع انتفاضة الشعب، فقد هاجم المعاهدة الجديدة واعتبرها طوقا جديدا يوضع فيه العراق، واعتبر أن الذين قاموا بعقد هذه المعاهدة هم بحقيقتهم يخدمون المصالح البريطانية على حساب المصالح العراقية[2].

وعد كاشف الغطاء أن هذه المعاهدة ليس فيها أي خير ليس للعراق فحسب بل للعرب، فهي شرّ عليهم وتمزيق لوحدتهم المهلهلة[3].

ولما كانت الحكومة قد استخدمت أساليب البطش والقوة لضرب المتظاهرين، فقد أدى ذلك إلى مقتل العديد من الطلاب في مختلف أنحاء العراق، ومنها مدينة النجف، فقد أصدر الشيخ كاشف الغطاء بيانات احتجاج واستنكار لما تقوم به الحكومة ضد الجماهير والمتظاهرين، ودعا إلى وقف أعمال القمع ضد المواطنين وانتهاك حقوقهم، وأرسل أحد معاونيه إلى الوصي عبد الإله يطلب منه تنحية صالح جبر عن الوزارة، وإيقاف الأعمال البوليسية ضد المواطنين وإعادة الأمن والاستقرار للبلاد[4].

وكانت المظاهرات قد اشتدت وزادت قوتها في بغداد وبقية المدن العراقية، فكان ذلك حافزا للوصي عبد الإله ليدعو إلى اجتماع يعقد في البلاط مساء يوم ٢١ كانون الثاني، حضره أعضاء الوزارة وبعض رؤساء الوزارات

---

١ – المصدر نفسه، ص٢ – ٢٢١.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، ثورة العشرين في الاسلام، ص٢٦.

٣ – المصدر نفسه، ص٢٦.

٤ – مقداد عبد الحسن باقر البياتي، المصدر السابق، ص٥٤ – ٥٥.

السابقين ورئيس مجلس النواب ووكيل رئيس مجلس الأعيان وبعض نواب المعارضة والأعيان وممثلو الأحزاب السياسية. وقد نوقش في الاجتماع الذي استمر خمس ساعات الوضع العام في البلاد والمعاهدة العراقية – البريطانية. وقد انتقد الحاضرون المعاهدة وطالبوا برفضها ونتج عن هذا الاجتماع اصدار الوصي لبيان أذيع بالراديو أعلن فيه أن المجتمعين توصلوا إلى رأي موحد هو أن معاهدة بورتسموث لا تعبر عن المصالح الوطنية للبلاد، ولا تمثل طريقا صحيحا لتقوية علاقات الصداقة بين بريطانيا والعراق. وقد قوبل هذا البيان بالارتياح من بعض الجهات الوطنية[1].

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ عاد رئيس الوزراء صالح جبر إلى بغداد، وفي المساء أذاع بيانا أنذر فيه الشعب بلزوم الخلود الى السكينة لكي يتسنى له أن يشرح للرأي العام ما التبس عليه من بنود المعاهدة. وفي نفس الوقت أعطيت الأوامر إلى قوات الشرطة بقمع المظاهرات بكل قوة، والتي كانت تطالب بسقوط الوزارة وإلغاء المعاهدة. وكانت بغداد يوم ٢٧ كانون الثاني بمثابة ساحة حرب، فقد احتلت قوات الشرطة مداخل الطرق الفرعية وانطلقت سياراتها تجوب الشوارع الرئيسية ونصبت الرشاشات في كل مكان، ومع ذلك فقد خرج الطلاب بمظاهرات قوية. وأخيرا قدم صالح جبر استقالته في مساء يوم ٢٧ كانون الثاني، فاعتبر هذا اليوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ يوم الوثبة الوطنية[2].

وأذاع الشيخ كاشف الغطاء بيانا إلى الناس – أذاعه بنفسه – دعا فيه إلى الهدوء، وأعلن فيه سقوط وزارة صالح جبر وسقوط المعاهدة وتشكيل وزارة جديدة برئاسة محمد الصدر، فكان أن عمّ الفرح بين الناس[3].

---

١ – اسماعيل احمد باغي، المصدر السابق، ص٢٢٦.

٢ – عبد الامير العكام، المصدر السابق، ص٢٢٤ – ٢٢٥.

٣ – مقدام الفياض، المصدر السابق، ص٥٥.

خامسا : موقفه من حركة الإضرابات عام ١٩٥٢

أجرت عمادة كلية الصيدلة والكيمياء في بغداد تعديلا على نظامها الداخلي يجعل الطالب المعيد في بعض الدروس معيدا في كل المواضيع الدراسية. فاعتبر طلاب الكلية هذا التعديل مجحفا بحقوقهم وقرروا الإضراب احتجاجا على ذلك يوم ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٢. وامتد الإضراب ليشمل كليات أخرى كالطب والحقوق والتجارة، لذا اضطرت وزارة الصحة التي تتبعها الكلية إلى إلغاء التعديل، فعاد الطلاب إلى كليتهم وأنهوا إضرابهم في يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٢[١].

وكانت إحدى الطالبات لم تشارك مع بقية الطلبة في الإضراب، فأخذوا يؤنبونها على عدم مشاركتها معهم، فحرض ذلك أخا لها ورفيقين له الى المجيء إلى الكلية وتشاجروا مع أولئك الطلاب، فأصيب بعضهم بجروح مختلفة. وكان الاعتقاد أن العميد وأحد المعيدين هم المسئولون عن تحريض هؤلاء الأشخاص بالاعتداء على طلاب الكلية[٢].

على أثر ذلك أعلن الطلاب الإضراب في ٢٠ / تشرين الثاني مطالبين بعزل العميد ومن ساعده في الحادث، وإجراء تحقيق بالموضوع. وقد استغلت الأحزاب السياسية ومنظمات الطلبة الحادث، فقامت بالتحريض على الإضراب الذي تطور إلى مظاهرات صاخبة امتدت إلى المدن الأخرى في العراق[٣].

وفي ٢١ من نفس الشهر عادت المظاهرات، وفي يوم ٢٢ منه وقعت

---

١ – اسماعيل احمد باغي، المصدر السابق، ص٣١٨.

٢ – عبد الامير هادي العكام، المصدر السابق، ص٢٦٦.

٣ – اسماعيل احمد باغي، المصدر السابق، ص٣١٩.

اصطدامات بين المتظاهرين والشرطة أدت إلى سقوط جرحى وقتيل واحد. ولهذا فقد قرر مجلس التعليم العالي إيقاف الدراسة في المعاهد العالية اعتبارا من ٢٣ تشرين الثاني. كما قرر مجلس المعارف إيقاف الدراسة في جميع المدارس على اختلاف درجاتها اعتبارا من ٢٢ من نفس الشهر والى اشعار اخر[١].

وإزاء هذا الموقف المتدهور قدمت حكومة مصطفى العمري استقالتها. وشكلت وزارة جديدة برئاسة الفريق نور الدين محمود في ٢٣ / تشرين الثاني ١٩٥٢، وقد اختار أعضاءها من ضباط الجيش. وقد كان تكليف العسكر بتشكيل الوزارة لمعالجة الوضع القائم حول من يصدر الأمر الى الجيش الذي زج به لوقف المظاهرات الصاخبة في المدن العراقية[٢].

وفي مساء اليوم الذي شكّل فيه نور الدين محمود وزارته أذاع بيانا دعا فيه الشعب إلى السكينة وعدم تعكير صفو الأمن. ودعا الجيش للقيام بواجبه، ثم أعلن الأحكام العرفية ومنع المظاهرات والتجمعات، ومنع حمل السلاح، وحلّ الأحزاب السياسية وتعطيل الصحف.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت المظاهرات واشتدت. وطالب المتظاهرون بإسقاط الحكومة وتأليف حكومة وطنية، ولم تقتصر المظاهرات على بغداد وحدها، فقد حدثت تظاهرات في الكاظمية والأعظمية وكربلاء والنجف والحلة والديوانية والناصرية والبصرة[٣]. وأطلق الجيش النار على المتظاهرين ولم يستطع إخماد المظاهرات وإعادة الأمن والنظام إلا باستخدام

١ – عبد الأمير العكام، المصدر السابق، ص٢٦٧.

٢ – اسماعيل باشي، المصدر السابق، ص٣٢٩ – ٣٣٢.

٣ – عبد الأمير العكام، المصدر السابق، ٢٦٨ – ٢٧٠.

القوة. وكان عباس علي غالب قائد الفرقة الأولى قد امر الجيش بضرب المتظاهرين في النجف ومنع الناس من الاستماع إلى إذاعتي القاهرة ودمشق[1].

وقامت مفرزة من الجيش تحت أمرة المقدم ((نصرت القيسي)) بنصب رشاشاتها على ابواب الصحن الحيدري، فازداد الحماس بين المتظاهرين، وحاول هؤلاء التصادم مع الجيش فبات الأهالي في اضطراب مما يحدث. فذهب بعض الوجهاء وأهل العلم إلى دار الشيخ محمد حسن كاشف الغطاء طالبين منه التدخل لوقف الصدام المتوقع بين الأهالي والجيش، لاسيما ان هناك من يسعى إلى هذا الصدام والى ضرب الجيش. وكذلك فقد اتصل بعض الوزراء بكاشف الغطاء يطلبون بذل مساعيه لإطفاء نار هذه المشكلة[2].

وفي وسط هذه الأحداث وخشية منه مما سيحصل في حالة تصادم المتظاهرين فقد أصدر كاشف الغطاء الفتوى بحرمة محاربة الجيش ومضاربته، فأخذت الفتوى وصعد بها المنادي إلى أعلى المئذنة في الصحن الحيدري وهو يغوص بالآلاف من الناس، وقراه بمكبرة الصوت واذاعه المؤذنون في عدة مواضع، فكان أن هدأ الناس وعادوا إلى أعمالهم. وبذلك منع الشيخ كاشف الغطاء اصطداما كاد أن يقع بين الجيش والأهالي[3]. موكدا أن الجيش من الأهالي وأن الأهالي من الجيش، داعيا إلى الالفة والأمن والسكينة[4].

١ – اسماعيل احمد ياغي، المصدر السابق، ٣٢٤.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، الحاورة مع السفيرين، ص٣١.

٣ – المصدر نفسه، ص٣٢.

٤ – منير بكر التكريتي، ادباء صحفيون، ص٨٩.

الفصل الثالث

الإصلاح عند الشيخ كاشف الغطاء

أولا: الفكر الإصلاحي

ثانيا: موقفه من إصلاح وضع المرأة

ثالثا: ريادته في إصلاح التعليم الديني

الإصلاح عند الشيخ كاشف الغطاء

أولا: الفكر الإصلاحي

ويبدو من خلالها تأثر مرّ الفكر الإصلاحي عند الشيخ كاشف الغطاء بمرحلتين متميزتين، تعود كل مرحلة إلى عوامل موضوعية جعلت من فكره ينحى منحى معينا، ففي المرحلة الأولى امتازت الدعوة الإصلاحية للشيخ ضمن إطار ((الاتجاه الديني الإصلاحي)) الذي كان يدعو الى تحرير العقل والإصلاح الديني، والذي بدأه جمال الدين الأفغاني، ويعد هذا الاتجاه أقوى اتجاهات التجديد واليقظة في العصر الحديث[1].

وكانت دعوة الشيخ كاشف الغطاء ضمن هذه المرحلة تدعو الى ((الجامعة الإسلامية))[2]، وهي الدعوة التي كان الأفغاني محركها الرئيسي[3].

---

١ - محمد عمارة، العرب والتحدي، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠، ص٢٣.

٢ - تتضارب الاراء حول الداعي الاول للجامعة الاسلامية او أين ومتى وجدت هذه الدعوة فالكتاب الغربيون يرون ان السلطان (عبد الحميد) هو الذي أسسها بعد تسلمه مقاليد الحكم في تركيا ١٨٧٦م ويرى اخرون أن (خلدر باشان) والي (خوقند) هو الذي أسسها في حوالي عام ١٨٧٠م وعين على رأسها شريف مكة، بينما هناك رأي آخر يقول ان الجامعة الاسلامية قد وجدت في عام ١٨٨١ عند هجرة الافغاني إليها. ومن يتسبب هذه الحركة الى الافغاني يرى انه اسسها في عام ١٨٧١ خلال اقامته في مصر ولاجل ذلك أبعد عنها عام ١٨٧٦ فعاد بالدعوة اليها عن طريق صحيفة نشرها في باريس ولندن (العروة الوثقى). ينظر: التوحيد (مجلة)، العدد ٨٩، السنة السادسة عشرة، في ربيع الاول ١٤١٨هـ، تموز ١٩٩٧، ملف خاص بالافغاني.

٣ - محمد طاهر الجلاوي، جمال الدين الافغاني حياته وآراءه، المكتبة الثقافية ٢٥٩، الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١، ص٣٤.

الشيخ الواضح بجمال الدين الأفغاني ودعواته في هذا الاتجاه، حتى يمكننا عده من ناشري فكر الأفغاني والمروجين له.

والحقيقة أن للأفغاني كثيرا من الرواد والمتأثرين بفكره من العرب والمسلمين، ولكن هذا لا يخفي حقيقة أن دعوات الشيخ كاشف الغطاء الإصلاحية اختلفت في كثير من النواحي عن دعوة الأفغاني.

المرحلة الثانية: تتمثل في دعوته للوحدة العربية، وقد جاءت هذه الدعوة بعد ظهور الدعوات الصريحة للقومية العربية، وهو ما سنلاحظه أثناء دراسة هذه المرحلة.

المرحلة الأولى: التيار الديني الإصلاحي (الدعوة الدينية الإصلاحية):

كانت ولادة الشيخ كاشف الغطاء في الربع الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٧٦) متزامنة مع انحطاط الدولة العثمانية وتأخر البلاد العربية الإسلامية وضعفها وسيطرة الأجانب على كثير من البلاد العربية، كالجزائر وتونس ومراكش ومصر وعدن وعمان وغيرها، وقد كان لذلك تأثير حاد على نفسية الشيخ وخلق عنده شعورا بالحزن والأسى لسوء الحال، وهو ما بعث عنده حافزا قويا للدعوة لإصلاح الأمة وتحقيق الرقي وتحسين الحال. فظهرت الدعوات في كل من نثره وشعره[1].

وقد كانت ردود الفعل الأولى عند المفكرين العرب على مظاهر الضعف والتخلف والانحلال التي أصابت مجتمعهم ردودا دينية، وكانت أقوى الحركات الفكرية عندهم وأكثرها أصالة هي الحركات الإصلاحية الدينية، فقد أثار الجمود الفكري والتقليد الأعمى لدى الأجيال المتعاقبة من علماء

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٨.

المسلمين، وما علق بالإسلام من ضلالات وبدع، وما تمخض عن ذلك من طرق صوفية اعتمدت المبالغة والتطرف وابتعدت من جوهر العقيدة الإسلامية[1]. كما وأثار الروحانيين المسلمين العصريين وأعلنوا الثورة عن كل ما لحق بالإسلام من بدع وحشو باطل، وبدؤوا يبحثون عما يلائمون به بين الإسلام وبين متطلبات العصر، ولكنهم يرفضون إمكانية وشرعية إعادة النظر في الشريعة الإسلامية[2]. فظهرت مجموعة من المفكرين الذين أرادوا المزاوجة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، واعتبروا ذلك سبيلا لتحقيق النهضة والرقي، فكان رفاعة رافع الطهطاوي[3] رائدا في هذا المجال، فقد حث المسلمين على الأخذ بالأسباب التي قادت بالغرب الى التفوق، والمزاوجة بين هذه الانجازات العلمية والفكرية وبين العقل العربي المسلح بالتراث الإسلامي. لكن دعوته هذه لم تنقص من إيمانه بحضارة الشرق وثقافته وتراثه، ولم يجعل إطلاعه على الثقافة الأوربية لديه شعورا بالنقص، أو يولد لديه شعورا بالتعالي ويدفعه إلى العزلة والانفصال عن المجتمع الذي نشأ فيه[4].

---

١ – علي الخافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩١٤، الاهلية للنشر والتوزيع، ص٣٧.

٢ – ج. ب. جيب، الاتجاهات الحديثة في الاسلام، ترجمة كامل سمسار، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٤، ص٢٣٥.

٣ – رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ – ١٨٧٣م) أحد المفكرين العرب الاوائل الذين تأثروا بالحضارة الغربية خلال دراسته في باريس ودعا إلى الاخذ منها دون ان يخل ذلك بالحضارة الاسلامية. الف كتاب "تخليص الابريز الى تلخيص باريز" واصفا فيه اقامته في باريس و عجابه بالتطور الحاصل في فرنسا. ودافع الطهطاوي عن حق المرأة وكان له اثر في عصر النهضة. ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩٣٩، ط٣، تر كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص٩١ – ٩٣.

٤ – فاروق ابو زيد، عصر التنوير العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بلا تاريخ، ص٤١.

لكن كان هناك تيار آخر دعا إلى الأخذ بأسباب الحضارة الغربية والعوامل التي قادت الغرب إلى التطور والتفوق، رافضا حضارة الشرق التي عدها معوقا للنهضة والرقي، وقد كان أبرز رواد هذا الاتجاه ((شبلي شميل)) و((فرح انطون))[1]، وآخرون[2]. ويرجع بعضهم سبب موقف هؤلاء إلى ارتباطاتهم الروحية والعملية مع الغرب المسيحي[3].

ثم كان التيار الديني الإصلاحي الذي استهدف إحياء الحضارة الإسلامية بعد مرحلة انحطاط ذبلت فيها مظاهر الحياة في العالم الإسلامي وشيوع روح الجمود في العقيدة واضمحلال دور العقل، فكان ذلك حاجبا للصورة الأصلية للإسلام وطمسا لمعالمه، فتحولت الأمة الإسلامية إلى ما يشبه الجثة الهامدة لا حياة فيها، محركة مطامع الاستعمار الأوربي لمد نفوذه وتغلغله بالتدريج إلى البلاد الإسلامية[4].

وكان ذلك محفزا للمصلحين للتحذير من الغزو الاستعماري، محركا فيهم المخاوف من الحضارة الغربية، فشعروا بضرورة الاعتصام والدفاع عن الحضارة الإسلامية بوجه الحضارة الغربية، رافضين من منطلق الخشية من الاستعمار كل ما هو غربي[5].

---

١ – فرح انطون: مفكر وصحفي لبناني ولد في طرابلس ١٨٧٤م وهاجر إلى القاهرة لاسباب سياسية واقتصادية، وشارك هناك في الحوارات الفكرية وتأثر بالفكر الغربي وحركة التنوير الاوربية وتأثر الى حد كبير بهرنست رينان، تبنى سوف الفرنسي الداعي للفكر الاشتراكي – بنظر: رفعت السيد، ثلاثة لبنانيين في القاهرة، دار الطليعة، بيروت، بلا تاريخ، ص٧٧ فما فوق.

٢ – فاروق ابو زيد، عصر التنوير العربي، ص٧٤ – ٧٥ – ٧٦ على التوالي

٣ – وميض عمر نظمي، الجذور التاريخية، ص٦٥.

٤ – التوحيد، مجلة، العدد ٨٩، السنة السادسة عشرة، تموز، ١٩٩٧، ص٢١ – ٢٢.

٥ – محمد عمارة، الغرب والتحدي، سلسلة عالم المعرفة، ص١٦١

أ - الدعوة للجامعة الإسلامية

وكان الشيخ كاشف الغطاء من أولئك الرافضين للحضارة الغربية داعيا إلى الالتزام بالحضارة الإسلامية والنهل من منبع الإسلام الصافي الخالي من الشوائب والبدع كأساس للرقي والنهضة، مؤكدا أن العرب والمسلمين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من عزة وتفوق إلا بالتزامهم بتعاليم الإسلام الصحيحة[1].

وقد دعا الشيخ كاشف الغطاء لمواجهة المخاطر الغربية التي تهدد المسلمين وتريد السيطرة على بلادهم، وحث المسلمين على التوحد ضمن إطار ((الجامعة الإسلامية))، لأنها القوة القادرة التي يستطيعون بواسطتها مواجهة الأطماع الغربية، لكنه يربط دعوته لهذه الجامعة بتوفر دعامتين رئيسيتين لقيام هذه الجامعة، وهاتين الدعامتان هما ((الإسلام)) و((اللغة العربية))، فبهما تقوم الجامعة الإسلامية التي توفر القوة والمنعة للمسلمين ((هاتان الجامعتان هما الداعيتان لكل جامعة ووحدة))، فاللغة العربية هي التي توحد العرب والمسلمين تحت لوائها مشكلين مجتمعا إسلاميا واحدا استطاع الوصول إلى أعلى مراتب التطور والقوة، فيقول الشيخ عن اللغة العربية إنها: ((من أقوى العرى والروابط لحفظ تلك الجامعة الإسلامية بين تلك الأمم المختلفة والشعوب المتفرقة والعناصر الشتى، وبحفظ تلك الجامعة بلغ الإسلام أوج عزه ونزل في برج ارتقاده))[2].

وعندما تخلى المسلمون عن اللغة العربية حل بهم التخلف والانحطاط

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، ص٢٩.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٣٨٥.

وتمزقت الأمة وتشتت وضعفت لأنها تركت لغة القرآن، فكان أن «ضاع ملك الإسلام وتلاشت الممالك الإسلامية في شرق الأرض وغربها وسرى الداء إلى قلبها»[1].

ويمكن القول: إن دفاع الشيخ كاشف الغطاء عن اللغة العربية ووضعها كأساس لأي وحدة إسلامية جاء كرد فعل قوي لسياسة التتريك العثمانية ومحاولتهم الغاء دور اللغة العربية، وهو ما حصل من خلال جعل اللغة التركية هي الأساس في التعليم والإدارة والصحافة، ونظرتهم العدائية للعرب ومحاولتهم الحط من شأنهم والتقليل من دورهم التاريخي، ونعتهم بنعوت وصفات مؤذية لمشاعرهم وكرامتهم. وهذا السبب كان دافعا قويا لكثير من المفكرين العرب للرد على الاتهامات التركية بقوة دفاعا عن لغتهم[2].

ومن غير المستبعد أن السلطات التركية قد صادرت كتاب الشيخ «الدين والإسلام»، لما تضمنه من تمجيد للغة العربية وتصريح إلى أن الوحدة الإسلامية لا يحققها إلا العرب ولا تكون إلا إذا كان لسان القوم عربيا[3]، فهي اشارة إلى العثمانيين الذين استبدوا وحولوا بلاد المسلمين إلى هدف مقصود لإطماع الغرب الاستعماري.

ويزيد الشيخ من حدة دفاعه عن اللغة العربية بتأكيد أكثر رسوخا مفضلا اللغة العربية على سائر اللغات، وأن اللسان العربي هو اللسان الطبيعي للإنسان الموافق لأهواء النفس «حتى كأن اللسان العربي هو اللسان الذي خلق مع الإنسان وخلق الانسان وارتقى بارتقائه»[4].

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٣٨٤ – ٣٨٥.

٢ – سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي من رواد الحركة العربية في العراق، تحقيق باسل سليمان فيضي، مطبعة الاديب، بغداد ٢٠٠٠ م، ص١٠٩ – ١١١

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٣٨٠ فما فوق

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، المراجعات الرجائية، ط١، ص٥٥.

واستمر الشيخ كاشف الغطاء في هجومه على الغرب الطامع والعدو المتربص بالمسلمين، فقال في قصيدة له محذرا من هذا العدو المقتدر :

اظهر الغرب ما اجن من الغدر ... وابدى دسائس الاضغان

واحاطت بالمسلمين علوج البغي ... من كل جانب ومكان

قد دهاكم ويل فماذا التمادي ... وأتاكم سيل فماذا التواني

جاءكم جارف من الغرب تيارا ... يبيد البقاء واس المباني[1]

ولأجل إيجاد الوسائل والأسباب التي تقود إلى ارتقاء الأمة ونهوضها فقد قام الشيخ كاشف الغطاء بمراجعة لتاريخ الأمة وتراثها باحثا عن حل لواقعها المتخلف وخلاصا لها، فكان أن اهتدى إلى أن ما حققه العرب المسلمون من تطور وتفوق على أمم العالم في عصورهم الزاهية كان بالتزام الأمة بعقيدتها وكتابها((القرآن الكريم))، فقد وجد الشيخ في هذا نهجا يمكن أن تسير فيه الأمة وتعيد قدرتها على النهضة والتطور.

وأكد الشيخ أن للمسلمين القدرة على تحقيق النهضة من خلال رجوعهم إلى الأصل والأخذ بالأسباب التي أخذ بها المسلمون الأوائل، فكان الصعود والنهوض والتحليق وانتشار صيت الإسلام في العالم، وكان للمسلمين الحظ الكبير من القوة والنفوذ وسعة في الملك، وقد بلغوا ذلك بتوفر عاملين هما بمثابة الجناحين، استطاع فيهما المسلمون من السيادة والتحليق، وهذان الجناحان هما الجناح الأول ((تواصل العلم والعمل))، والجناح الثاني ((تناصر السيف والقلم))[2].

---

١ – أنيس المقدسي، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، بلا تاريخ، ص٦٩.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٩

وهذه الرباعية الذهبية التي يطرحها الشيخ كاشف الغطاء التي تشكل منها جناحي الطائر القدسي ((الإسلام)) هي التي يدعو الشيخ المسلمين الى الأخذ بها للوصول للغاية المنشودة من الرقي، والخروج من حالة الانحطاط التي هم فيها، والانطلاق متقدمين نحو المجد كما حصل مع المسلمين الذين ساروا على هذا النهج.

وكانت رؤية الشيخ للفترة التاريخية التي تحققت فيها شروط النهضة متمثلة بتوفير هذين الجناحين، لذا أصبحت الأمة الإسلامية في قمة مجدها، وكان ذلك في أواسط فترة الخلافة العباسية، فقد أصبح الإسلام في تلك الفترة أكبر ما يكون من النسور ((فأنشب مخالبه في أعماق البسيطة وأثبت رجليه على تخوم الأرض واحتك بظهره أعنة السماء من هذا المحيط، واستقبل بوجهه الكعبة المقدسة من ناحية الجنوب حتى أطل برأسه من وراء خط الاستواء، ومد ذنبه على أقصى المعمورة من الشمال، ونشر جناحيه على الشرق حتى وضع قوائمه على جدار الصين، وظل يلتاني طرف المغرب إلى منتهى المحيط، فقال للشمس: أينما أشرقت ففي ظلالي. وللسحاب: أينما دقت ففي بيت مالي. بلغ هذا الطائر المبارك الميمون من الفخامة والعظمة في أقل من قرن ونصف ما لم تبلغه أكبر دول العالم في عدة قرون لا قبله ولا بعده))[1].

والشيخ كاشف الغطاء وهو يقدم العوامل التي أدت بالعرب والمسلمين إلى التفوق ووصولهم إلى قمة سلطانهم، محاولا النفخ في الروح الإسلامية لاستعادة وعيها، وبالتالي تحقق النهضة القادرة على وقف الاطماع الاستعمارية الغربية التي تهدد الإسلام والمسلمين، وهذا الخوف من الغرب

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص١٠.

كان يشترك فيه أكثر المصلحين الذين رووا بالحضارة الغربية خطرا يهدد الإسلام[1].

وكان الشيخ كاشف الغطاء من الذين أثر فيهم هذا الوضع فزاد من آلامهم وشعورهم بالحزن لما وصلت إليه حال الأمة، وما وصل إليه الإسلام من حال ((فاختنق صوته وأخفقت دعوته وأصبح كجوجو في وسط العراء تكتنفه الذئاب والوحوش والقشاعم والنسور كل يوم تنهش قطعة من لحمه وتكسر عظيما من عظمه، وهو ينظر بعينه لا أيدي تدفع ولا جناح سلاح يمنع، فهو طعمة للحشرات من الهوام والبغاث من الطير التي تستنسر في أرضه، وتلك زيادة في العلة))[2].

فهل هناك أسوء من هذا الحال وبلاد المسلمين عرضة للالتهام قطعة بعد أخرى، وأموالهم مسلوبة يتصرف الأجانب في ممالكهم ويعبثون بثرواتهم، وأغلب البلاد الإسلامية مقسمة بين البريطانيين والفرنسيين والهولنديين والروس، ولم يبق سوى عدد قليل من البلاد الإسلامية مستقلة لكنها تعيش الخوف والخطر من الغزو الأجنبي[3].

وحتى تستطيع الأمة مواجهة الأخطار، ولأن لها في تاريخها عبرة ومنفعة، فعليها العودة إلى المنبع لتأخذ منه الحل وتستعيد قوتها، فتكون قادرة على مواجهة المخاطر التي تهدد كيانها. وهو ما طرحه الشيخ بتوفر الجناحين ((العلم والعمل)) وهما الأداة للوصول للغاية الحيوية والسيف والقلم، وهما ((آلة الملك وأدوات القوة وسياج الملة ومعدات الرقي فللسيف رجال وللأقلام رجال)). وهي دعوة موجهة إلى ذوي الهمم من أبناء الأمة الذين

---

١ – مجلة التوحيد، العدد ٨٩، تموز ١٩٩٧، ص٨٥.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص١٠.

٣ – مجلة التوحيد، العدد ٨٩، تموز ١٩٩٧، ص٦٠.

يشعرون بوضع أمتهم، وفي نفس الوقت يعرفون السبيل الى انتشالها من واقع الانحلال والتدهور وقيام الإصلاح فيها. وهذا لا يكون الا بالعودة للالتزام بشريعة الإسلام، فهي الروح المتدفقة التي استطاعت في العصور الزاهية أن تحقق الرفعة والتوسع. والآن هي قادرة على نفس الفعل اذا ما سارت على نفس النهج.

وإذا كانت الأمة قد وقفت ساكنة دون حراك أمام ما يحيط بها من أخطار وما حل بها من سوء حال، فإن الشيخ لا يستطيع أن يكون صامتا، فكان هدف دعوته لفت أنظار أبناء الأمة واستعادة التفكير بتاريخهم، محركا فيهم غيرتهم واستنهاض عزائمهم بكل عناصرهم وشعوبهم، داعيا إياهم باسم الإسلام الذي جمعهم ووحدهم أن يتبعوا كل الوسائل التي تعيد إليهم قوتهم، وأن يلتمسوا طريق الجد والاجتهاد، وأن ينفضوا عنهم أدران الكسل والخمول. وينهضوا متوثبين قاصدين الرفعة والرقي لإعادة مجدهم المعروف والاستقرار في مقامهم الذي يستحقونه والذي كان مقام آبائهم وأجدادهم. ولا يتحقق ذلك إلا ((بأن ينتبهوا من خدر الكسل إلى نشاط العمل وينهضوا من وهدة الجهل إلى ذروة العلم ويمتطوا صهوة المعارف وغارب الطلب، ويبذلوا النفس والنفيس دون التفاني على التمسك بعرى هذا الدين، فإن فيه معادن البركات وينابيع الخيرات وجماع السعادات. ألا إن الدين السعيد دين الوحدة والتوحيد))[1].

ومثلما كان العرب المسلمون قد أولوا العلوم والمعارف جل اهتمامهم وبذلوا جهودا عظيمة في الحصول عليها وترجمتها، فكان أن حققوا قفزات علمية ومعرفية واستثمروا العلوم والمعارف في ميادين رحبة في صناعات

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص٤٨٠ – ٤٨١

وفنون وآداب جديدة، فامتدت رقعة الزراعة واتسعت دائرة الصناعة، وكانت هناك اكتشافات جديدة في كل العلوم، فبلغ العرب المسلمون أعلى درجات الرقي والحضارة، فكان ذلك اساسا من الأسس التي قامت عليها نهضة العرب الكبرى[1].

وهنا يرى الشيخ كاشف الغطاء أن أبناء الأمة لابد أن يتسلقوا سلم المجد متخذين الوسيلة لذلك العلوم والمعارف، وأن يبعدوا عن تفكيرهم الانبهار بحضارة الغرب دون عمل، بل ان المسلمين قادرون على بلوغ المكان المرموق الذي يفوق ما وصل إليه الغربيون اذا ما التزموا بشريعة الإسلام واتخذوا طريق العلم والعمل، ونظروا إلى ما حققته الأمم الراقية من تطور وتمدن، على أساس أنهم قادرون على فعل نفس الشيء بالجد والاجتهاد، مؤكدا في الوقت نفسه ان ما حققه الغربيون من تقدم لم يكن الا تطبيقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية القائمة، على ((العلم والإيمان))، والتي تركها أهلها واستفاد منها الغربيون وانتبهوا اليها فوضعوا الجرايات والقروض المالية وأخذوا بإنشاء المستشفيات وكثير من المشروعات وإقامة الشركات، وخصصوا أرباحا لتوسعة المدارس والمكاتب ونشر دينهم وثقافتهم والعناية والاهتمام بالكليات، وترقي الكمالات، وخصصوا قسما من أرباح الشركات لإنفاقها على البعثات التبشيرية و((دعاة دينها وحماة ملتها))[2].

وعندما يحض الشيخ المسلمين على طلب العلم فانه ينطلق من كون الإسلام هو الذي يدفع إلى طلب العلم والتفوق، وليس من دليل اقوى على ذلك من قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم

---

١ - معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، تموز ١٩٨٧، ص١١٢ - ١١٣.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٤٨٣

ومسلمة))[1]. ودليل ذلك الإنجازات العلمية والفكرية التي حققها العرب المسلمون بعد أن خرجوا من حالة الشرك ودخلوا مرحلة الإسلام[2].

ولابد من التأكيد على أن الشيخ كاشف الغطاء في تذكيره المسلمين بما حققه الغرب من التطور، ودعوته لهم بالأخذ بأسباب هذا التطور، إنما هو انتقائي في عملية الأخذ والاستفادة من الحضارة الغربية، فهو يدعو إلى الأخذ بما يناسب المسلمين وشريعتهم والاقتباس من الغرب بما لا يتعارض مع أصول العقائد الإسلامية[3]. وهو لا يمانع من الانتفاع من حسنات الحضارة الغربية التي تساعد المسلمين في نهضتهم[4].

وانتقائية الشيخ هذه جاءت من شدة مخاوفه من الحضارة الأوربية وحذره منها باعتبارها تمثل التهديد الحقيقي للبلاد الإسلامية من خلال محاولة هذه الحضارة فرض سيطرتها على هذه البلاد، فالغرب عند الشيخ كاشف الغطاء غير مأمون الجانب، لأنه بالحقيقة ((وحش كاسر سفاك للدماء)) يتصف بالمكر والخداع، فاقد للمصداقية والالتزام بالوعود والعهود، فضلا عن أن حضارة الغرب لم تأت إلا ((بالمآسي والويلات)) التي أصابت البشرية، وعملت على فساد الأخلاق وتمزيق نواميس الشرف، لأنها لا تملك القيم الروحية، بل إنها مدفوعة بنهم استعماري عنيف للسيطرة والتوسع، بالرغم أنها لم تقدم للإنسانية إلا البهارج، وهذه أحالت حياة البشر إلى جحيم فنغصت عيشهم وكدرت صفو حياتهم[5].

---

١ - ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، السنن، ج١، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، بيروت، بلا تاريخ، ص٨١.

٢ - علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩١٤، ص٧٩.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص٨٣.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، المرجعيات الدينية، ص١٢٣.

٥ - المصدر نفسه، ص٢٤.

أو كان شعور الشيخ كاشف الغطاء بالخطر الكامن وراء حضارة الغرب لما تؤمن به من مبادئ سيطرة وتوسع ورغبة في الحصول على خيرات العالم وخاصة البلاد الإسلامية، فإنه فضل الحياة البدوية التي رمزها «البعير العاري» على المدنية الغربية التي رمزها «الحجر والكهرباء»[1].

ويبدو أن الشيخ أراد بهذا التمثيل جعل الصراع حضاريا بين حضارة العرب المسلمين وحضارة الغرب التي بلغت قوة الشباب، فجاءت تحاول إنهاء ذلك الصراع التاريخي لصالح قومها باحتواء المسلمين حضاريا، مرة بالعنف والأخرى بالإغراء وتشجيع المهزوم على تقليد المنتصرين، وأمام هذا التحدي فكان لابد من التصدي لهذه الحضارة، فكانت الدعوة لليقظة والحذر[2].

والمثال الواضح لغدر الحضارة الغربية وفرض هيمنتها الثقافية والحضارية نقاد هذه الروح الغربية في جسد الشرق وجسد العالم الإسلامي، منتزعة منه كل عاطفة شريفة وإحساس روحي وشرف معنوي ومجد بالاح واستقلال ذاتي.

وتزداد نقمة الشيخ على الحضارة الغربية وهو يراقب محاولاتها في تمزيق العالم الإسلامي، متغلغلة بين صفوفه مبتدئة بغزو ثقافي، ممهدة السبيل لغزو أكبر وأشمل، لكن ما يثير حزن الشيخ وألمه بشكل قاس أن أبناء الشرق يساعدون الروح الغربية على التسلل إليهم[3].

ولأن الغرب هدفه ومبتغاه القضاء على الإسلام وقتله في نفوس

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المراجعات الرجائية، ص٢٤.

٢ – محمد عمارة، مصدر سابق، ص١٦١.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص١٠٧.

المسلمين حتى تسهل مهمته في التسلط والسيطرة، فلابد من التصدي له ولكل ما جاء به من مدنية غربية عن واقع الشرق والدفاع عن الإسلام والتمسك بشريعته[1].

وكان من أبرز الطرق التي استغلها الغرب لنشر ثقافته هي البعثات التبشيرية التي مثلت طلائع المد الاستعماري، وقد وظفت الدين لخدمة هذه الأغراض الاستعمارية[2]. وقد جرت هذه البعثات عليها غضب المسلمين، نظرا لما كانت تقوم به من مجادلات شفهية وكلامية أثارت علماء المسلمين، فاندفعوا للانكباب على درس الأديان ليستنبطوا منها الحجج للدفاع عن عقيدتهم، وبالتالي كفروا بعلم الغرب ومدنيته[3].

وقد تنبه الشيخ كاشف الغطاء إلى حقيقة هذه الجمعيات فعدها من أكثر الطرق الغربية خطورة، فهي تعمل على تبليل عقول أبناء الشرق وتقلعهم من جذورهم الحضارية، فقد أخذت هذه الجمعيات تنتشر بشكل واسع ((حتى غشي ضغائنهم واشتد عدوانهم، فعادوا في هذه السنين يسبون ديننا جهرة ويشتمون نبينا علانية، وقد فتحوا مدارسهم ونوادي التبشير ومحافل الدعوة ومحاضر المستشفيات، يستميلون صبياننا ويستغلون ولداننا ويحاربوننا في بلادنا))[4].

ومع كل ما تقوم به هذه البعثات التبشيرية من أعمال مخالفة لحضارة الشرق، فإن الحكومات تقف مكتوفة الأيدي حيال ذلك، رغم أنهم يبثون نشراتهم ومؤلفاتهم في الأسواق والشوارع والتراموايات علانية، والحكومة المحتلة (بريطانيا) لمصر تشجع ذلك وترفض ضربا له[5].

١ - المصدر نفسه، ص٩.

٢ - محمد عمارة، مصدر سابق، ص١٦٩.

٣ - المصدر السابق، ص٩.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، التوضيح، ص٣ - ٤.

٥ - المصدر نفسه، ص٤.

وكان الشيخ خلال زيارته لمصر ١٩١١ ورؤيته الانتشار الواسع للمبشرين ودعوتهم المسلمين لتغيير دينهم وترغيبهم على ذلك بوسائل مختلفة[1] قد ولد لديه شعورا بالغضب والاستفزاز، فما كان منه إلا أن يدخل إحدى الكنائس التابعة لهذه البعثات التبشيرية، ويصعد المكان المخصص للخطابة رافعا صوته بمهاجمة هذه البعثات والتنديد بها مدافعا عن الإسلام وقيمه، حتى وصل الأمر إلى حدوث مواجهة مع القيمين على المركز التبشيري لأنه رفض النزول عن مكان الخطابة[2].

والواقع أن مخاوف الشيخ الكبيرة من هذه البعثات التبشيرية ليا ما يبررها، إذ كانت الدول الأوربية وخاصة فرنسا وبريطانيا وروسيا لها مطامعها في البلاد العربية وتتنافس فيما بينها لفرض هيمنتها ونفوذها، فعمدت كل من هذه الدول على افتتاح المدارس التبشيرية والشركات، واخذت تتدخل في الشؤون الدينية وهي بالحقيقة تخفي وراء ذلك اهدافا سياسية[3].

ب - ضرورة الإصلاح الديني لمواجهة الخطر الغربي:

ومما يزيد من خطر الغزو الثقافي التبشيري هو تخلف المسلمين بالنسبة لما حققته المدنية الغربية من تطور ورقي، وإهمال المسلمين للعلم ودوره في نهضتهم فبقيت نفوسهم على سذاجتها وأهملوا المعرفة، واصبحت معارفهم تعتمد على ما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم، وعافوا اكتشاف الحقيقة

---

١ - لزيادة الاطلاع حول النشاط التبشيري في العالم الاسلامي والاساليب والوسائل التي سلكها المبشرون لإغواء المسلمين وإغوائهم وحملهم بطرق شتى مختلفة على الخروج من دائرة الإسلام، ينظر إلى الغزو التبشيري مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٠، ص١٢ وما بعدها.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، محاورة مع تشرشل، ص٦١.

٣ - جورج تقولاوس، المصدر السابق، ص٢٣٨.

وحب التقوى، فضعفوا واستكانوا، واستيقظ عدوهم المتربص وجد في تخلفهم الفرصة السانحة للهجوم والانقضاض، فهجم بجيوش المنصرين والمبشرين وألبها على نفوس المسلمين، فوجدوها خاوية من كل منعة وحصانة، فعبث هؤلاء المبشرين بعقول المسلمين وابعدوهم عن الاصغاء الى النفوس والشرائع الاسلامية، واخمدوا مصابيحها فاصبحت الامة في حالة من التيه والضياع، فانتشرت أفكار الزندقة والإلحاد، وتركت الناس تيهم واندفعوا متشبثين بأوهام الطبيعة"[1].

وكان ذلك سببا في اهتمام أكثر المصلحين بوجوب الاصلاح الديني كما أكدت على ذلك تعاليم الاسلام. والمقصود به ترتيب وتنظيم الامور والعمل ضد الفساد. فالإصلاح الذي دعا اليه المصلحون المسلمون (ومنهم الشيخ كاشف الغطاء) يغاير الإصلاح الديني البروتستانتي. وهو لا يعني الثورة او التغيير الجذري. فالإصلاح يعني إحياء وتجديد الفكر الديني. وهو اجراء يهدف الى الرقي والتكامل لتمهيد السبيل لإصلاح الامور الاقتصادية والسياسية. وعلى هذا الاساس فكان الإصلاح الديني خطوات اصلاحية اولية في فكر وثقافة المسلمين[2] ليكونوا أكثر استعدادا للنهضة وتوفر شروطها.

وقد أدرك الشيخ كاشف الغطاء اهمية الإصلاح الديني لقدرته على تقوية المسلمين وتأجيج الروح النقدية ضد الغزو الغربي، فضلا عن تأثيره الكبير في رفع الجهل والعصبية وتمكين الدين الصحيح في النفوس وتشذيب ما أصاب العقيدة الإسلامية من مخاطيل وخرافات ساعدت على نقل الروح الغربية إلى الجسد الإسلامي[3].

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٢٤ - ٢٥.

٢ محمد توحيد، العدد ٨٩، تموز ١٩٩٧، ص٧٢

٣ محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص١٩

ويحمّل الشيخ كاشف الغطاء مسؤولية ما لحق بالعقيدة الإسلامية من أصابها من ضعف ووهن على عاتق علماء الأمة ومصلحوها، فهم الذين أهملوا الدعوة الصحيحة وواجب الإرشاد للناس، بإهمالهم التعليم الحديث الذي يقرّب العقائد الإسلامية من الأذهان والأفكار، بعيداً عن التعقيدات الصناعية والمجادلات الكلامية ليكون مقنعاً وتقبل به النفوس[1].

وقد كان ما أصاب العقيدة من تعقيد وجمود سبب في توجيه اتهامات للإسلام بالانغلاق الفكري والجمود الذهني، ومعاناة المسلمين من الإفلاس الثقافي والتعليمي وتدهور الدول التي تدين بالإسلام[2].

لكن الحقيقة أن المسلمين هم الذين ابتعدوا عن التعليم الذي يؤكد عليه الإسلام وبقوا على الجمود، وقد أدرك الشيخ ذلك فدعا إلى الأخذ بأساليب التعليم الحديثة وكتابة العقيدة بأسلوب حديث قادر على الوصول إلى كل المسلمين وتنقية العقيدة مما لحق بها من زيادات ودخيل مما جعلها عرضة للنفور وعدم القبول، فضلاً عن الأسلوب القديم الذي كتبت به تلك العقائد مما زاد من تعقيداتها وصعوبة فهمها فأصبحت لا تلائم روح العصر[3].

وهذا التعقيد في كتابة العقائد هو الذي جعل النفور يدب في الأمة، فقد أبعد عن الدين سماحته وسهولته، وزاد من الجدل غير المجدي بالعقائد، مما ولد اعتقادا بمنافاة الشريعة الإسلامية للعلوم العقلية[4]، وهي تهمة ردها المفكرون المسلمون، وأكدوا على توافق الإسلام الحقيقي الخالي من الشوائب مع العلوم العقلية والتطورات العلمية، وذهب البعض لأكثر من ذلك معتبرين

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص٢٣ – ٢٤.

٢ – علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩١٤، ص٧٨

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٢٧

٤ – عبد الرحمن الكواكبي، السند الغربي او لغوي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة١٩٣١، ص١٣٨

قوانين التقدم والرقي والسعادة الانسانية هي قوانين الإسلام نفسه[1].

ومن اجل تأكيد عصرية الإسلام وبرء الانطباع من وجود تناقض وعدم انسجام بين الاسلام والعلوم الحديثة، فقد اقترح الشيخ لذلك انتداب لجنة من علماء الامة وفلاسفتها ومفكريها تقوم بمهمة تشذيب العقائد مما لحق بها وكتابتها بطريقة عصرية سهلة تقبل عليها النفوس، بأسلوب يحرق الحجب الكثيفة بعيدا عن الغموض، فتكون قادرة على الإقناع، لأن الاسلوب الذي كتبت فيه تلك العقائد والشرائع يمتاز بالصعوبة ولا ينتفع به الا النخب الدينية، فضلا عن ان الاسلوب القديم في الكتابة لا يضم سوى العقائد دون ان يعطي أدلتها وبراهينها، وهو ما اثار شكوك المشككين وادى الى مروق الكثير من النشء الصغير والأحداث واتجاههم إلى اعتناق الافكار الإلحادية والطبيعية[2].

الدعوة لفتح باب الاجتهاد:

كان أبرز ما طرحه مفكرو عصر التنوير العربي الدعوة الملحة إلى فتح باب الاجتهاد كجزء من إصلاح الفكر الديني، في محاولة لوقف التدهور الذي يعيشه المسلمون، بعد غلق هذا الباب منذ وقت طويل، وما نشأ عن ذلك من تعطيل لدور الشريعة في الحياة وسريان الجمود الفكري والتفكير الاعمى وتراكم كم كبير من الضلالات والبدع بعيدة عن العقيدة الإسلامية. فقد دعا إلى فتح باب الاجتهاد لتفسير الشريعة بما يلاءم المستجدات الحديثة الكثير من مفكري عصر النهضة، كان أبرزهم الطهطاوي[3] وخير الدين التونسي[4]

---

١ - البرت حوراني، الفكر العربي، ص١٩٨ – ١٩٩.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص٢٢ – ٢٣.

٣ - فاروق يوزبك، عصر التنوير العربي، ص٤٨.

٤ - محمد عمارة، العرب والتحدي، ص٢١٨.

والأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا[1].

وكان الشيخ كاشف الغطاء مؤمنا بالاجتهاد وأبقاه بابه مفتوحا، وذلك يرجع بالتأكيد إلى أصوله العقلانية الذهبية ومعاهد النجف التي استمرت في تدريس الفلسفة والعلوم العقلية[2].

وعلى هذا الأساس، فقد كان يرى أن سد باب الاجتهاد لم يؤثر على الفقه فقط، بل كان له تأثير في سائر العلوم، لذلك فإن باب الاجتهاد يجب أن يبقى مفتوحا بغير حد من ناحية المجتهد بشرط توفر شروط الأهلية في هذا المجتهد. وأما مدى الاجتهاد، ومسافته فهي غير محدودة، مستمرة مادام التكليف، وما بقيت العقول التي هي الحجة الكبرى للخالق على المخلوق، وللمخلوق على الخالق[3].

دعا الشيخ كاشف الغطاء المجتهد (العالم الديني)[4] الذي يعتمد على الاجتهاد في إصدار الفتاوى أن يراعي المصلحة العامة في الفتاوى، بما يلائم روح العصر، ويرى أن العقائد ما يطابق منها البراهين القطعية والأدلة العقلية الضرورية يعمل به ولا حاجة لصحة سنده[5].

وقد برهن الشيخ كاشف الغطاء عن اجتهاده في كثير من الأمور من خلال إصداره كتاب (تحرير المجلة) بخمسة أجزاء، الأربعة الأولى في العقود والمعاملات والالتزامات والمسلمات والمرافعات، والخامس بالحقوق

---

١ - الوت جوزيف، المصدر السابق، ص١٥٩ - ١٧٤ على التوالي

٢ - محمد هادي الدفتر، رحلة الزهاوي وخطبه، ص٦٥

١ - عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصر الأدبي والسوكي الأول، ط١، دار الفكر العربي، بلا تاريخ، ص٣٨٠

٤ - علماء مسلمين اللذين وصلوا درجة الاجتهاد.

٥ - محمد حسين كاشف الغطاء، في المسجد والحكمة، ص٦ - ٨

الشخصية، فقد جاءت فتاواه وأجوبته بشكل جديد وعصري مراعيا فيها متطلبات العصر وحاجياته[1].

ومع ذلك فإن الشيخ كاشف الغطاء كان متردداً في أمور أخرى، حريصاً على عدم إثارة الآخرين ضده، وعبّر عن ذلك بقوله: «إني في صدري لعلماً جماً أخشى أن أبوح به من الشيطنين الذين يوجهون العوام وفق مقاصدهم»[2].

وعندما يعبّر الشيخ عن مخاوفه من إصدار فتاوى تثير الناس عليه وقد تلحق الضرر به، فإنه لم يتوان مرات أخرى بإصدار فتاوى تراعي ظروف الحياة وتطورها، فكان أول من حكم بطلاق امرأة من رجل مصاب بالشلل[3].

وتأكيداً على احترام الشيخ لدور العقل وإيمانه بقدرته، فقد كان الشيخ يرى أن العقل متوافق مع الدين، ويرى ضرورة حدوث توافق بين كل من العلم والدين والعقل والدين، وأن العقل والعلم لا يتقاطعان الدين بل يسجمان معه ويدعمانه[4].

ودعا الشيخ إلى عدم تعطيل العقل ودوره، بل إنه أوجب الحصول على العلوم والمعرفة، وعدّ المشتغل بالعلوم العقلية من «أهل السلامة والاستقامة»، وهؤلاء تستمر عقولهم وأفكارهم في التوسع في العلوم والمعارف، فتتصاعد في سلم المراقي.

ويقسّم الشيخ الناس في موقفهم من العلوم والمعرفة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لا تعنيه العلوم والمعارف ولا يهمه الحصول عليها، وكل همه الحصول على المال والثروة والتوسعة في الرزق والكد في هذا المجال.

١ – عبد اللطيف حمود، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأولي والثاني، ج١، ص٣٨٢.
٢ – علي الخاقاني، شعراء الغري، ج١٠، ص١١٧.
٣ – جعفر الحسني، هكذا عرفتهم، ج١، ص٢٤٦.
٤ – محمد الحسين كاشف الغطاء، السياسة والحكمة، ص٦.

وهذا القسم استكان إلى الجهل وارتاحت نفسه إلى الظلام وأطفأ مصباح عقله (فهو والبهيمة سواء).

القسم الثاني: رفض أن يكون حاله مثل حال القسم الأول من رذيلة الجهل التي هي أم الرذائل، فبحث ونقب ونظر في المعارف، لكنه اكتفى عند نقطة معينة حاسبا أنه وصل مبتغاه.

القسم الثالث: هو الذي يستمر في البحث ويبقى عقله مستمرا في النظر بالعلوم والمعارف، ويعتبر ما وصل إليه خطوة على الطريق[1].

الموقف من الأفكار الصوفية:

كان لانتشار الأفكار والطرق الصوفية في أواخر عصر الدولة العثمانية أن أدت إلى شيوع روح اللامبالاة واللامسؤولية وتفشي الفساد في الدولة في مختلف الأوساط الاجتماعية، حتى أصيبت البلاد بالشلل اقتصادي والتحلل ثقافي عام[2].

وقد عالج الشيخ كاشف الغطاء هذه الأفكار التي عملت كعائق قوي أمام الفكر النهضوي ومحاولات الخروج من مرحلة الانحطاط، فقد رفض الشيخ ما تنتهجه الصوفية من طقوس وتقاليد وأفكار قادت إلى الكسل والجمود بشكل يتناقض مع روح الإسلام، الذي يدعو إلى العمل والاجتهاد والمثابرة، وينبذ الركون إلى البطالة وقعود النفوس إلى الكسل، وأن المراد من النفوس أن لا تتكل على القضاء والقدر فيخل بذلك نظام العالم المبني على دعائم من أحكمها الحرص وحب الاستكثار، وهما الباعثان على الجد والجهد المؤديين

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص٣٣

٢ - علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩١٤، ص٢٠

إلى توسعة العمران وتمهيد الحضارة، وإن الحري بالإنسان السعي بالدنيا ولا ينسى نصيبه من الآخرة[1].

فالإسلام دين دنيوي وأخروي، لكن المسلمين عندما تنازلوا عن أحكام الإسلام أصابهم الانحطاط، وأخذ بعضهم يتكلم عن الإسلام باعتباره مانعا للرقي ولا يلائم المدنية الحديثة[2].

ولكي يكون المجتمع الإسلامي قادرا على مواجهة السياسة الاستعمارية الغربية والتي تتطلب اليقظة والحذر، فلابد إذا من تخليصه من بعض ما علق به من شوائب، وإصلاحه من الداخل بإبعاد الأفكار والطرق التي تضعف روح اليقظة في الأمة وتشيع فيها التراخي. وهذا هو الذي قصده الشيخ برفضه بعض طرق الصوفية، التي تساعد في إضعاف حماس الأمة وقدرتها، وتتخذ من الدين منطلقا لها لكنها في الحقيقة لا تتوافق مع الإسلام الداعي للعمل من أجل الوصول للمقاصد الخيرة[3].

وإذا كانت الصوفية تدعي أنها تقوم على خدمة الإسلام من خلال ما لديها من طرق وطقوس، فإن خدمة الإسلام لا تتم بالانعزال عن الناس والالتزام من الحياة، كما يفعله كثير من المتصوفة، وإنما يتم ذلك بالعلم والعمل والجهاد[4].

نبذ التعصب الطائفي:

تناول الشيخ كاشف الغطاء ضمن دعوته لإصلاح الفكر الديني مسألة

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص٢٠٦ – ٢٠٧.

٢ – عبد الرحمن كاشف الغطاء، نصائح لنسوة المسلمات بالشرق، ج١، مطبعة هوز بومباي، ١٣٤٦ هـ، ص٤٦.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٢٠٥.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٨.

التعصب المذهبي باعتباره عاملاً فعالاً في حصول النكوص والتخلف عند الأمة وتمزيق وحدة المسلمين وشيوع الطائفية، ودعا المسلمين الى التصدي لمهمة محاربة ((جراثيم)) التعصب وقلع ((الرذيلة)) من النفوس[1]، عن طريق سد باب المجادلات المذهبية وإغلاقها تماماً، وان يعد المسلم قلبه على الإخاء الصحيح لأخيه المسلم، وان يلتفت المسلمون ويتيقظوا لعدوهم الذي ليم بالمرصاد يريد سحق الكل وسحو الجميع. وهذا كفيل بتنمية فكرة الاتحاد بين المسلمين[2].

وللتقريب بين المسلمين بجميع مذاهبهم فانه طرح مقترحات لحصول هذا التقريب والوحدة، فدعا المسلمين – بجميع مذاهبهم – للتخلي عما يثير المذهبية والتخلي عن بعض الفوارق التي هي ليست من اصول الدين أو جوهره، والتوقف عن إثارة المسائل الخلافية التي تزيد الفرقة وتقوي الشقاق بين ابناء الدين الواحد[3].

ج ـ الدعوة لتحقيق العدالة

ان العلة الرئيسة في تخلف العرب والمسلمين خلال العهد العثماني تكمن في الاستبداد الذي استشرى تدريجياً بعد عصور الازدهار العربي، التي تميزت بالعدل والانصاف والمشاركة في الشورى، ويعتبر الاستبداد مصدر التخلف، والذي يؤثر بشكل سلبي على شؤون الحياة العامة، بينما تنعم المجتمعات التي يسودها العدل والازدهار والرقي في ظل حكم يهدف الى القيام والنهوض بالأمة فرداً وجماعة[4].

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المراجعات، ص٢٣٠.
٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة، ص٣٥.
٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المراجعات، ص٢٣١.
٤ – معن زيادة، معالم على طريق تجديد الفكر العربي، ص٢٣٢ – ٢٣٣.

ومن هذا المنطلق فقد عالج الشيخ كاشف الغطاء موضوع الاستبداد باعتباره من الكبر وحب النفس والتعاظم، مؤديا إلى الفردانية في الآراء والأحكام من قبل المستبد، مدفوعا بشهواته وأهوائه، فاتحا الطريق أمام الأخطاء والكبوات، على اعتبار أن الذين يحكمون بالاستبداد غير معصومين عن الأخطاء[1].

ولمعالجة ذلك، فإنه يوجب على الحكام استشارة أصحاب الخبرة والآراء القويمة في كل ما يقوم به الحاكم من أعمال وأحكام وقرارات. ويستند الشيخ في دعوته على الآيتين الكريمتين: ﴿وشاورهم في الأمر﴾[2]، ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[3]. ويتخذ من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة ومثالا، فقد كان الرسول يقوم باستشارة قومه ومراجعتهم، مع أن أكثرهم ليس لديهم خبرة أو معرفة بالعلوم، ولم يكن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بحاجة إلى مثل هذه الاستشارة، ولكنه كان يقوم بذلك لتعليم المناقشة والمشاركة في إعطاء الرأي. فكان لابد للحكام أن يقتدوا بالرسول ومراجعة زعماء الأمة وعلمائها بخصوص الشؤون التي تخص الدولة في السياسة والأحداث المهمة، حيث يتم ذلك بعقد الاجتماعات التي تتداول فيها الآراء والأفكار إلى أن يقع الإجماع على الرأي الصحيح فيأخذ به، وحينها سيكون هذا الاتفاق مقبولا من قبل الجميع مع الالتزام باتباعه[4].

وهذه المحاولة من الشيخ لتقييد الحاكم والحد من سلطانه يقترب فيها من أصحاب الدعوة الدستورية التي وقف الشيخ منها موقف المعارض (جماعة

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، جـ١، ص١٢٧.

٢ – القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

٣ – القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ٣٨.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، جـ ١، ص١٢٨.

المستبد)، وهو - كما يتضح - تغيير في موقف الشيخ نفسه.

ولما كان الشيخ يستمد دعوته لمقاومة الاستبداد من أساس إسلامي، فإنه يطرح عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى عامله على مصر (مالك الأشتر) باعتباره منهاج عمل بغية الاقتداء به فيما يخص سياسة الحاكم مع رعيته، وفيه من الأسباب والوسائل ما يؤدي إلى الترقي والعمران، وتحقيق لموازين العدل والإنصاف بين جميع طبقات المجتمع من الوزراء والأمراء والعساكر والأكابر وأهل الحرف والصنايع وأهل الكتاب وسائر الملل، فضلاً عن الأمور الإدارية والتجارية والزراعية والصناعية والعسكرية[1]. وهذا بذلك يجعل من التراث الإسلامي مجالاً خصباً للاشتغال مع إمكانية التطبيق كبديل معاصر من أجل تنظيم علاقة الحاكم والمحكوم، باعتبار أن هذه العلاقة يعود عليها العمران والنهضة إذا جرت بالشكل الصحيح.

والعدل عنده أساس كل تقدم ونهضة وقوة، وإليه يعزى الشعوب شعوراً بالكرامة والتيقظ والانطلاق نحو الملك والسلطان، وهو الروح الفاعلة لكل ما يحدث من رفاهية وسعة وسعادة وسيادة وتقدم في العلوم، وهو الميزان الذي فقده المسلمون بعد سيطرة المغول، فأسس على ما هم فيه من ضعف وتخلف عرضة للنهب والاستعمار والسيطرة من القوى الغربية بعد أن انتشر الظلم واستفحل في بلاد المسلمين، فأحل عزهم إلى ذل، والشيخ عندما يتحدث عما حل بالإسلام وأهله نتيجة فقدانهم العدل يتكلم بحزن وألم «العدل به قويت الدول الضعيفة واستفحلت الأمم المختلة السخيفة، وعرفت المسالك الخاملة غير المعروفة وتألفت الشعوب المتفرقة، وأمنت وأخافت بعد أن كانت هي الخائفة الفرقة، ونبهت بعد الخمول، وطلعت بعد الأفول وثرفت بعد الضعة، وأخذت تحب الضيق بالسعة، وعادت بالثروة والرفاهية مفرجة

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والإسلام، ص١٢٩

بعد أن كانت حرحة، وعزت بعد الذلة، ولبست من العلوم والصنائع ابهى حلة، وانست بالتمدن بعد أن كانت وحشية ودرست قواعدها على الغلو والتعلم وكانت امما حشوية. والظلم - ابعد الله داره واخمد ناره - به زل الاسلام بعد العزة، وخفت صوته بعد الصيت وعظيم الهيبة، كاد لا ينطق لساني ولا يطيق إحصائي لتعداد ما جرى على ملك قومي وملك ابائي. وما جهد محب مستعين بجليل الحق من سائلي وزعمائي ومن هجد على حصون الدين المنيعة التي اقامت قواعدها أئمة الهدى من اوليائي التي بنوها بالجماجم وسقوها من دمائهم بالطوس لا بالمحاجم))[1].

وقد اعتبر الشيخ الإمام علي (عليه السلام) رمزا للعدالة التي اوجب على المسلمين الاقتداء به والسير حسب سيرته، فهو ((أعدل سياسي عالم في العالم))[2].

هذه هي الخطوط الرئيسية لدعوة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الإصلاحية في إطار التيار الديني الإصلاحي، والتي جاءت كرد فعل لما لمسه من عوامل الضعف والانحطاط في الشرق الاسلامي ومحاولات التغلغل الاستعماري الذي بدأ بغزو ثقافي تمثل بنشر الفكر الغربي والارساليات التبشيرية، والتي عدها الشيخ من عوامل النكوص التي اصابت الأمة وحولت المسلمين الى حالة من الضعف والخوار وابتعادهم عن عقيدتهم الإسلامية التي كانت هدفا مباشرا لهجمات الغزو الثقافي الغربي، لأنها السبيل لتوحيد الأمة واعادة مجدها الذي كان بفعل التزام المسلمين بدينهم وتمسكهم باللغة العربية كلغة للإسلام وللعقيدة. وهو بذلك يربط الإسلام بالعروبة ربطا لا انفصام فيه فلا وحدة دون رابطة الدين واللغة.

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، ص١١٤ - ١١٥

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص١٢٣.

وكانت دعوات الشيخ ضمن محاولات قام بها مفكرون ومصلحون في اتجاهات مختلفة، لإصلاح واقع متخلف يعاني الأمراض الخطيرة التي تكونت نتيجة سنوات طويلة من الإهمال الرسمي والديني للعلوم والسباب الرقي. الى ان جاء الاصطدام المباشر مع المدنية الغربية، الذي حفز نفوس المصلحين والنخبة المثقفة للتفوق وتنبه معه الناس لما حققه الغرب من تطورات كبيرة في كافة المجالات وانجازات علمية وصعود اقتصادي، مع اندفاع مخطط له من قبل القوى الغربية للتوسع والسيطرة على البلاد الإسلامية، فكان الإحساس بالخطر سببا في دفع المصلحين للبحث عن اسباب النهضة والرقي، حتى يستطيع المسلمون الوقوف بوجه هذه الاخطار والدفاع عن البلاد والثروات. وقد كان الشيخ كاشف الغطاء من هؤلاء الذين دعوا لليقظة والحذر.

ولكن الغريب ان مؤرخي الفكر العربي الإصلاحي اغفلوا الإشارة الى دعوة كاشف الغطاء مع ما يحمله من عمق واصالة، وسعا يدعو الى التساؤل عن السبب وراء هذا الإغفال.

المرحلة الثانية : الدعوة للنهضة العربية (الدعوة القومية):

لم تكن الدعوة العربية قبل إصدار الدستور العثماني ١٩٠٨ منظمة او ذات هدف معين، بل كانت عاصفة قومية تظهر من حين لآخر في الادب العربي بمظهر التذكر بالماضي ودعوة العرب الى التقدم في سبيل العلى[1]. وقد ظهرت إشارات عند بعض المفكرين العرب كان ابرزهم الكواكبي[2]

١ – انيس المقدسي، المصدر السابق، ص١٧٣.

٢ – عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤ – ١٩٠٢): من مفكري النهضة العربية، ولد في حلب وعمل في الصحافة واصدر عدة صحف تعرضت للبطش من قبل العثمانيين لما تضمنته من دعوات اصلاحية

فيها ملامح قومية ولكنها ليست بذلك الوضوح الذي يمكن ان يطلق عليها دعوات قومية[1].

وبعد فشل الدعوات للجامعة الإسلامية[2] وانهيار الدولة العثمانية ووقوع الوطن العربي تحت سيطرة استعمارية مباشرة بدأت تظهر الدعوات القومية العربية بشكل صريح. فكانت تلك بارقة امل للشيخ كاشف الغطاء الذي اصابه اليأس من حال العرب والمسلمين ومن عدم حصول النهوض ومن اي مساعي اصلاحية تغييرية، فكان لوجود رجال يعملون لقضية وحدة العرب ويحملون شعورا قويا بذلك عبّروا عنه بدعوتهم للعروبة الصريحة. كان لهؤلاء القوميين تأثير فاعل في دفع الشيخ لتبني الدعوة القومية ووضع ميثاق يكون بمثابة المنهج ينتفع منه من يريد العمل القومي والصادق في قوميته. وقد تمثل هذا بصدور كتابه ((الميثاق العربي الوطني))، والذي كتبه استجابة لدعوة من قوميين عرب[3]. وقد صدر الكتاب عام ١٩٣٨، وهي الفترة التي تصاعد فيها المد القومي العروبي.

وكان هذا المد أكثر تشبعا وشمولا من قومية الجيل السابق[4]. فقد كتب المثقفون العرب لواقعهم المر من تمزق الأمة العربية الى اشلاء، واحتلال أجنبي، وشيوع الطائفية والإقليمية الضيقة. فطالب هؤلاء المثقفون باحياء التراث العربي وبناء الدولة العربية الموحدة الكبرى. وظهرت فلسفة الثورة

وسجن عدة مرات وهاجر الى مصر اثم كتب ((الفرق)) وطابع الاستبداد ومصارع الاستعباد. ينظر: محمد عمارة المصدر السابق، ص٢٣٣.

١ – معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص٢٣٤.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٢٩.

٣ – المصدر نفسه، ص ٤٠.

٤ – البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩٣٩، ص٣٦٦.

العربية ومناهج الأيديولوجية القومية[1]

وكان من مظاهر المد القومي في هذه الفترة تأسيس جمعية الجوال ونادي المثنى[2] ذي الاتجاه القومي وبعد تصاعد المد القومي والدعوة لتحقيق الوحدة العربية، باعتبار أن ذلك يقود إلى سعادة الأمة واستعادة مجدها والمسبب لنهضتها وانتعاشها، ثم الجدل القائم حول هذا الموضوع، كان ذلك دافعا للشيخ لوضع دعوته القومية ضمن إطار إسلامي كتعبير عن واجبه في تلبية نداء الوحدة والسير في طريق الإصلاح، والدعوة لوحدة العرب بعد ما رأى أن العرب أصابهم داء الكسل وضعف الهمة وفقدان الطموح والنشاط العملي[3]، وابتعادهم عن القيم العربية الأصيلة واستشراء الروح الإقليمية والطائفية، وعجز العرب عن اللحاق بالتقدم الصناعي والعمراني، في نفس الوقت الذي يعمل المستعمر بكل جهده لإبقاء العرب على حالتهم ويضع العراقيل في طريق نهوضهم[4].

وبسبب الرؤية لهذه الأوضاع فقد كانت دعوة الشيخ كاشف الغطاء القومية التي تقوم على أساس أن الإسلام لم يدع إلى نسيان العروبة ولم ينه عن القومية المعتدلة، حسب قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر

---

١ - حازم الفقي . العراق في عهدي ياسين الهاشمي وبكر صدقي. تقديم عماد عبد السلام رؤوف. مكتبة اليقظة العربية. بغداد. ١٩٩٠. ص١٤٢

٢ - جمعية الجوال تأسست صيف ١٩٤٣ ضمت عرب من سوريا وفلسطين ولبنان ومصر والاردن والعراق كانت تدعو للوحدة العربية الشا متازت بمعاداتها للاستعمار.
نادي المثنى: تأسس في شباط ١٩٣٥ على يد جماعة من الشباب القومي هدفه بعث الروح القومية. ينظر: فاضل حسين. الفكر السياسي في العراق المعاصر١٩١٤-١٩٥٨. معهد البحوث والدراسات العربية. بغداد. ١٩٨٤. ص٦١ - ٦٢.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء. في السياسة والحكم. ص١٢٩.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء. الميثاق العربي. ص٢٥.

وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾[1].

ومادامت الحركة العربية لا تسيء إلى المسلمين فهي لا تتنافى مع روح الإسلام، وخاصة أن الله تعالى قد جعل عبء الرسالة الإسلامية على عاتق الأمة العربية، فعملت على نشر الرسالة في كل أنحاء العالم فكانت رفعة الأمة العربية يتبعها رفعة الإسلام. وعليه فإن واجب العرب حمل الرسالة الروحية والأخلاقية للإسلام كما بلغت من قبل[2]، كدعاة خير للبشرية وحاملين للقيم الخيرة في كل الأرض[3].

ودعوة الشيخ لا تخرج عن الإطار الإسلامي، فهي مرتبطة بالإسلام، لأن رفعة العرب ومجدهم ووحدتهم قد تحققت بالإسلام الذي رسخ المزايا التي اختص بها العرب قبل الإسلام، كالإباء وعزة النفس والشهامة واستطابة الموت، بل إن الإسلام قد زاد هذه السجايا العربية رسوخا، فامتزجت تلك الخصال العربية بالدعوة الإسلامية، وفيها تم النجاح وكان الفوز حليف العرب والفتوح معهم مادام ذلك الانسجام والتناسق مستمرا[4]. فالعرب لم يخلقوا بالإسلام، بل كان لهم شأن قبله أيضا وأنهم أصحاب تراث عريق[5]. لكنهم بالإسلام استطاعوا إصلاح العالم والأمم المعوجة، وفرضوا سيطرتهم على أعظم الدول القائمة آنذاك، فأسقطوا عرش كسرى واستولوا على كنوز قيصر ووصلوا إلى سواحل المحيط الأطلسي[6]. فقد كانت الأمة في هذه

---

١ – القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٣٠.

٣ – محمد رضا الحسني، الإسلام والعرب والحقيقة، ط٥، مطبعة القادسية، الكوفة، ١٩٤٠، ص٩٤.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٣٣ – ٣٤.

٥ – عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠، ص٤٢.

٦ – الهاتف (جريدة)، العدد (٢٧٢)، السنة السابعة، الجمعة ٢٦ تموز ١٩٤١، الموافق ٥ رمضان ١٣٦٠.

الفترة عربية، وهيأ الإسلام لهذه الأمة رسالة انسانية خرجت بها الى العالم[1].

آ- الإحياء القومي طريق النهضة العربية:

ولتذكير العرب بتاريخهم وما حققه أجدادهم من فوز وعلو، ولترسيخ الوعي القومي عندهم يعيد الشيخ كاشف الغطاء قراءة التاريخ العربي قراءة عصرية، محاولة منه لبعث القيم والرموز العربية الإسلامية. واحياء التراث العربي يمكن أن يكون قابلا للتمثل والمحاكاة والتقليد وفيه مجال واسع للتفاخر القومي عند العربي. وتقديمه للرموز الفاعلة في التاريخ العربي الإسلامي والحية في الذاكرة العربية إنما هو يقدم نماذج مؤثرة صنعت للعرب غلبة وهيمنة تكون بمثابة قدوة للعربي المعاصر، ليحقق ما حققه الأوائل، مع إيمان من الشيخ أن الأمة تمر بمراحل من السعادة والشقاء والهبوط والرقي وهي مستمرة في ذلك على مدى تاريخها[2].

وحتى يكون العربي أصيلا في عروبته وأنه سليل أولئك ((الأماجد))، فعليه الأخذ بمزاياهم والتخلق بسجاياهم، وحينها يكون وارثا شرعيا لهم[3].

ولاستثارة روح المقارنة عند الشخص العربي بين حاله المتردية وماضي أجداده المتعالي، يوجه الشيخ سؤاله إلى العربي: ((أتدري أيها العربي لماذا ارتقى اولئك وسقط هؤلاء؟ أتدري ما السبب الذي صعد به آباؤنا ونحن هبطنا؟ إن العرب الأوائل ارتقوا بروح الإسلام وتعاليمه، فقد انصهر أولئك الرجال في بوتقة التصفية والتهذيب، حتى صارت أجسادهم

---

١ – عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص١٤.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة خطب، ص٨٩.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، امتاق لعربي، ص٥٢.

أرواحا، فابتعدوا عن الصغائر والتوافه، فارتقوا ونهضوا شهامة ونبلا وفضلا وعقلا. أما هبوط الآخرين لأنهم صيروا أرواحهم أجسادا فهبطوا لتمسكهم بالشهوات والصغائر وتمخضوا جهلا وذلا))[1]. وأين العرب اليوم من ذلك الإيثار عند العرب قبل الإسلام وبعده؟ فقد كان فيهم من يؤثر بحصته من الماء فيموت عطشا مفضلا سلامة أخيه على سلامته. ثم جاء الإسلام فزادت هذه الحالة صعودا، فقد دارت شربة ماء بين مجموعة من الجرحى المسلمين في ميدان المعركة كل واحد منهم يؤثر بها أخاه الجريح حتى ماتوا جميعا. وكانت دهشة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كبيرة عندما حمل الفاتحون المسلمون من العرب خزائن كسرى إلى المدينة ووضعوها بين يدي الخليفة دون أن تمس، فكانت دهشته لأمانتهم وليس لما حملوه من غنائم. والحري بأمة توتمن بمثل هذا بأن تسود العالم[2].

انطلق كاشف الغطاء في دعوته للوحدة العربية بكونه أحد أفراد هذه الأمة وعربيا يشعر بأن الواجب يحتم عليه (باعتباره رمزا من رموزها) طرح مشروعه الداعي للوحدة، عسى أن يجد أرضا خصبة وتربة طيبة فتنبت نباتا حسنا وتجني الأمة ثمرا طيبا[3].

ولهذا ركز على تطهير المجتمع العربي مما لحق به من تشوهات وما أصابه من أمراض اجتماعية وعادات ((غريبة)) عن قيمه وأخلاقه التي كانت من أقسى عوامل الهدم والتدمير للمجد العربي الذي حققه العرب المسلمون[4].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، مشاق العرب، ص٥٢

٢ – المصدر نفسه، ص٣٦ – ٣٧.

٣ – المصدر نفسه، ص٤٢

٤ – المصدر نفسه، ص٣٨.

ان الشيخ أراد تخليص المجتمع العربي مما يراه غريبا عنه ليكون بعد ذلك مهيأ، ويمتلك عوامل الالتحام والوحدة، معتمدا بشكل رئيسي على الإرث القومي وما يتضمنه من قيم عربية أصيلة قادرة على تحقيق التقارب بين أوصال الأمة، والتي تمتلك خواص النهوض القومي، لأنها وصلت فيما مضى إلى أرقى درجات الحضارة وكانت منارا للعلم في العالم[1].

يمكن ملاحظة ما أراده الشيخ من خلال إيمانه بقدرة الرموز الحية في التاريخ العربي على أداء دور فاعل في المسيرة القومية ومقاصدها الوحدوية، وذلك يظهر بتقديمه لهذه الرموز كنماذج سامية مضيرة من الصغائر، ومحتفظة بقيم العرب الأصيلة من إباء وكرم وإيثار وشجاعة وتضحية[2].

ويرى الشيخ أن مهمة الرسل والأنبياء كانت دوما إصلاح مفاسد المجتمع ومعالجة علله وأمراضه، وهذه مهمة كل الشرائع الإلهية والوضعية، لأن هذه العلل الاجتماعية هي السبب في التدهور والانحلال والتردي والتخلص منها يظهر مجتمعا قويا متماسكا، ولذلك فقد وضع الرسل والأنبياء أهمية كبيرة لعلاجها[3].

ومن هذا المنطلق، فإنه ركز بشكل واسع على المعالجة وتقديم الحلول، والتذكير بالتاريخ العربي الإسلامي كنموذج لستطاع الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلاله تطهير المجتمع، فكانت الرفعة والرقي. ويمكن اعتبار ذلك أنها تأتي من باب إحياء التراث لإعادة تشكيل الوعي القومي، فالدعوة

١ – ساطع الحصري. آراء وأحاديث في القومية العربية. مطبعة الاعتماد. مصر. ١٩٥١. ص١٠٧

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء. الميثاق العربي. ص٤٣

٣ – جعفر الخليلي. عندما كتب قاضيا. تقديم محمد حسين كاشف الغطاء. مطبعة الرعي. النجف. ١٩٤٨. ص٥.

القومية قد بدأت بنهضة ثقافية، وان البعث الأدبي سبق البعث السياسي. فكان اتجاه الوعي العربي إلى تكوين نهضة فكرية ببعث أدب العرب وتراثهم، لأنهم يجدون فيه شخصيتهم التاريخية وذاتهم، وفيه استيعاب لدورهم التاريخي[1].

يرى كاشف الغطاء أن كل أسباب الفساد يعود إلى التفرق والانقسام، وكل الرقي والصلاح يعود إلى الوحدة والانضمام. وهكذا فالأمة صلاحها يكون بانضمام أفرادها وشدة ارتباط بعضهم ببعض، وحينها تعيش الأمة بروح واحدة وترمي إلى هدف واحد، وتكون بمثابة الجسد الواحد الصالح الصحيح، فتتضاعف قوتها ولا يتسرب إليها شيء من الفساد، وتدرأ الأخطار والكوارث عنها بفضل القوة المتكونة من وحدتها. فتصير أمة حية لها مجدها وكيانها وعزها وشأنها. أما الفساد والضعف فيأتي من تقاطع الأمة وتفككها فتكون عرضة للاضطراب، وهذا هو حال الأمة العربية التي من المحال ان تعيش وتحيى كأمة من الأمم وهي في هذه الحالة من الضعف وفساد الأخلاق التي دخلت على العرب، فأصبحوا مملوكين ومحكومين بعد أن كانوا حاكمين والأقسى من ذلك أن العرب لا يشعرون بما هم عليه من سوء حال، فقد تخدرت أعصابهم، فصاروا لا يشعرون بالألم ولا يعرفون العلاج الناجع له[2].

يركز الشيخ كاشف الغطاء على الأخلاق باعتبارها العامل الأكثر تأثيرا فيما يعانيه العرب من انقسام وتفكك، فيعطيها الجانب الأكبر من دعوته، ولذلك فهو يعتبر أن نهوض الأمة ووحدتها يكون أكثر تحققا وفعالية بمعالجة الجانب الأخلاقي عندها. مع إيمان عميق أن بناء مجتمع قوي موحد لا يكون

١ - عبد العزيز الدوري. جذور التراجيا للقومية العربية. ص٦٢

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء. مجموعة خطب . ص٢٩ - ٣٢.

إلا بشعب قادر على التضحية ومستعد للتنازل عن الملاهي والملذات والصغائر، وتسوده روح الجلد والصبر والتحمل، ولا يمكن تحقق مثل هذا المجتمع أو قيامه بفئة تسود بينهم روح الانحلال والتفسخ والخوار. وهو يرى أن سيادة هذه الروح الغريبة بين العرب يرجع إلى ابتعادهم عن الروح الإسلامية وضعف تمسكهم بها[1].

ب - الأسس المؤدية للنهضة العربية عند الشيخ كاشف الغطاء:

الحل الناجع عند الشيخ يأتي عن طريق أسس وضعها هي برأيه القادرة على تمهيد السبيل لوحدة العرب، وهذه الأسس هي التي قادت العرب الأوائل إلى المجد والبروز كقوة كبيرة في العالم آنذاك، وهي وحدها التي ستقود العرب الآن إلى تحقيق ما حققه أجدادهم. ويمكن القول أنها بمثابة السنن التي من سار عليها وصل الى العظمة، ومن تخلى عنها تقهقر وتراجع عن الوصول إلى الهدف. وهذه الأسس مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي والشريعة الإسلامية، استخلصت من هذا التاريخ - بعد قراءة لعوامل النهوض وأسبابه - لتكون دليلا للعربي واجبة السير بهديها واتباعها، والعربي مجبر على الأخذ بها اذا اراد نهضة أمته، فهو بين أمرين اما اتباعها فيكون نعم الخلف لنعم السلف، وإما تركها فيكون بئس الخلف - حسب راي الشيخ كاشف الغطاء[2].

حتى يكون العربي صادقا في عروبته فقد أوجب عليه أن يكون مستقيما غير معوج، لا يكذب حتى في نصيحة أعدائه، وهذا لا يكون بالأقوال فقط، بل يتعداه إلى الأفعال. وبرغم أن الطرق الملتوية (الكذب) أصبح يعرف

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص١٢٦

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٥٣ - ٥٤

السياسة عند الأمم المتمدنة من الفضائل، لاستعباد الأمم الضعيفة، فإن على العرب أن لا يكونوا مثل هؤلاء، فالعرب الأوائل لم يعرفوا هذه المثلبة ولم يغدروا ولا خانوا أمانة ولا غشوا في نصيحة، وهي ميزة الطامحين إلى المعالي[1].

ولما كان العرب الأوائل من القادة والفاتحين لم يفتحوا البلدان – حتى وصلوا حدود الصين – باحتساء الخمر، ولم يحملوا معهم أدنان الخمر والمغنيات والقيان، بل إنهم كانوا يحملون العزائم الحرة والبسالة والقناعة بشظف العيش. فعلى العربي العصري الابتعاد عن الخمور[2]. فضلا عن أن هذه الخمور تأتي من أوربا. فالمال الذي يدفع لشرائها يكون بمثابة السم الذي يسري في دم العروبة[3].

وعلى العربي الابتعاد عن «القمار» باعتباره مدمرا للمجتمع ومعطلا لقوانينه، لما يجلبه من مساوئ خطيرة تتمثل بترك العمل وتفشي الكسل وزوال روح المروءة بين أفراد المجتمع الواحد. والأعظم من ذلك أن الله تعالى قد قرن القمار بالخمر في قوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾[4].

ودعوة الشيخ هذه تزيح عن طريق العرب ما يراه عائقا أمام وحدتهم ونهضتهم، فالوحدة تعترضها أنواع من المشاكل والعقبات، وقبل الوصول إلى الغاية المطلوبة لابد من إزالة هذه العقبات عن طريق الأمة[5].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الدين العربي، ص ٥٦.

٢ – المصدر نفسه، ص٥٨.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة ، ص١٠٣.

٤ – القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٩٠.

٥ – الحصري، ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القومية العربية، ص١٠٧.

وعلى العرب الابتعاد عن «الزنى»، لأن الإسلام والأديان كافة وكل العقول السليمة تحرم الزنى، لأنه يقوض دعائم الإنسانية ويناقض الحكمة الإلهية ويدمر جذور الأمة ويمحق الأسر والعائلات، فضلا عن أن النفس العربية تأنف ذلك وترفضه[1].

دعا الشيخ الإنسان العربي إلى الاقتصاد والتدبير في أحواله، ويعني بذلك الاعتدال وأن يكون إنفاقه أقل من دخله حتى يتمكن من الاحتفاظ بشيء من المال للحوادث وترقية وضعه، ويستنكر اندفاع الناس إلى البذخ في الكماليات، ويعدها نقيصة تذهب بثروة البلد إلى خزائن الغرب. والأنكى من ذلك أن الأمر لم يتوقف عن هذا الحد بل تعداه إلى الملاهي والفجور، وهو ما يفقد الشاب العربي فتوته ومروءته[2].

ومن منطلق ديني في تفسير الأشياء فإنه يعتبر الاستمرار في الإسراف والبذخ يؤدي الى انتقام إلهي من الأمة، فيحق عليها العذاب[3]، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾[4].

إن حياة الأمة تكمن في استقلالها الصحيح وتمتعها بالثروة، وهو يضعها أمام أنظار العربي باعتبارها ضرورية وأساسية في بناء المجتمع، فلابد للعرب من العمل الحثيث للحصول على المال الذي هو القوة والسلاح، وبه يتم الإصلاح وإقامة المشاريع التي تعود بالنفع على الإنسان والأمة، ويتم

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٦١ – ٦٢.

٢ – المصدر نفسه، ص٦٣.

٣ – المصدر نفسه، ص٦٥.

٤ – القرآن الكريم، سورة الاسراء، الآية ١٦

ذلك في حالة اجتماع الثروة مع العلم ويكون قائدهما العقل. فيتحقق الإصلاح والنافع من الأعمال[1].

الشيخ يعطي الثروة مكانة مهمة باعتبارها العصب الذي يحرك الأمة. والحقيقة أن هدف القومية كان تفجير الطاقة الوطنية في الحقل الاقتصادي كغيره من حقول الحياة، وكوسيلة لتحرير الأمة من الحكم الأجنبي. وتفجير قوى العمل الوطني التي من شأنها تحقيق ازدياد في الثروة والرفاهية[2].

ولما كان العرب الأوائل توجهوا للعلم والتعلم فاستطاعوا تحقيق إنجازات علمية كبيرة، وكونوا لهم حضارة زاهرة بنشاطهم العلمي والعملي، حتى استطاعوا قيادة المسيرة الحضارية مواصلين المهمة التي قامت بها الشعوب التي أخذوا منها فأضافوا إليها وجددوا وابتكروا، فإن واجب العربي الأخذ بأسباب العلوم والتوسع فيها بجد ونشاط وعمل متواصل، من اجل فتح أبواب الإبداع والاختراع والتأليف والتصنيف والترجمة، مثلما فعل العرب الأوائل. ثم إن على العربي أن لا تتوقف جهوده على الدراسة النظرية، بل يجب أن يكون حريصاً على الاتجاه للعلوم التطبيقية والعملية، واختيار العلوم النافعة التي يستطيع من خلالها فك أسرار الطبيعة، ومعرفة كنوز الكائنات، وكشف الأسرار التي لم يتمكن علماء الغرب وفلاسفته من حل ألغازها وهي كثيرة[3].

ويوجّه الشيخ اتهامه إلى مناهج التعليم في البلاد العربية ويعتبرها موضوعة من قبل المستعمرين، الذين استهدفوا من خلالها منع ابناء البلاد الأصليين من الحصول على العلوم التي تحقق الخير لهم. ولمجابهة هذه

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء. الميثاق العربي. ص٦٨.

٢ - ألبرت حوراني. الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩. ص٤١٢.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء. الميثاق العربي. ص٧٠

الحالة فهو يدعو الشباب العربي إلى عدم الاقتصار في التعليم على ما يتلقو في المدارس، بل عليهم الاعتماد على أنفسهم في البحث والتعلّم. ويحذر المتعلمين من جعل همهم وهدفهم من التعلم الحصول على الوظيفة بوصفها مصدرا للمعيشة، وهذا مما يؤدي إلى قتل روح الطموح ويميت الهمّة، لأن الوظيفة تفيد الحماسة والاندفاع في العمل، فكم من كانت تتوفر لديه الهمّة العالية والحماسة المتوقدة حتى إذا كبل بأغلال الوظيفة انتهى ذكره، وهكذا ((تهلك الأمة ويموت الشعب بموت شبابه العامل ورجاله العاملين))[1].

ويظهر ممّا طرحه الشيخ أنه يدعو إلى تأهيل التعليم ليكون في خدمة التنمية العربية، ومحاربة الحالة الاستهلاكية التي يحاول الاستعمار تعميقها في البلاد العربية بفرض أنماط تعليمية تخدم مصالحه.

وعلى العربي الأصيل أن يقوم بعمله بجد ومثابرة وصلابة، حتى يستطيع خدمة أمته لتعود إلى مكانتها وتسير مع الأمم الأخرى في طريق التطور. وهذا لا يحصل بالتكاسل وإنشاء المقالات وتحرير الأماني، وإنما يكون بعزائم الشباب الصلبة والخشونة في العيش والابتعاد عن الترف والإسراف ورفض الملذات، حتى يتمكن العرب من إحياء الأمة ونهضتها التي تقوم على سواعد فتيانها وجلدهم، بمعونة آراء شيوخها وحنكة كهولها[2].

ولأن من أهم مزايا العرب قبل الإسلام وبعده ((الشجاعة))، فإن من الواجبات على العربي العصري أن لا يكون ((جبانا))، بل شجاعا وكريما، وهما حليفان متلازمان، فإن الشجاع لابد أن يكون كريما، لأن من يجود بالنفس فالأحرى به أن يجود بالمال. والشجاعة لا تعني فقط الإقدام في

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٦٩.

٢ - المصدر نفسه، ص٧١ – ٧٣.

الحروب واقتحام نيران الوغى، بل إنها ملكة راسخة في النفس فطرية ومكتسبة، ومنها الانتصار للحق وقول كلمته عند سلطان ظالم وعدم الرضوخ أمام الباطل، وهو ما كان عليه حال العرب قبل الإسلام والصدر الأول من الإسلام، فكان يقول الواحد منهم للخليفة: إن لم تستقم قومناك بسيوفنا. وما السكوت عن الظلم والقعود عن مقاومة الباطل إلا بفقد ملكة الشجاعة، وهذا هو الداء المنتشر بين المسلمين[1].

وعلى العربي القيام بمقاومة الاعوجاج الحاصل في مجتمعه ومكافحة الظلم، منطلقا من القاعدة الإسلامية ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))، وقد أكدت عليها الشريعة بوصفها دعامة تستند إليها كل الفرائض الإسلامية، وبسقوطها يكون انهيار جميع شرائع الإسلام، فهي التي جعلت كل واحد رقيبا على الآخر والكل عليه المسؤولية عن الكل[2].

ويستمر الشيخ في ذكر الفضائل العربية الإسلامية للعربي العصري لتكون مثالا له يعمل بهديها ويتحلى بها، حتى تتحقق نهضة العرب ويستعيد العربي وعيه، فيكون سيره بثقة نحو الوحدة ومثله كمثل أجداده الأوائل الذين التزموا بهذه الخصال وتخلقوا بها وخرجوا بها إلى العالم والى مسرح التاريخ، وأصبحوا أمة واحدة عربية وحدها الإسلام بعد الفوضى والفرقة تحت راية واحدة[3].

وكان ذلك بالتزام العرب ((بالواجبات الدينية))، فكانت عامل توحد لهم ودعم روحي قوي يستمد من خزين الإسلام الذي لا ينضب. ولم يتخل العرب الأوائل عن هذه الواجبات في أحلك الظروف وأصعبها، فكان العربي

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٨٥.

٢ – المصدر نفسه، ص٨٧.

٣ – عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص١٤.

حتى وهو في ساحة الحرب وفي أشد مواقع الخوف يؤدي صلاته، وهي التي تسمى ((بصلاة الخوف))، إذ كان العرب المسلمون اذا خشوا ان يداهمهم عدوهم في صلواتهم فتصلي جماعة منهم وتحميهم جماعة أخرى، واذا كان الأوائل لا يتركون الصلاة وهم في أصعب الأوقات وأخطرها فكيف يتم تركها في أوقات الأمن والراحة[1].

اما أهم ما يوصي به الشاب العربي فهو الحفاظ على اللغة العربية وعدم التخلي عنها. وفي هذا الجانب تظهر الأفكار القومية عند كاشف الغطاء أكثر وضوحا. ومثلما اعتبر القوميون عامل اللغة من العوامل الاجتماعية الرئيسية في تكوين القومية[2]. فقد عدها كاشف الغطاء كأعظم جامعة للأمة وأقوى رابطة وأرفع شارة وأعظم شعار. وعظمة الأمة بين الأمم بلغتها. وليس للقومية من معنى وحقيقة سوى جامعة اللغة ووحدة اللسان[3]. ومن المعروف أن هذه النظرية التي تعتبر وحدة اللغة أساسا لوجود الفكر القومي قد نشأت في النصف الأول من القرن التاسع عشر في المانيا وانتشرت في معظم أوربا وتعرف باسم ((النظرية الألمانية))، وأشهر منظري هذا الاتجاه هو الفيلسوف الألماني ((فيخته))[4].

ويعد الشيخ كل من يخدم اللغة العربية وادابها وثقافتها فقد خدم الإسلام، وهو داخل ضمن القومية العربية سواء أكان مسلما أم غير مسلم[5]. فاللغة هي التي توحد العناصر المختلفة والمذاهب المتنوعة في البلد الواحد.

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٨٩.

٢ – ساطع الحصري، آراء واحاديث في القومية العربية، ص١٠٨.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٧٤.

٤ – فاروق ابو زيد، عصر التنوير العربي، ص١٦٠.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، السياسة والحكمة، ص١٢٧.

فالمسيحي واليهودي والصابئي والمسلم تجمعهم الرابطة القومية مادامو يخدمون اللغة العربية ولا يساعدون أعداء البلد ويدافعون عن الوطن. أما العناصر والشعوب من إيراني وتركي وهندي وصيني وغيرهم اذا دانوا بدين الإسلام وحافظوا على لغة القرآن والحديث، فهؤلاء تربطهم مع العرب رابطة الإسلام[1].

وبذلك، فإن الشيخ يجعل من عامل اللغة معيارا للانتماء إلى العروبة من عدمه، مع جعله الرابطة القومية لا تضم المسلمين فقط، بل كل من يتحدث العربية سواء كان مسلما أم لا.

والواقع أن اختلاف العرب في عقائدهم لم يؤثر على شعورهم بالانتماء القومي والمفاخرة بذلك، فكثيرا ما تكون هناك مشتركات بين المسلمين والمسيحيين[2].

ثم إنه يرفض كل من يتخلى عن اللغة واللسان العربيين حتى لو كان يدين بدين العرب ويشاركهم مبادئهم وعقيدتهم، وأوجب على المسلم تعلم لغة القرآن والتي سنت بها السنن والشرائع الإسلامية، وان أقل ما يستطيعه المسلم أداء الفرائض والطقوس الدينية باللغة العربية، وفي هذه الحالة لا تجوز الصلاة إلا بالعربية، وكل من جوّز ذلك فهو مدفوع بدوافع عرقية، حسب رأي الشيخ كاشف الغطاء[3].

وفي حماسة معهودة ومعروفة عنه للغة العربية جعل من الواجبات الكبيرة المفروضة على العرب في بلاد المهجر الحفاظ على اللغة العربية وتعليمها لأولادهم من الصغر، وجعلها لغة المحادثة والتعامل في بيوتهم ومع

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، السياسة والحكمة، ص١٢٨.

٢ – عبد الله يوكي، القومية العربية والقومية اليهودية، منشورات دار الحياة، بيروت، بلا تاريخ، ص٤٦.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٧٥.

نسائهم وأطفالهم، وأن ترك هذا الواجب هو بمثابة الخيانة لله والدين والوطن، على اعتبار أن فناء الأمم بفناء لغتها وتقاليدها[1].

وبعد هذا العرض للملامح الرئيسية في الفكر القومي عند الشيخ كاشف الغطاء لابد من التأكيد على أن الدعوة القومية - كما يرى - انسانية الهدف والوجود، فبعد أن يخدم الإنسان وطنه ودينه وأبناء قومه، ثم يشترك ضمن الإطار القومي في بناء المجتمع الإنساني، حتى يتحقق بالعمل المشترك لكل القوميات صالح الجميع وسعادة الكل[2].

والنداءات التي ركز فيها الشيخ على عنصر الشباب بوصفه أمل الأمة ومصدر قوتها ومحقق آمالها يلاحظ عليها النزعة الصوفية، فهو يركز بشكل واضح على الدعوة إلى التخلي عن كثير من الملذات الحسية والابتعاد عما اعتبره من الكماليات، مع تشديد على الجانب الأخلاقي باعتباره العامل الرئيسي في الإصلاح الاجتماعي وتحقيق النهضة، فالتعاون بين أفراد الأمة الذي يوصل إلى الغاية والهدف لا يرسخ وينمو حتى يرتكز على دعائم الفضيلة والأخلاق الأصيلة والسجايا الحرة والمزايا النبيلة[3]، مع تأكيد قوي على الزهد والصبر وشظف العيش واحتمال الآلام والمرارات من أجل الوصول للغاية القومية مع عدم الخروج عن الإطار الإسلامي، باعتبار أن الدعوة القومية - وهو ما يظهر من قراءة فكر الشيخ - تصب في خدمة الإسلام والمسلمين، على اعتبار أن العرب هم أصل الإسلام وبهم نشر الدين والعقيدة، فلا فصل عنده بين القومية والإسلام.

ومن الممكن إضافة رؤية أخرى للشيخ تصب في المصب القومي

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، ليذق العرب، ص٧٥.

٢ - المصدر نفسه، ص٤٩.

٣ - المصدر نفسه، ص٥١.

الكبير، فبينما يرى قوميون - وعلى رأسهم ساطع الحصري - أن مصر قاعدة للأمة العربية وقائدة لها[1]، كان الشيخ يرى في العراق قائدا للأمة في تحقيق وحدتها ونهضتها، وإنه قاعدة الدين وعاصمة العرب والمسلمين ومعقل البلاد العربية ومعقد آمالها ومفزع أبطالها، ويطلب من العرب السير وراء العراق لتحقيق الوحدة المنشودة[2].

ثانيا :- موقفه من إصلاح وضع المرأة

عالج أكثر المتنورين والمصلحين العرب مسألة المرأة ودورها وحقوقها ضمن المجتمع الذي تعيش فيه، وشهد ذلك عصر النهضة وما لحقه، فقد كتب المصلحون كدعاة مدافعين عن حقوقها عندما رووا حالها ووضعها الاجتماعي المتدني وما تعانيه من قيود ومظالم، فأثرت فيهم تلك الحال فأخذوا بالكتابة عن المرأة مطالبين بإنصافها وإعطائها ما تستحق من حقوق، بوصفها جزءا حيويا من المجتمع.

وقد واجهت هؤلاء المصلحين عقبات في نشر أفكارهم ودعواهم من قبل المحافظين الذين اعتبروا ذلك خروجا عن الشريعة الإسلامية ودعوة للتغريب وتمرد المرأة[3].

كان رفاعة الطهطاوي رائدا في مجال الدفاع عن حقوق المرأة داعيا إلى تحريرها مما هي فيه من تخلف، ورأى أن التقدم والتمدن لا يكون في فئة من المجتمع دون فئة أخرى، ولا يكون في الرجال دون النساء، فنهوض

١ - الحصري، ساطع الحصري. آراء وأحاديث في القومية العربية. ص١٥٢.

٢ - العربي، مجلة، العدد ٦٨، الثلاثاء ١٢ مايس ١٩٤١، الموافق ١٧ ربيع الثاني ١٣٦٠، ص٧.

٣ - كاظم حطيط. أعلام ورواد في الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. بلا تاريخ. ص٢٤٤ - ٢٤٦.

المجتمع هو نهوض كلي بكل فئاته وفي جميع ميادين الحياة فيه. ودافع عن تعليم المرأة ومشاركتها الرجل مسؤليته الاجتماعية[1].

ويعدّ «قاسم أمين» أبرز من دافع عن المرأة واصلاح حالها بقوة وجرأة، فتردّد صدى صوته إلى كل أرجاء الوطن العربي والإسلامي، حيث طالب بحقها في التعليم وتخفيف الحجاب عنها، وإعطائها حقوقها في الزواج والطلاق وحقوقها الاجتماعية[2].

ونتيجة طبيعية لكل صوت قوي جريء لم تمر دعوة قاسم أمين دون أن تجد من يؤيدها وينا صرها في أرجاء الوطن العربي والدعوة الى تحرير المرأة، ففي العراق كان الشاعر المجدد جميل صدقي الزهاوي من اوائل الذين ردّدوا دعوة قاسم أمين، فبث في قصائد ومقالات نشرها في الصحف قضية المرأة، فأثار عليه أصوات معارضة رأت في دعوته تمردا وكفرا[3].

وفي الاتجاه نفسه كانت هناك دعوات نظرت لمسألة اصلاح وضع المرأة من منظور إسلامي تجديدي، يدافع عن تعليم المرأة واعطائها حقوقها التي وهبها الله لها، دون أن يمسّ ذلك وضعها كامرأة مسلمة، ولا يتعارض مع الشريعة الاسلامية، أو يؤدي إلى تمردها وانسلاخها عن واقعها العربي الإسلامي، وهو ما يقود إلى ابتذالها والتقليل من شانها وبالتالي تحولها إلى غريبة الأهواء والطباع والتصرف. فكان من الذين دافعوا عن حقوقها ضمن هذا الإطار رجل الدين المجدد السيد هبة الدين الشهرستاني الذي تناول الموضوع بالتأكيد على حرص الإسلام في حماية حقوق المرأة وعدم

---

١ - معن زيادة، معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص١٩٨

٢ - قاسم امين، تحرير المرأة، المكتبة الشرقية، مصر بلا تاريخ، ص٨٨ فما فوق

٣ - عبد الرزاق الهلالي، الزهاوي في معاركه الادبية والفكرية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص٥٩.

تعرضها للأخطار، مثلما أن ما أصابها من ظلم كان بعيدا عن الدين، ودافع بحماسة عن حجابها، رافضا وجود علاقة بينه وبين ما أصابها من جهل، فالإصلاح ورفع مستوى المرأة لا يعني ترك حجابها، داعيا في الوقت نفسه إلى حقها في التعليم، وهو ما أراده الإسلام، وإعطائها حقوقها ضمن الشريعة[1].

وكان الشيخ كاشف الغطاء من الذين نظروا إلى القضية بروح إسلامية مع تشدد في بعض الأحيان، فعلى الرغم من أنه عالج الموضوع بروح بعيدة عن الجمود، منددا بالذين يعتبرون المرأة سلعة تباع وتشترى، وحرمانهم المجتمع من عقول قد تفوق الرجال كفاءة ومقدرة[2]، إلا أنه وقف أمام المحاولات لزج المرأة في مواقع وأعمال لا تناسب عفتها ودورها في بناء الأساس الاجتماعي المتمثل بالأسرة، رافضا في الوقت نفسه تشبه النساء بالرجال[3].

ودافع الشيخ عن حقوق المرأة بنظر الشريعة الإسلامية، فهي التي تمثل الشطر الأكثر من المجموعة البشرية، وقد أولت الشريعة حقوقها وواجباتها عناية متميزة، وأعطتها من الحرية الكثير. ولمكانتها فقد خصها الله تعالى بالقرآن الكريم بسورة باسمها من كبريات السور (سورة النساء)، وجاء بالقرآن الكثير من الأحكام التي تخص النساء وتوصي بالعطف عليهن وإعطائهن حقوقهن وتحريم إيذائهن والاعتراف بأن لهن حقوقا مثلما للرجال حقوق[4].

١ – محمد باقر البهبودي، هبة النبي الحسيني، آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، ط١، بيروت، ٢٠٠١، ص٩٣ – ٩٦.

٢ – منير بكر التكريتي، في الفقه، ص٣٨٦

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٩٤.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، الحاورة مع شوربن، ص٥٦

أما تعليمها، فقد دعا الشيخ الى تعليم المرأة وحثّ على التعلم والتخلص من الأمية، باعتبار أن لها دورا وطنيا كبيرا يتمثل بتربية الجيل وتعليمه بالروح الوطنية[1]، والالتزام بالأخلاق العربية الإسلامية حتى يتكون جيل متمكن من المساهمة في بناء وطنه والتخلص من السيطرة الاستعمارية[2]. وهو يخاطب المرأة مذكرا إياها بدورها الفاعل في نهضة البلاد: ((نقول للحرائر النجيبات إننا نطلب منهن الشجاعة الأدبية، نطلب منهن الثورة على الظلم والظالمين وتتابع الصرخات على المستعمرين ومحاسبة المسؤولين))[3].

وأكد الشيخ على مساواة المرأة مع الرجل في ميدان العمل السياسي، وأن من حقوقها إعطاء رأيها في الأمور السياسية التي تخص بلدها ((فمن الحقوق السياسية للرجال والنساء عليهم جميعا أن يقفوا موقف المحاسب والمراقب من الحاكمين، وموقف الناقد الثائر والمحارب الثائر من المستعمرين))[4].

لكن الشيخ يتحفظ على التوسع في مشاركة المرأة بالعمل السياسي ويحذر من انزلاقها في هذا المجال، لما له من خطورة على مستقبل الجيل ولما يراه في فن السياسة من مشروعية للمكر والخداع، ويقول عن ذلك: ((فهل تريد المرأة أن تكون مديرة ناحية أو حاكمة إدارية وما إلى ذلك، والباري جل شأنه يريد أن تنشأ مدراء صالحين وحكاما إداريين صالحين، تريد المرأة أن تكون عينا أو عينة من الأعيان أو ذائبة من النواب، ونحن نريدها أن ترتقي ما فقدته المجالس النيابية، وتفتح ما تغلقه النوادي العينية،

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٩٤ - ٩٥

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، الحرية مع مفكرين، ص٥٧

٣ - المصدر نفسه، ص٥٦.

٤ - منير بكر التكريتي، آداء صحفيون، ص١٠٣

تريد هي أن تدخل في معامع السياسة وزوابع الرياسة، وهل السياسة اليوم الا الخداع والمكر والكذب والغدر وخيانة الأمة والمساومة على الوطن وخدمة المستعمرين والتمرغ على اعتاب الظالمين))[1].

وهنا نرى أن دور المرأة عنده اكبر مما هي تطلبه، فهي تخلق السياسيين وتصلح ما أفسدته السياسة من خلال تربيتها لجيل يؤمن بالمبادئ والعمل النزيه، فنراه يحذر دخولها حلبة الصراع على الكراسي والوظائف السياسية، لأن ذلك يؤدي إلى إفسادها ((وهي العنصر اللطيف الذي يعتز عنه بالقوارير لرقته ولطافته، وسرعان ما ينصدع ويتأثر ولأول صدمة ينتثر وينكسر))[2].

وكاشف الغطاء يرى ان البديل الأفضل للمرأة هو تشكيل الجمعيات النسوية التي تأخذ على عاتقها عقد المؤتمرات والعمل بمكافحة فساد الاخلاق في المجتمع، وانتشال الفتيات اللواتي أسقطتهن الظروف في مهاوي الرذيلة، فشكلن خطورة على البناء الاجتماعي بإفسادهن الشباب[3]. ويكون من ضمن اهداف هذه الجمعيات نصرة المظلوم ومعاونة الضعيف وتشغيل الأيدي العاطلة وإسعاف المرضى وذوي العاهات. ثم إنه يشدد على التزام المرأة بالقيم والأخلاق، فهو يطالب المرأة بالحاح بأن تكون عنايتها الأولى لبيتها وزوجها وأولادها[4].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٤٩.

٢ – المصدر نفسه، ص٥٠.

٣ – المصدر نفسه، ص٤٩.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، المرأة في الإسلام، ص٩٥.

ثالثا: ريادته في إصلاح التعليم الديني

في البداية لابد من التنويه أن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء نظر إلى التعليم بوصفه أداة فاعلة وموثرة في بناء الشخصية وتوجيه الفكر والسلوك الإنساني، لذلك فقد ألزم أن تكون مهمة المدارس والتعليم تربية النشء تربية دينية وأخلاقية، وتنمية المشاعر الوطنية، وإعداد جيل خال من المؤثرات الأجنبية، ومتحليا بالأخلاق العربية الإسلامية[1].

وبسبب هذه الخطورة للتعليم بنظر الشيخ فقد دعا إلى تأسيس مدارس أهلية تأخذ على عاتقها تربية النشء التربية الصحيحة التي تتلاءم وروح العصر، واستحضار معلمين من أهل الصلاح والفضيلة[2]. وهذه الدعوى تكمن أسبابها في أنه كان ينظر إلى المدارس الحكومية نظرة شك وتيقيما بالتقصير في تربية جيل قوي ومنتج، لأن مناهج هذه المدارس وضعها المستعمرون الذين استهدفوا نشر الانحلال والروح الاستهلاكية بين صفوف الشباب، فضلا عن خلو المناهج الدراسية من العلوم النافعة التي تقود إلى تطوير البلد وتقدمه[3].

وعلى هذا الأساس، فقد امتدت روح التجديد عند الشيخ لتشمل مدرسة «أجداده» المعروفة بمدرسة «آل كاشف الغطاء العلمية» التي يدرس فيها طلاب العلوم الدينية، فقد أخذ على عاتقه إصلاحها وإدخال النظم الجديدة والعلوم الحديثة إلى الدراسة فيها[4].

وشيدت هذه المدرسة خلال الحرب العالمية الأولى، فآلت إلى الخراب

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٧٠.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى ص١٣٢.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٧١.

٤ – الحضارة، جريدة، العدد (١٨)، السنة الأولى في ٥/ ٧/ ١٩٣٨

وتهدمت وسقطت سقوفها في نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، مما أدى الى اغلاق أبوابها وانقطاع الدراسة فيها، فاعاد الشيخ بناءها واعمارها وأضاف اليها قاعات دراسية جديدة وغرفة لإدارة المدرسة وقاعات كبيرة للمطالعة، مع مكتبة ضخمة احتوت على مخطوطات نادرة وكتب علمية وادبية وفلسفية قديمة وحديثة، وعين لها موظفين مختصين لإدارتها، فاصبحت ذائعة للمطالعة يومها الكثير من القراء من مختلف الاختصاصات[1]. فضلاً عن ذلك فقد جهز المدرسة بأثاث جديد من ماله الخاص على امل حصول نهضة علمية تقوم على أساس ايجاد الدروس المنظمة واختيار اكفأ الأساتذة، واعداد لجان تقوم بمهمة إجراء الامتحانات للطلبة في أوقات محددة، وتخصيص رواتب يراعى في صرفها حالة الأشخاص الأسرية وقيمة اعمالهم[2]. وانضم الى المدرسة طلاب من مختلف الجنسيات جاءوا الى النجف لطلب العلم، فقد كان الى جانب العراقيين طلاب من لبنان وسوريا والبحرين والاحساء وايران وأفغانستان وتركيا[3].

وعدّ عمل الشيخ لإعمار المدرسة وإصلاح نظامها التعليمي خطوة كبيرة في سبيل الإصلاح و قدوة حسنة لها نتائج ايجابية وتأثير في مستقبل الدراسة في النجف[4].

وقد سبق ذلك توجيه انتقادات جريئة لبعض طرق التدريس في مدارس النجف الدينية لاستمرارها في تقديم العلوم بالطرق التقليدية. وتمثل ذلك بدعوات متواصلة لتحقيق الإصلاح الدراسي وتشكيل لجنة من ((علماء الدين))

١ - جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ص١٣٧.

٢ - لعيبي، محمد، الجواهر الكلامية، العدد ٢٩، في صفر ١٣٥٨، نيسان ١٩٣٩، ص١٨٥.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، محاورة مع المستعربين، ص٣٣.

٤ - لعيبي، محمد، الجواهر الكلامية، العدد ٢٩، في صفر ١٣٥٨، نيسان ١٩٣٩، ص١٨٥.

لوضع مناهج جديدة تراعي فيها الطرق العصرية والاساليب الحديثة[1]. وقد جاءت تلك الانتقادات نتيجة لما تعانيه الدراسة في مدارس النجف الدينية من ضعف وصعوبة في المناهج الدراسية التي اتصفت بالتعقيد والتعويص وظهور الحاجة الملحة لتدريس العلوم العصرية، كعلم النفس وعلم الاجتماع والاخلاق والحساب والجغرافية وتاريخ الاديان وغيرها. فكانت سكنية الشيخ كاشف الغطاء – لتوفر الدافع أساسا عنده – لدعوات اصلاح التعليم الديني في جامعة النجف للحيلولة دون انتشار الفوضى والتخلص من الجمود والبقاء على أساليب التدريس القديمة والمناهج الدراسية التي لم تعد تلائم روح العصر، فكان لابد من مسايرة الحياة والاحتفاظ بمكانة النجف بين الجامعات العلمية والدينية[2].

ويبدو أن خطوات الشيخ الإصلاحية في هذا المجال انطلقت لتواكب التطور الحاصل في المدارس الحكومية الحديثة ولتكون قادرة على المنافسة والوقوف أمام قوة الجذب للمدارس الحكومية، فكان ان حصلت المدرسة على اعتراف الحكومة الرسمي بها، وأقرت نظامها الدراسي وأسلوب التعليم فيها ومناهجها، وشكلت لجنة مشتركة من ادارة المعارف والتجنيد وادارة المدرسة لتنظيم عملية قبول الطلاب، فحصل الطالب المقبول في هذه المدرسة على حق التأجيل من الخدمة العسكرية أسوة بالمدارس الحكومية الرسمية، وخصصت الحكومة العراقية منحة سنوية للمدرسة، وكان ذلك حافزا لدخول الكثير من الطلبة فيها[3].

١ – ينظر على سبيل المثال: النجف، جريدة، العدد (٤١)، السنة الثانية، الجمعة ١٤ مايس ١٩٢٦. الهاتف، جريدة، العدد (٦٤) في ١٩ شباط ١٩٣٧.

٢ – العرفان، مجلة، الجزء الثاني، المجلد (٢٩) في صفر ١٣٥٨، نيسان ١٩٣٩، ص ١٧٩ – ١٨٥

٣ – مقابلة شخصية مع الشيخ محمد جعفر الكرباسي، حفيد الشيخ محمد كاشف الغطاء مؤسس المدرسة، بتاريخ ٩ ٤ ٢٠٠١ في ادارة مدرسة الهدى.

الفصل الرابع

الفكر السياسي عند الشيخ كاشف الغطاء

أولا: الرؤية السياسية عند الشيخ

ثانيا: نظرته للاقتصاد وعلاقته بالاستقلال السياسي

ثالثا: رأيه في العمل الحزبي

رابعا: موقفه السياسي من الاستعمار

خامسا: القضية الفلسطينية، مواقفه منها وآرائه فيها

الفكر السياسي عند الشيخ كاشف الغطاء

ارتبط الشيخ بالقضايا الوطنية والقومية في فترة مبكرة من حياته، فكان التراكم في المعرفة والمشاركة في إعطاء الرأي الذي يساهم في خدمة الأمة مع انحياز كلي لحقوقها وقضاياها العادلة ومنها القضية الفلسطينية.

ولم ينحصر اهتمام الشيخ بقضايا المشرق العربي، بل كان للمغرب العربي حيز في تفكيره السياسي، فقد ساند القضايا العربية والإسلامية العادلة في كل وقت ومكان، فلم يكن اعتباطاً أن توجه الزعيم التونسي (الحبيب بورقيبة)[1] في عام ١٩٤٨ الى النجف لزيارة الشيخ كاشف الغطاء وتقديم الشكر له عن مواقفه المساندة لنضال الشعب العربي في تونس ضد الإستعمار الفرنسي[2].

---

١ – الحبيب بورقيبة: ولد في عام ١٩٠٣ في مدينة المنستير في تونس، ودرس في كل من تونس وفرنسا واشتغل محاميا ثم انخرط في العمل السياسي وأسس حزب الدستور الجديد عام ١٩٣٤، وشارك بنشاط في النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي واعتقل مرات عدة، وبعد ان نالت تونس استقلالها سنة ١٩٥٦ انتخب في اذار من العام نفسه رئيساً للجمهورية، توفي ١٩٩٩. عبد الوهاب الكيالي، وكامل زهير، الموسوعة السياسية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص١٢٨.

٢ – الغري (مجلة)، العددان (٢١ – ٢٢) في الثلاثاء ٢٧ نيسان ١٩٤٨

إن دراسة الفكر السياسي لشيخ نابع من أهمية الشيخ نفسه بوصفه مرجعا دينيا عربيا كبيرا كان له صوت مسموع ورأي مؤثر واستجابة شعبية لفتاواه، حيث تمتد مساحة تأثيره إلى مناطق واسعة في العراق والبلاد العربية والإسلامية. فضلا على انه ليس بالسياسي العادي الذي يقتصر تأثيره وقوة الاستجابة له على عدد محدود من الأنصار والموالين لخطه السياسي. وعلى هذا فإن فتاوى الشيخ وآراءه السياسية تستمد قوتها من مركزه الديني والصبغة الدينية والتأثير الروحي لهذه الفتاوى. وكما هو معلوم فإن فتوى رجل الدين (المجتهد) لها تأثير قوي وفعال في نفوس المسلمين. وتأسيسا على ذلك كانت دراسة الفكر السياسي عند الشيخ لها أهميتها، مع عدم التغافل من ان منطلقاته الفكرية هي دائما إسلامية، وموقفه من القضايا يتحدد بشكل أساسي استنادا إلى تعارض هذه القضايا او انسجامها مع الشريعة الإسلامية.

أولا: الرؤية السياسية عند الشيخ كاشف الغطاء

السياسة هي نشاط إنساني محوره الإنسان وعلاقة الحاكم بالمحكوم، وهي الصفة المميزة للنشاط السياسي عن غيره من النشاطات الإنسانية. ويمكن تعريفها: إنه علم حكم الدول، أو دراسة المبادئ التي تقوم عليها الحكومات، والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين والدول الأخرى. والحكم يعني السلطة المنظمة ومؤسسات القيادة[1].

إن كاشف الغطاء يعتبر أن ما يجري بين الدول من العلاقات السياسية هو بعيد عن الأخلاق، لأن السياسة تتخذ من الكذب والخداع وسيلة من

١ – حسن صعب. علم السياسة. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٦٦. ص١٩ – ٢٠

وسائلها لإسباغ صفة الشرعية عليه. لذا يرفض بشكل قاطع العمل السياسي الذي يعتمد الطرق اللاأخلاقية في الوصول لأغراضه[1].

ويمكن القول إن الرؤية السياسية عند كاشف الغطاء تنطلق من وضعه كرجل دين مجدد اتخذ من الإصلاح سبيلا له، ارتبط بالرجوع إلى الإسلام وتعاليمه، ومحاولاته بعث القيم الأخلاقية العربية الإسلامية، واضعا الأسس الأخلاقية - كمرجع - لكل تطور وتقدم وإصلاح وعمل. وهو بهذا أعطى السياسة معنى أخلاقيا إصلاحيا، رافضا السياسة الحديثة التي تقوم على الخداع والكذب من أجل التوسع والسيطرة، وبذلك يؤطرها بمثالية نابعة من عمق عقيدته الإسلامية وتمسكه بها كعامل نهضة فاعل. فالعمل السياسي عنده يهدف إلى تحقيق إصلاح ورفع ظلم لحق بالفئات الشعبية التي لا تستطيع التعبير عن معاناتها[2]، وهي بالتأكيد ليست السياسة التي تستهدف الدسائس أو الحصول على منصب أو نفوذ[3].

وعندما يبرر الشيخ دوافعه وانغماره في كثير من الأعمال السياسية، فإنه يرى أن تاريخ أسرته والأدوار التي لعبتها في كثير من الأمور السياسية والدينية وتزعمها لفترة طويلة المرجعية الدينية[4] يعطيه الحق في الاشتغال بالأعمال السياسية، ويعتبرها بمثابة الواجب المسئول عنه أمام الله والوجدان.

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٥٦.

٢ - دافع الشيخ كاشف الغطاء بقوة عن الفقراء والفئات المسحوقة وعن حقوق الفلاحين المهدرة واوضاعهم البائسة معتبرا الاهتمام بالفلاحين والفقراء اكثر استحقاقا من الاهتمام بتشييد قصر للسنت وقدم وصفا حزينا لحال الفلاح في مأكله وملبسه ومسكنه. ينظر: الرابطة الادبية، المجلد الثاني العدد الثاني السنة الثانية، ايار ١٩٧٥ بقلم منير بكر التكريتي ص٦٠

٣ - محمد علي الخوماني، من وحي الرافدين دجلة والفرات، مطابع الكشاف، بيروت ، ١٩٤٦، ص٦٩

٤ - كان اهم دور لعبته اسرة كاشف الغطاء بعد تزعم جعفر الكبير المرجعية في القرن التاسع عشر الميلادي. للتفاصيل ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، تحقيقات العبرية، ص٥٠ فما بعدها

واذا كان الغير من رجال الدين قد تخلى عن هذا الواجب الذي يهدف الى الوعظ والإرشاد ومنع الفساد وتقويم الحكام والناس، فإن هؤلاء معذورون للتقصير في الواجب أو عدم القدرة على احتمال المسئولية، ولاسيما وان الاستعمار لم ينته بعد، ولابد من التحذير منه ومن الوقوع في شراكه واستعباده وعدم السكوت عما تتعرض له البلاد من أخطار[1].

أما إذا كان الغرض من المشاركة في العمل السياسي إحداث الفتن والاضطرابات من أجل الوصول الى السلطة والتلذذ بنعومتها ورخائها، ومن ثم معاملة الناس بكبرياء سلطوية، واستغلال المنصب للحصول على المنافع الذاتية وخدمة الأجانب من أعداء الوطن وتسهيل مهمتهم بالتسلط على البلاد حتى لو كان بإراقة الدماء ((إن كانت السياسة هذا وما إليه، فإني أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم))[2].

أما الذي يشتغل بالعمل السياسي، فيجب أن يكون عمله مقسما بالنزاهة وبالدفاع من روح الإخلاص بعيدا عن المطامع والأغراض الشخصية، فالسياسة مع المطامع داء، ومع الإخلاص نعم الدواء. وفي المقابل فالعمل السياسي لا يقتصر على طرف واحد يفعل ما يشاء دون حساب او رقيب، لأن هذا يؤدي بالأمة الى الفساد والانهيار، فليس بالضرورة كل ما يصدر عن هذا الطرف من رأي أو فعل هو صائب ونافع، فلابد من وجود أقطاب أخرى في الساحة تراقب وتصحح وتقوّد، تتمتع ارائها بالاحترام، وتكون مصانة ومقدسة ولها حرية التعبير، على أن يكون هدف جميع الأقطاب الوصول الى الحقيقة والسلامة[3].

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٠٥.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، اثر العبادة في الإسلام، ص١٠٦.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة خطب، ص٥٨.

وعلى هذا الاساس، فان الشيخ يرى ان ما يجب أن يسود جو العمل السياسي احترام الخصوم لاراء بعضهم بعضا، مع عدم التصلب في الرأي، فقد يكون راي الخصم اكثر احتمالا للصواب من راي الشخص المتصلب في رأيه، فواجب الجميع (المشتغلين في العمل السياسي) التصافي والاجتماع والتفاهم، فهو المؤدي الى الحقيقة[1].

وبسبب نظرته الوطنية فقد راعه ما وصل اليه من أخبار عن الحالة الصعبة التي يعيشها المعتقلون القوميون في سجن ((نقرة السلمان))[2]، ومعاناتهم من قلة الماء والطعام والظروف السيئة للسجن، وفيهم رجال يمثلون شخصيات العراق، وأن هؤلاء قد اعتقلوا بتهمة ((النازية))[3] بدون محاكمة. وكان رأي الشيخ كاشف الغطاء أن وضعية هؤلاء المعتقلين لا تتناسب مع كونهم معتقلين سياسيين، فهم ليسوا قطاع طرق او لصوص، بل إن هؤلاء باعتبارهم معتقلين سياسيين يجب ان يعاملوا معاملة خاصة، باحترامهم وتوفير وسائل الراحة لهم. وفعلا استطاع الشيخ بتوسطه لهؤلاء من تحسين أوضاعهم ونقلهم الى سجن العمارة[4].

أما أساليب العمل السياسي التي تستهدف تحقيق العدل والإصلاح الاجتماعي ومقاومة الظلم، فان الشيخ كاشف الغطاء يميز بين ثلاثة أساليب:-

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، محاورة الختف، ص٥٨

٢ - سجن سيء الصيت يقع في مدينة السلمان في بادية السماوة.

٣ - كانت تهمة النازية تلصق بالقوميين العرب في اربعينيات القرن العشرين من قبل حكومة العراق بالتعاون مع السلطات البريطانية فيزج بهم بالسجون بسبب هذه التهمة. ينظر صادق السوداني، النشاط القومي في العراق ١٩١٤- ١٩٥٢م، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٠، ص١٣٧

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، محاورة، ص٦، ٧

الأسلوب الأول :- يعتمد على الحوار والمكاشفة والإرشاد بالخطب والمقالات والمولفات والصحف، وهذا الأسلوب له جذوره في الشريعة الإسلامية من خلال الآية الكريمة ﴿ادع الى سبيل ربك بالموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1]، والآية الكريمة ﴿ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[2]. وهذا الأسلوب في العمل السياسي هو الذي يؤمن به كاشف الغطاء ويعده الأفضل ويناسب مقامه الروحاني. لأن هذا الأسلوب لا يدعو الى ثورة أو اضطرابات، فإن هدفه السكينة والسلام في كل وقت.

الأسلوب الثاني :- هو المقاومة السلمية والسلبية، وتعتمد العصيان المدني طريقا لها. ويؤمن أصحاب هذا الأسلوب بالمقاطعة وعدم الاشتراك في الحكومات والقيام بالاضرابات، وهؤلاء لا يؤمنون بالقوة.

الأسلوب الثالث : - هو الأسلوب الذي يعتمد الثورة المسلحة [3].

وبعد هذا العرض ما هي العلاقة الصحيحة التي تربط بين الحاكم والمحكوم مثلما اراد كاشف الغطاء أن تكون لها؟

قضت نواميس الطبيعة أن يترأس كل جماعة بشرية فرد يطلق عليه ((الحاكم)) أو ((القائد)) يقوم بمهمة تدبير أمرها ويشرف على سياستها وإدارتها، فهناك - وعلى هذا الأساس - ((حاكم)) و ((محكومين)). ويستوي الأمر في كل الأنظمة وبكل أنواعها، وعلى مقدار التفاعل بين القادة والجماهير تعبيرا عن امال الأخيرة وآلامها - تكون القيادة شعبية مادامت علاقاتها حية

---

١ - القرآن كريم، سورة النحل، الآية ١٢٥.

٢ - القرآن كريم، سورة فصلت، الآية ٣٥.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٩٦.

ومتصلة مع الجماهير التي هي أساس كل نظام، وبدونها لا بقاء للقيادات، وعلى مدى ما تمثله للشعب وتأييده تتقرر شعبية هذا النظام من عدمه[1].

ويرى الشيخ كاشف الغطاء أن دعائم السعادة والبناء القوي لمجتمع تتوافق فيه رغبة الشعب مع إرادة الحكومة يقوم على ثلاث: تعليم العلماء، وعمل الأمة، وعدل الحكومة. وأن قيام كل طرف من هذه الأطراف الثلاث بواجبه تكون النتيجة إعمار البلاد وسعادة الجماهير ورفاهيتها[2]. ويجب أن تكون علاقة الحكومة بالشعب علاقة عطف ورعاية والقيام بأداء واجباتها على أحسن حال، وتكون غاية أعمالها خدمة مصالح الناس وتقديم الخدمات التي تعمل على إسعادهم وترقيتهم، مقرونة بالعمل لإرشادهم وتقديم النصح والرأي الصحيح لهم، مع إيمان الحكومة بحقيقة أنها لم تقم أو تكون إلا بوجود الشعب، وأنها تعيش على خيراته وما ينتجه من عرق جبينه، فهو (أي الشعب) ولي نعمتها وعلة وجودها وحياتها.

وتأسيساً على ذلك، ينبغي على الحكومة خدمته بإخلاص والعمل على صيانة حقوقه والمحافظة عليها وعدم التطاول أو التجاوز عليها، وتبتعد عن اضطهاده وإلحاق الأذى به وإعطاءه حرية العمل، ولا تزاحمه في عمله الذي هو مصدر رزقه وقوته، فيكون العدل منها هو المطلوب دون تمييز وتفريق[3].

وما دامت الحكومة قد أدت واجباتها إزاء مواطنيها وأخلصت في خدمتها لهم، فإن المواطنين سينقادون بلا جهد الى اطاعتها والخضوع الى ما تضعه من قوانين عادلة، فيكون حينها التقارب بينهما، وتنعقد عرى قوية

١ – طارق ذاكي، الاحزاب السياسية، شركة نقوش والشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٨، ص٨٦

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص١٠١

٣ – المصدر نفسه، ص١٠٢

من الصفاء والمودة بين الطرفين، فيكونوا في تعاونهم يدا واحدة وقلبا واحدا. وينتج عن هذا التلاحم بلاد راقية وشعب سعيد ومجتمع متعاون يسوده الهناء والرخاء، لان كل طرف فيه يقوم بواجبه[1].

اما الحاكم الذي يقود البلاد، فان الشيخ كاشف الغطاء ينظر اليه باعتباره معذورا في بعض افعاله، فهو ليس من الملائكة ولا معصوما، كونه بشرا يصيب ويعذل مرة ويخطئ مرة أخرى، وليس في ذلك بأس، لكنه يجب أن يتحلى بمواصفات، منها الصدق في قوله، وان يكون وفيا في عهده ومنصفا غير ظالم، أمينا على ثروات بلاده ولا يتهاون او يتساهل مع الاجانب على حساب حقوق بلاده ومواطنيها[2].

والحاكم لا يختلف عن أي فرد من افراد الشعب الا في مجال عمله (الحكم) الذي هو بمثابة مهنة كبقية المهن، فليس له فضل او منة على الشعب، بل ان الحاكم يجب ان يعلم بايمان انه موجود بارادة الشعب ورغبته، وتصرفه مع شعبه لابد أن يكون بعطف وشفقة، وان يبتعد عن الرشوة والمحسوبية، وان لا يحابي في إعطاء الوظائف، بل يسلمها لمستحقيها من ذوي الكفاءة والخبرة. وكذلك فان الحاكم من واجبه ان لا يتوقف عن رد الظلم، واذا تعرض للمساءلة فعليه تقديم الإجابة، فهو واجب عليه[3].

ودعا الشيخ الحكومة الى النظر الى مشاكل المواطنين واعطائها الأولوية، ومعالجة ما يخصهم من معوقات وعدم التلكؤ في حلها. وذلك من خلال القضاء على الرشوة وسوء تصرف الموظفين الذين يسيئون للمواطن

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص١٠١

٢ - المصدر السابق، ص٤٨.

٣ - المصدر نفسه، ص٤٩

والحكومة، مما يولد تذمرا شديدا عند الناس. ويخصّ الشيخ بالاهتمام القضاء والمحاكم التي تعاني دوائرها من تأخير لاشغال الناس وحسم القضايا العالقة. وقد تستمر القضية في المحاكم عدة سنين بين الأخذ والرد[1].

ويعبّر الشيخ عن ضيقه وقلقه من انتشار الرشاوى (خلال العهد الملكي) في المشاريع العامة، وتفشيها بشكل كبير، وأخذ الناس بتداولها في احاديثهم في المقاهي والأندية، وتشهد بذلك مشاريع الري والأشغال والاعمار والإعاشات والبلديات والاستهلاك وغيرها[2].

وحذر الشيخ الحكومة الملكية في العراق من العواقب الوخيمة لاستمرارها في التراخي والعجز عن فعل أي شيء لوقف هذه الظواهر والقضاء عليها، فسيزداد تذمر الشعب وشعوره بالنقمة، وحينها لا ينفع ارشاد واصلاح، فينقلب الوضع رأسا على عقب ولا يقوم أي كفاح، فيندفع الشباب متحفزا بالغيرة على وطنه وأمته بقوة العاصفة ممزوجة بالعاطفة. ولا جدوى حينها الى نصائح الحاكمين وما تنشره صحفهم من أن الشباب لا يجوز له أن يزج بنفسه ويتداخل بمعامع السياسة، ويلزمه العكوف على دراسته ودروسه. وهذه الكلمات المعسولة قد تكون في عرف السياسة مقبولة، لكن ليس لها أثر في عرف العواطف[3].

أما نظرته للوحدة الوطنية، فكان الشيخ كاشف الغطاء داعيا قويا للوحدة معتبرا وحدة المجتمع دليل صحته وقوته، وتفرقه دليل ضعفه ومرضه لذلك فقد ركز على الوحدة الوطنية وتقوية النسيج الاجتماعي. وقد جاء ذلك من خلال محاربة عوامل التمزق من طائفية ومذهبية ومطامع شخصية تجري

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، امل العلياء، ص٢١

٢ – المصدر نفسه، ص٢٢.

٣ – المصدر نفسه، ص٢٢

على حساب مصالح الشعب والوطن. وعمل بجد الى نبذ الصراعات والخصومات التي تقوم على أساس مذهبي وطائفي، من اجل تحقيق التعايش في بلد تتوافق فيه كل المذاهب وتنسجم مع بعضها، حتى يتمكن من الوصول الى الرقي وتحقيق الامال والأماني دون إلغاء أو تهميش لعقيدة أو طائفة، فهو مؤمن بالاختلاف الفكري والطائفي مع وجود مشتركات اقوى، مؤكدا بشكل خاص على مشتركة الوطن كعامل رئيس في تحقيق الوحدة بين افراد الشعب بمختلف انتماءاتهم العرقية والدينية لجمعهم رابطة الوطن الواحد[1].

وعندما يجتمع أفراد الوطن الواحد برابطة تجلب إليهم الوحدة والسعادة، ويسود التعاون وتبادل المنافع، ويصير كل واحد من أفراد المجتمع خادم لسائر الأفراد، على قاعدة «الكل قائم بخدمة الكل». ويكون الهدف مشتركا والروح واحدة، حينها يصبح الوطن بأبنائه قويا متوحدا لا يتسرب اليه شيء من الفساد، قادرا على دفع الأخطار والكوارث بفضل وحدته، فصارت هذا أمة صحيحة حية وقوية[2].

وقد اثارت الشيخ كاشف الغطاء بعض الدعوات التي اتسمت بصبغتها الطائفية[3] الصرفة، على الرغم من دعواته المتكررة للوحدة وجهوده في سبيل الابتعاد عن التطاحن المذهبي والطائفي. وعبّر الشيخ عن انزعاجه وتبرّمه من ذلك وأسفه لتلك الصيحات التي تطلق في وقت يحتاج فيه البلد الى الوحدة والتكاتف بوجه المخاطر التي يتعرض لها[4]، محمدا في ذات

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، حنه الماوى، ص١٣٥.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص٣١.

٣ – يقصد الشيخ كاشف الغطاء هذه الدعوات ما جاء في كتاب عبد الرزاق الحسان «محمد بن عبد الوهاب في مئة عام» الذي تضمن بشكل فاضح مقيت دعوات طائفية كادت ان تودي الى وقوع فتنة.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٢.

الوقت الحكومة مسئولية ما يجري لتغاضيها وسماحها لمثل هذه الدعوات الطائفية الصريحة[1].

ظل الشيخ حتى أيامه الأخيرة يكافح نار الطائفية محاولا إخمادها، إدراكا لخطورتها على وحدة الأمة، فعمل على احتواء فتنة طائفية كادت تقع في البحرين عندما وجه نداء وهو على فراش المرض بتاريخ ٧/٤/١٩٥٤م دعا فيه الحكومة البحرانية والمسلمين في البحرين بجميع طوائفهم الى التوحّد، حتى لا يعطوا للمستعمرين فرصة النفاذ بينهم، مذكرا أن الأجانب «ما نشبت مخالبهم في الممالك الإسلامية والبلاد العربية إلا بإلقاح الفتن بينهم وإثارة النعرات الطائفية والإقليمية، فهو يضرب بعضهم ببعض وتكون للمستعمر الغنيمة الباردة والربح والفائدة والخسران عليهم»[2].

ويرى الشيخ أن الحكومات قادرة على المساعدة في إطفاء نار الطائفية بإقامتها موازين العدل بين رعاياها دون تمييز، والضرب بقوة على مثيري الفتن الطائفية وقطع دابر المفسدين[3].

ثانيا : نظرته للاقتصاد وعلاقته بالاستقلال السياسي

الاقتصاد هو التوسّط بين الإسراف والتقتير، والغرض منه توفير الثروة والإعمار وتحسين الأمور المعاشية وتراكم ثروات وإمكانيات مالية، لذا كان الاقتصاد الحسن قوام السياسة، وعملا بهذه القاعدة فقد تنبهت أمم أوربا ووجهت عنايتها واهتمامها الى المسائل الاقتصادية، فأنشأت الوزارات

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص١٠٥.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٤٧.

٣ – المصدر نفسه، ص٤٨.

للتجارة والصناعة والمستعمرات، وزادت من انشاء المدارس التجارية والصناعية، وتهافتت على وسائل الاستعمار، وصارت كل أمة تبحث عن مستعمرات جديدة بعدما امتلكت القوة والثروة[1].

ولما كانت بعض الدول التي لا تملك القوة والمال تعتمد في اقتصادها على الدول القوية الاستعمارية، فإن ذلك يجعل استقلالها السياسي غير كاف ومترجرج، ويكون اقتصادها عرضة للهزات التي تصيب الدول التي تعتمد عليها. ولهذا فقد افرد الشيخ كاشف الغطاء اهتماما كبيرا لموضوع الاقتصاد الوطني القوي، والذي يعتمد على إمكانيات البلاد وقدراته من خلال تسخير كل الطاقات المتوفرة لتحقيق الثروة والقوة الاقتصادية[2].

ربط كاشف الغطاء ربطا تكامليا بين الاستقلال الاقتصادي والاستقلال السياسي، فيرى أن لا وجود للاستقلال السياسي الكامل ما دام هناك اعتماد كلي على الاخرين، وعدم وجود اكتفاء ذاتي لإدراكه ان الاقتصاد عامل مؤثر في تحقيق السيادة الوطنية الكاملة، وان الحاجة الى الغير تقود الى التبعية، وبالتالي ذهاب ثروات البلد وطاقاته. ويقول في ذلك: ((النقص الذي بناه لنا الاولون فأصبحنا مملوكين للأجانب محتاجين إليهم. ولكن نحن أحوجنا أنفسنا إليهم، لأننا لم نقتنع بما يكفينا في قوام الحياة... خدعونا فجعلنا يبتزون اموالنا ويسلبونا عزنا ومجدنا، بل يمتصون دم حياتنا، نحن احوجنا أنفسنا لهم فصرنا أسراء لهم (أحتج الى من مُنت تكن اسيره)، لو قنعنا بما عندنا لكفانا ايها الناس. أنا قلت من قبل ولا أزال أقول: الاتحاد والاقتصاد))[3].

---

١ - فاروق نوفل، عصر التنوير العربي، ص١٠٩ - ١١٠.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة وحكمه، ص٣٠.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص١٢٩ - ١٣٠.

يعترف الشيخ بالتضحيات التي يحتاجها البناء الاقتصادي المستقل، فالأمة اذا أرادت أن تحقق استقلالها بالاعتماد على الاستقلال الاقتصادي والاكتفاء الذاتي، فإن ذلك يحتاج منها الصبر والجلد ويحتاج رجال عزم وإباء متدربين وقادرين على صنع هذا الاستقلال بنبذهم كل ما يأتي من الاجانب من سلع يمكن الاستغناء عنها، حتى لو وصل الحال الى نسج الثياب من خوص النخيل ليستغنى بها عن الملابس الاجنبية التي لا يأتي معها الا الذل والعبودية. وليس من العدل ذهاب المال الوطني وتبديده على سلع تأتي من الخارج، وهذا بمثابة دفع الروح الى الأجنبي، وهذا هو حال الأمة التي اعتمدت في كل شيء على الاجانب حتى الخيط والابرة، وربما يصل الحال بها الى استيراد الخبز والماء، وهكذا فقد ذهب عزها وفقدت استقلالها منذ ذلك اليوم الذي احتاجت فيه الى الغير فدمرت تجارتها وزراعتها وصناعتها فماتت الحياة فيها[1].

ويضيف الشيخ قائلا: «إننا اذا أردنا ان نعيش أمة حية قوية مثرية يلزمنا أن نلبس من غزل أيدينا ونأكل من نتاج ارضنا ونستغني عن مصنوعات غيرنا قدر الإمكان»[2].

ولان أي مجتمع لا يمكن أن يحيا بدون اقتصاد، وهو ما يتطلب العمل الجاد لتكوين الثروة التي تأتي عن طريق استغلال نشاط الانسان وتصالحه مع الطبيعة، مستخدما في ذلك كل القوى المتوفرة لديه وهو ما يؤدي الى تكوين الخيرات الحياتية، وهذا كله ضروري لوجود المجتمع[3].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص٤٢.

٢ – المصدر نفسه، ص٤٣.

٣ – ل.ليونتيف، الاقتصاد السياسي اسسه واحواله، ط٢، ترجمة محمد رشاد خصلاوي، دار الفكر الجديدة، القاهرة، ١٩٧٤، ص١١ – ١٢.

إن المطلوب من البلاد العربية التي تسعى لتحقيق استقلالها ان تكفل الثروات التي تعز البلاد وتقويها، فلم يصل الغرب الى ما وصل إليه من تقدم ونهضة الا بالثروة، التي حصل عليها عن طريق امتصاص ينابيع الثروة وإقامة الصناعات. والإسلام كتشريع يدعو الى تكوين الثروات مع عدم التبذير الذي يودي الى التلف والدمار الاقتصادي، وان التدبير والاقتصاد بركة ووقاية من الفقر ومفض حتما الى النهوض[1].

وإن التصور الخاطئ أن تطلب الأمم استقلالها السياسي قبل تحقيق استقلالها الاقتصادي الذي يعني أن تزيد صادراتها على وارداتها واستغنائها عن غيرها في تدبير امور معاشها ومقومات وجودها، وأي معنى لاستقلال البلد وهو يحتاج الى غيره في كل ناحية من نواحي الحياة[2].

ومن المقومات لبناء اقتصاد قوي جعل مناهج التعليم في خدمة التنمية الاقتصادية للمساهمة على استغلال طاقات شباب الأمة واستثارة روح الإبداع عندهم، مما يساعد على الاستفادة من مكونات الطبيعة وإقامة صناعات وطنية[3].

ولأجل الوصول الى الثروة دعا الشيخ الى التخلي عن الروح الاستهلاكية والتوقف عن الإسراف في الكماليات والترف والبذخ، فبدلا من إنفاق الأموال في هذه الطرق كان من الاجدى والانفع بذل هذه الأموال لتأسيس المدارس العالية والكليات وبناء المستشفيات وإنشاء الصحف التي تنور العقول[4].

يعتقد الشيخ كاشف الغطاء أن توفر الإرادة والقدرة الذاتية عامل مهم

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص٤٥.
٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٦٧ - ٦٨.
٣ - المصدر نفسه، ص٦٩.
٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة خطب، ص٤٤.

في تحقيق الاستقلال الاقتصادي، فالشعب اذا كان حقا يريد تحقيق ذلك، فان ذلك يكون بالاكتفاء الذاتي بما هو متوفر داخل الوطن وما يمكن الاستعاضة عنه[1].

وفي مجال نظرته للاقتصاد العراقي، فهو يرى ان العراق هو البلد الاغنى في كل شيء، ومع ذلك فان ثرواته وطاقاته لم تستغل بعد، فهناك كثير من الاراضي التي يمكن ان تتحول الى اراض زراعية منتجة اذا بذلت الحكومة الجهود وعملت بجد على إحيائها وزراعتها، وحينها ستكون مصدرا للبركات والثروة العظيمة، فضلا عن تشغيلها أعداد كبيرة من الأيدي العاملة العاطلة عن العمل، وسوف يسد ريعها بعد سنتين او ثلاث نفقات احيائها، ويتخلص الكثير من الفقراء العراقيين من الفقر والحرمان[2].

لكن الحاصل أن الاستعمار يعمل على إعاقة قيام مثل هذه المشاريع الزراعية والصناعية التي تساعد في تحقيق الاستقلال الاقتصادي. ويستدل الشيخ على ذلك أن ((التمر)) كان من اهم الصادرات العراقية والعمود الفقري لمعيشة أهله، إذ كان يباع بأسعار مجزية، لكن بعد تكريس السيطرة الاستعمارية في العراق فإن أسعار التمور انخفضت، وأصبحت لا تكفي لمعيشة الفلاحين، فعم الفقر وانتشر البوس، وتمكن أفراد معدودون من الأقطاعيين من تحقيق الثروات. ويمكن على التمور قياس بقية المحاصيل[3].

وما دام العراق مستعمرا فكل شيء فيه يتم تحت الاشراف البريطاني، حتى الوزارات والبرلمان ومجلس الشيوخ هي مجرد أشباح تحركها الأرواح البريطانية وتعمل بايحاء منها، وهذا الذي يسمى استقلالا هو في حقيقته استغلال. حتى المال الذي دفعه البريطانيون مقابل شراء النفط العراقي بعد

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص٦٨.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المحاورة مع المستعمرين، ص٨ – ٩

٣ – المصدر السابق.

بالمنفعة لمصالح البريطانيين على شكل أعمال ومشاريع تقوم بها الحكومة البريطانية وشركاتها في العراق، فالسكك الحديد والميناء والجسور والمباني العسكرية والثكنات والقلاع وغيرها تعود بالفائدة لمصالح بريطانيا في ميزان التبادل التجاري وانعدام التكافؤ حسب رأي الشيخ[1].

يمكن الإطلاع على اهتمام الشيخ بالوضع الاقتصادي في العراق من خلال ما جرى بمقابلته مع ((ياسين الهاشمي)) رئيس الوزراء في عام ١٩٣٥ الذي زار الشيخ في داره، إذ عبّر له الأخير عن قلقه وانتقاده لكثرة الضرائب التي تفرضها الحكومة على الناس، فبرّر الهاشمي ذلك بعجز في الميزانية. مؤكدا مسئولية البريطانيين في هذا الوضع، لأنهم لا يسلّمون الحكومة العراقية ما يكفي من اموال النفط. وتمنى الهاشمي أن تسلّم الحكومة البريطانية الى العراق خمسة ملايين دينار فحينها لا تكون هنالك ضرائب. ويعود الشيخ بعد تسعة عشر عاما متذكرا هذا اللقاء وكيف ال اليه وضع الضرائب وانتشار الفقر والجوع على الرغم من زيادة واردات النفط، ويعبّر عن ذلك بقوله:

((ليتك يا هاشمي تعود وترى الخمسة ملايين كيف صارت ستين مليونا، والضرائب كما هي أو زادت، والفقر والجوع أشد وأشد لأن الخمسين مليونا سبيل المليونين التي كانت على عهدك، ولأن سياسة التقتير والتقتير في العراق كما هي لم تتبدل. وليت من المسئولين اليوم من يشعر بشعورك ويحمل وطنية مثل وطنيتك ....ولكن قد تورم الشعب بأجمعه من سوء أعمال المسئولين بجميع طبقاتهم، من رأس الوزارة الى أدنى إدارة، حتى صار كالجرح الذي تقيح ويوشك ان ينفجر))[2].

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الحوار مع المفكرين، ص ١٠ – ١١.

٢ – المصدر نفسه، ص٢٢.

ثالثا : رأيه في العمل الحزبي

في احداث العشائر عام ١٩٣٥ طلب الشيخ كاشف الغطاء من زعماء العشائر الذين وقعوا على ((ميثاق الشعب))، والذين اجتمع بهم لغرض توحيد الجهود لتحسين الاوضاع الاجتماعية والسياسية والخدمية في العراق، طلب من هؤلاء عدم الانضمام الى أي حزب كان، اما الذين كانوا على علاقة ببعض الأحزاب فقد طلب منهم فك ارتباطهم بها لإثبات حسن نواياهم، ووافق بعضهم وتعهد أمامه بذلك، فيما غلبت النزعة الحزبية على الآخرين ورفضوا التوقيع. وقد كان الشيخ يرمي من وراء ذلك جعل عشائر خالصة لخدمة الشعب وبعيدا عن الأغراض والأهواء الحزبية. وشدد كثيرا على هذا الجانب[١].

إن رؤية الشيخ كاشف الغطاء للأحزاب السياسية لا تنحصر على مستوى العراق فقط، بل شملت الأحزاب في الاقطار العربية، معتبرا انها لم تظهر منها الفائدة المتوخاة، ولم ترتق الى درجة من القوة تجلب الشعب اليها حتى تقوم بأعمال جذرية في الإصلاح[٢]. والسند الشعبي هو أهم مقومات الحزب، اذ بدونه لا يمكن تصور وجود حزب سياسي وانما يطلق عليه جماعة الضغط، وهي التي تقوم بمهمة الدفاع عن المصالح الخاصة، سواء مهنية أو اقتصادية[٣].

---

١ - انظر الفصل الثاني، موقفه من القضايا الوطنية

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص٨٦

٣ - عبد الرضا الطعان، البعد الاجتماعي للاحزاب السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص٦٦ - ٦٧

ويعزو الشيخ سبب فشل الأحزاب العربية آنذاك في القيام بأعمال إصلاحية جذرية الى التصارع الحاد بين هذه الأحزاب، وعدم وجود قاعدة ارتكاز تجمع بينها على أساس الخدمة العامة مع تنافرها وعدم وجود التأييد المتقابل الذي يضمن التفاهم في العمل السياسي[1].

والمفهوم من كلامه أن هذه الأحزاب لا تمتلك السند الشعبي وليس لديها برنامج للتغيير الجذري وخطة مستقبلية للاصلاح، فهمّها التصارع فيما بينها مستغلة الجماهير لتنفيذ أغراض حزبية وشخصية، وبذلك تنتفي التعاون الملزم بينها لتحقيق أهداف عامة تحقق مصالح الشعب.

يبدو موقف الشيخ من الأحزاب متأثر الى حد كبير بموقف المصلح جمال الدين الأفغاني من الأحزاب في الشرق، ويتضح ذلك بترديده مقولة الأفغاني: ((إن الأحزاب السياسية للأمة نعم الدواء، ولكنها في الشرق تنقلب الى شرّ داء))[2]. ولا يعني هذا أن الشيخ ضد فكرة قيام الأحزاب، بل هو مع قيامها اذا كانت تحمل مشروع تغيير وقدرة على الإصلاح وحصولها على الدعم الشعبي لنشاطها، وعبّر عن أمله في قيام أحزاب تصل بمستواها الى حد يمكنها من خدمة الأمة، وأن تكون أعمالها قائمة على أساس الجديد والمنافع[3].

والواقع أن هناك من يعدّ الأحزاب في البلدان النامية مصدرا لوقوع الخلاف والصراع وفرقة الشعب بدلا من وحدته، لأن هذه الدول مبتلية في معالجة مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية، على عكس الغرب الذي يتمتع بالاستقرار ومستوى عال من المعيشة وتأمين الحاجات اليومية[4].

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة، ص٨٦.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص٨٥.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٠٥.

٤ - طارق الهاشمي، الأحزاب السياسية، ص٤٤ - ٤٥.

اراد الشيخ كاشف الغطاء من الأحزاب السياسية ان تكون معبرة عن حاجات الناس ومعاناتهم، لتكون قادرة على الوقوف بوجه الأفكار المستوردة من الغرب والبعيدة عن الواقع العربي ومشاكله. وتمثل ذلك بموقفه من الأفكار الشيوعية التي رفضها جملة وتفصيلا.

موقفه من الفكر الشيوعي نموذجا:

يمكن التعرف على موقف الشيخ من الفكر الشيوعي من خلال الاطلاع على تفاصيل مقابلته للسفير البريطاني في بغداد (جون تروبتك JOHN TROBTIK) الذي زار الشيخ في مدرسته في عام ١٩٥٣م، للتباحث معه حول مواضيع عدة، كان أهمها موضوع انتشار الأفكار الشيوعية ومكافحتها باعتبارها عدوا مشتركا[1]. وكانت محاولات البريطانيين لادخال رجال الدين والعلماء الروحانيين في خضم الصراع والصدام والوقوف بوجه الأفكار الشيوعية (وخاصة مع الشيخ كاشف الغطاء) ان دلت الى عودة السهم الى البريطانيين أنفسهم، فقد اعتبر كاشف الغطاء أن انتشار الفكر الشيوعي جاء مترافقا مع الوجود البريطاني في العراق، بل ان هذا الوجود هو أساس هذا الانتشار. فقد كان لسياستهم في العراق مع الحكومة الخاضعة لمشيئتهم سببا فعالا في انتشار الشيوعية، لأن السياسة الاستعمارية البريطانية نشرت معها ثلاث أمراض خطيرة مميتة ((الجهل والفقر والمرض)). فكان نتيجة هذه الأمراض انتشار الأفكار الشاذة، فالحل الأساس يأتي بمعالجة هذه الأمراض الثلاث حتى تموت جرثومة ذلك الداء قهرا[2].

ويعطي الشيخ للفكر الشيوعي صفة الخطر الخارجي الذي ابتلت به

---

١ – حنا بطاطو، الكتاب الثاني، المصدر السابق، ص٣٦١.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، محاورة بين السفيرين، ص١٧.

الأمتان العربية والإسلامية، ويربطه بالأخطار الأخرى التي يعاني منها العرب والإسلام، وهو يقول: «إن الإسلام عموماً والعرب خصوصاً لا تزال منذ قرون تنهشهما أفاعي الاستعمار، وزاد عليها هذا القرن عقارب الصهيونية والمادية، احاطت به من الخارج العقاريت الثلاث المادية والصهيونية والاستعمار»[1].

وكان مما تضمنه الفكر الشيوعي بالنسبة لنظرته للدين وإنكاره لوجود الله جل جلاله، وهو مبدأ لا جدال فيه، فالشيوعية مذهب مادي يزعم ان كل ما يقع في التاريخ من حركات مرده الى الأسباب الاقتصادية، ولا مجال للاعتراف بالله خالقاً وراء الغيب يوجه البشر الى مصائرهم[2]. وقد كان لهذا الفكر الشيوعي أثره في التصدي الواسع له.

وكان الشيخ قد انطلق من هذا في وقوفه ضد انتشار الشيوعية، ومن كونه رجل دين مؤمن بقيم دينية وأخلاقية وروحية متعارضة مع الاتجاه الشيوعي، لذلك فقد اعتبرها خطراً ليس على العراق فقط، بل على العالم الإسلامي ككل، فيقول في هذا مخاطباً السفير البريطاني: «ولكن قد ابتليت نحن وانتم بالعدو المشترك الخبيث، وليس عدونا وعدوكم فحسب، بل عدوا للإنسانية، عدو كل فضيلة عدو الحرية التي هي من افضل نعم الله تعالى، عدو الحرية الشخصية والاجتماعية، الذي يجعل الإنسان الة ميكانيكية لا إرادة له ولا اختيار، عدو كل فضيلة وكرامة، هذا العدو الالد الذي يريد القضاء عليكم أولاً وعلينا ثانياً، بل يريد قلع جذور الفضائل والكرامات والأسر والعائلات، وقد نما واتسع ومدّ جراثيمه وخراطيمه الى كل قارة، بل الى كل قطر، بل في كل بلد، ولوثت كل أسرة... تلك المبادئ التي تسمونها

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكم، ص١٠٦

٢ – محمد عرفة، الإسلام أو شيوعية، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، بلا تاريخ، ص١١

المبادئ الهدامة، وأسميها المبادئ التي تسمم جوهر الإنسانية وتزهق روح الفضيلة))[1].

وكان أكثر ما يغيض الشيخ كاشف الغطاء ويثير حفيظته هو شعوره وغيره من علماء الدين أن الأفكار الشيوعية بدأت تنتشر بشكل واسع في المعقل التقليدي[2]، ليوئلاء العلماء ((مدينة النجف الأشرف)) التي كانت منذ تأسيسها مركزا للدراسات الإسلامية وكان هدفها تقوية الروح الدينية ونشر المبادئ الأخلاقية المرتبطة بشكل وثيق بالتعاليم الدينية، فضلا عن أن النجف بجامعتها الدينية كان يأتيها رجال من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للدراسة وبعد أن يتلقوا علومهم يعودون لبلدانهم، وهاهي الشيوعية أخذت تأخذ مواقع لها في هذه المدينة ويصبح لها تنظيم واسع وأوكار، يقودها شباب يعترف الشيخ بنشاطهم وحماستهم في سبيل نشر افكارهم وعملهم الحزبي، وبالتالي لابد من دراسة الأسباب التي ساعدت على انتشار هذه الأفكار، من اجل مقاومتها والاهتداء الى العلاج الناجع لهذا المرض الفتاك حسب تعبير كاشف الغطاء[3].

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر، ص٥.

٢ - يمكن القول، ان الافكار الشيوعية لم يقتصر انتشارها على طبقة معينة من مجتمع حي رجال الدين وابناء رجال الدين اعتنقوا هذه الافكار عراقيين وعرب. وكان من ابرز من اعتنق الافكار الشيوعية سواء كان منهم رجل دين او من عائلة دينية وبعضهم استمر في ارتداء الملابس الدينية للتضليل، رغم استمراره الشيوعي من هؤلاء من العراقيين الشاعر المعروف محمد مهدي الجواهري ومحمد حسب عضو بارز في تنظيم الشيوعي عدد في ١٩٤٨م، ومحمد حسن الصوري صاحب جريدة (الحضارة) التي تحولت من نشر الفكر العربي الاسلامي الى مروجة لفكر الشيوعي في الخمسينيات. ومن العرب كان حسين مروة الذي جاء لدراسة الدينية في العراق فاصبح من منظري الشيوعية ومنهم كرم مروة شيوعي لبناني بارز وآخرون لا يسع المجال لذكرهم. مقابلة شخصية مع الاستاذ كاظم شكر احد مؤرخي النجف المشهورين من ذوي الاتجاه الشيوعي بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٨.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر، ص٥.

وقد عمل علماء الدين بأقصى طاقاتهم لمواجهة الفكر الشيوعي، محذرين الخلق عليه، وردّ الكثير على الشيوعية باعتبارها تتعارض مع الأخلاق العربية الإسلامية وتتنكر للتراث العربي الإسلامي والتاريخ العربي. واعتبروا الشيوعيين ناشرين للفوضى والأكاذيب، وهم جزء من اللعبة الاستعمارية التي تخدع الناس بشعارات براقة خادعة[1].

ويصف أحد المعاصرين انتشارها بأنه انتشار ((موضة)) ليس إلا، فأكثر المدعين باعتناق الشيوعية لا يفقهون من الشيوعية إلا العبارات البراقة والتعابير الجذابة، مع قوالب جاهزة يأطر بها كل شيء وتفسيرات للظواهر والأحداث تقتبس قسرا من كتب الماركسيين الأجانب، وكان للدعايات الإعلامية والهالة التي أحيطت بها الشيوعية في العالم كلّه عامل جذب للكثيرين للتباهي دون معرفة عميقة بمبادئ الشيوعية وأسسها[2].

ويضيف الشيخ كاشف الغطاء أسبابا أخرى كان لها أكبر الأثر في انتشار الشيوعية واستجابة البعض إليها في العالم، ويؤكد ان البلدان التي تعاني من وطأة الاستعمار الغربي وخاصة البريطاني والفرنسي يكون تقبل الأفكار الشيوعية فيها أكثر من غيرها، بسبب العداء الذي تكنه شعوب هذه البلدان للمستعمرين، ولذلك فإنهم أخذوا يعتنقون هذه الأفكار المتعارضة مع العالم الغربي (الديمقراطية)، وخاصة الشيوعية والنازية، تكاية بهذه الدول الاستعمارية، ومحاولة من هذه الشعوب للحصول على مساعدة الاتحاد السوفيتي للتخلص من نير استعمارها[3].

---

١ - محمد هادي الاميني، الشيوعية ثورة وثأر على العقائد والانظمة الاجتماعية، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٠م، ص٧ - ٦٣.

٢ - مقابلة شخصية مع الاستاذ كاظم شكر وهو عراقي مغترب معروف ومن ذوي الاتجاه القومي جرت بتاريخ ٢٠ /٦/ ٢٠٠١.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، المحاورات، ص١٦.

وإدراكا من الشيخ أن الفكر لا يستطيع إعاقته إلا الفكر، فإنه يعتبر الحلول الفكرية أكثر صوابا من الحلول التصفوية التي اتخذتها وتتخذها الحكومة الملكية للقضاء على الأفكار الشيوعية، واعتبر أن سياسة القمع والشنق والإعدام والزج في السجون والإبعاد والتعذيب القاسي، كل هذه لا تجدي نفعا في القضاء على الشيوعية، فهي كما يقول عنها الشيخ كاشف الغطاء: ((كحشايش الأرض والزرع كلما حصدته تنمو جذوره وتزداد مهما تكرر الحصاد، الشيوعية مبدأ ونظام – وإن كانت مبدأ فاسدا ونظاما معوجا – لا يقضي عليه إلا المبدأ الصحيح والنظام الصالح، أما مقابلته بمبدأ فاسد مثله ونظام فاشل من شكله فلا يقضي عليه ولا يقطع جذوره، بل تبقى الحرب بينهم سجالا كر وفر، يوم لهذا ويوم عليه حتى يقضي أحدهما على الآخر ويبقيان في المعركة الى ما شاء الله، وقد تفشت وانتشرت أوكار الشيوعية في العراق حتى دخلت بيوت أهل الدين والزعماء الروحانيين، بل دخلت في السجون واستهوت المدرسين والتلاميذ، ويخشى أن يصبح العراق كايران معتركا لأهل اليمين والشمال، ويجتمع الداءان فيها))[1].

ولأن الشيوعية أذعت أنها تقدم حلولا عادلة وجذرية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وأن هدفها إنصاف العمال والفقراء وتحقيق الرفاهية لهم[2]، حتى استطاعت جذب الناس بشعارات المساواة بين الأفراد والرخاء الاقتصادي وتوسيع فرص التعليم[3].

ولهذا فقد دعا الشيخ كاشف الغطاء لمعالجة الجوانب التي استغلها الشيوعيون في الترويج لأفكارهم، وخاصة بين الطبقات الفقيرة والفلاحين،

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المحاورة، ص١٦ – ١٧.

٢ – محمد عرفة، الإسلام أم الشيوعية، ص٥٦.

٣ – محمد هادي الاميني، المصدر السابق . ص٧.

فدعا الى وضع الحلول لمشكلة الإقطاع الذي ينخر في جسد الأمة مما سبب فقرا وجوعا أصاب عددا كبيرا من الفلاحين، على الرغم من أنهم القائمون على زراعة هذه الأراضي الواسعة فتذهب الأموال مكدسة في خزائن افراد قليلين، يقابلهم ملايين من الفلاحين الذين يُعانون الفقر والحرمان حتى ان المتسولين والسائلين احسن حالا منهم[1].

وهناك عامل آخر يجب أن تأخذه الحكومة بعين الاعتبار، وهو القضاء على البطالة من خلال تشغيل الأيدي العاملة، ويتم ذلك بتشجيع الصناعات وتوفير المعدات الزراعية، وسيكون ذلك أسلوبا مساعدا في القضاء على الشيوعية[2].

والحقيقة انه لا يمكن النظر الى الموقف المتشدد للشيخ كاشف الغطاء من الفكر الشيوعي باستغراب أو بتعجب، لانه لا يمكن توقع شيء اخر من عالم ديني كبير غير هذا الموقف، خاصة انه يشعر بالقوة التي يملكه من خلال كثرة مقلديه ومؤيديه وانتشارهم في أغلب بقاع العالم، فكان لابد ان يفعل شيئا، فجاء رده قاسيا وكان أشد قسوة في اصداره التحريم بحق الشيوعية في منشور صادر في ٣ جمادي الأول سنة ١٣٦٧ الموافق ١٩٤٨، والذي عد فيه الشيوعية مبدأ هداما ومحطما ومصادم لكل شريعة ودين، واعتبر الركون إليه من اعظم المحرمات وأكبر الكبائر، داعيا زعماء البلاد ورؤساء العشائر العراقية الى المساعدة مع بقية الناس للوقوف بوجه هذا المبدأ، محذرا في نفس الوقت من المخاطر المستقبلية لانتشار الشيوعية، فانه حينها ((لا يبقى زعيم ولا زعامة ولا دين ولا كرامة))[3].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الثورة، ص١٧.

٢ – المصدر نفسه، ص١٨.

٣ – نص منشور الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المنشور في جريدة الناس الناس الصادر في بغداد،

والجدير بالذكر أن النجف الأشرف بمفكريها ومثقفيها من العروبيين والإسلاميين أدت دورا مهما في مجابهة الفكر الشيوعي، فعلى سبيل المثال فقد شنت مجلة عرفت باتجاهها القومي وبتعاون وثيق مع قوميين عرب حملات قوية على الفكر الشيوعي، واتهمته بمعاداة الإسلام والعروبة، واعتبرته مذهبا يهوديا يدعو الى الإباحية، مؤكدة على أن الهدف الأكبر للشيوعية ضرب العرب والإسلام من خلال نشر الإباحية والقضاء على الأخلاق العربية والمثل العليا ومحاربة الفضائل[1].

وناقش كاشف الغطاء المبدأ الرئيسي الذي تتمركز عليه الشيوعية بدعوتها للاشتراكية وتركيزها على الطبقة العاملة، معتبرا أن قوانين الإسلام التي تنظم شؤون الحياة وتضبط إيقاعها وترعى حقوق الناس، تمثل الاشتراكية الصحيحة التي تقع وسطا بين إفراط الاشتراكية الحمراء (الشيوعية) وتفريط الرأسمالية القاسية. وتأسيسا على ذلك فإن الإسلام أعطى العامل حقه، وأوجب دفع أجور العمال من قبل أرباب العمل دون بخس ما يستحقونه، وفرض للفقراء والضعفاء والعجزة حقوقا في أموال الأغنياء، وجعلهم شركاء لهم دون عسف أو إجحاف بأموالهم، وهو ما يفقه الأغنياء من الفائض من أموالهم عن طريق الزكاة، لكن الإسلام جعل السلطة في توزيع أموال الأغنياء وإعطائهم الحرية والاختيار فيما يدفعون من أموال ولأي فقير يدفعون وبأي وقت يشاءون.

وعلى الرغم من أن الفقير صار شريكا في أموال الأغنياء، لكن ليس له

اعتناق الشيوعية على مستوى العراق على الأقل

١ - ينظر على سبيل المثال الأعداد: السابع، المجلد الأول، السنة الأولى في ايار ١٩٤٨. العدد السابع، السنة الأولى في ٢ ٨ ١٩٤٨. العدد العاشر، السنة الأولى في ٤ ١٠ ١٩٤٨. العددان ١٣، ١٤، السنة الأولى ١٩٤٨.

سلطة الأخذ، بل تبقى السلطة لرب المال. والعلة في ذلك أن الشريعة الإسلامية لاحظت هذه القضية حذرا من تفشي الكسل والاتكال في النفوس وترك الناس السعي في العمل، وبالتالي تغلب البطالة والكسل على المجتمع، فكان المشمول بأموال الأغنياء الفقير الذي لا يستطيع العمل لعذر مشروع، أو كان عمله لا يكفي لسد حاجته، مع الحث من قبل الشريعة للناس على وجوب الكسب والسعي في توفير المال. وليس كما هو الحال في الاشتراكية الشيوعية التي تسلب الغني حريته في التصرف فيما بيده وما استطاع الحصول عليه بجهده، فضلا عن سلبها أفضل نعم الله على عباده، وهي الحرية. وليس كما هو حاصل في الرأسمالية التي تسلب العامل حقه وتبخسه[1].

ولما كانت الاشتراكية الشيوعية تتفاخر بكونها تهتم بمساعدة الضعفاء والمحتاجين وتقديم العون للمدينين الذين لا يستطيعون وفاء ديونهم، وتقوم بالإنفاق على المشاريع الخدمية التي تهدف المصلحة العامة، فإن الإسلام أولى هذا الجانب أهمية فشرع على مساعدة الفقراء والمحتاجين وتقديم العون للمدينين، وكذلك الإنفاق على المشاريع التي تهدف المصلحة العامة، كبناء القناطر والمدارس والمعاهد والمعابد وتعبيد الطرق وغيرها من الخدمات[2].

ثم يقدم الشيخ كاشف الغطاء الجانب الأكثر اشراقا في الإسلام الذي افتقدته الشيوعية بتركيزها بشكل أساسي على الجانب المادي، والمقصود هو عناية الإسلام للجانب الروحي، مضافا إليه عنايته للجانب المادي، ففي الإسلام الفوائد الاجتماعية والتأليف بين الطبقات وتأكيده على تعاطف الناس بعضهم بعضا وقطع دابر الفساد وغرس بذور المحبة بين الأغنياء والفقراء.

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الفردوس الأعلى، ص١٨٣ – ١٨٤.
٢ – المصدر نفسه، ص١٨١.

فالغني يدفع ويساعد الفقراء بطيب خاطر وشعوره بأنه قام بواجبه نحو الله تعالى، وأما الفقير فيأخذ من غير ذلل وشعور بالحرج. ومن هنا كانت الشريعة الإسلامية شريعة تتسم بالعدل والفضل. ويقول في ذلك: «فلا قائل يقول لهذا الشاب الطائش المخدوع بتلك الشيوعية الحمراء البشعة السوداء، انطلبون الاشتراكية أعلى وأصح من هذه الاشتراكية، المحكمة العادلة التي توسع على الفقراء والمحاويج ما يرفع حاجتهم ويحفظ للأرباب الأموال والأغنياء مكانتهم وحريتهم ولا تضايقهم ولا ترهقهم ولا تحرم العاملين ثمرة تعبهم ولا تجعلهم كآلة ميكانيكية أو كالبهائم ليس لها إلا علفها ومعلفها»[1].

وإذا كان الشيخ قد تصدى للأفكار الشيوعية بسبب تعرضها مع الفكرة الدينية، فالمرجح أن دعوته للوحدة العربية تتعارض مع الفكر الإقليمي والشيوعي، فكان سببا في تصديه لها ولكن يجب أن لا يغفل موقف الشيوعية بتأييدها قرار تقسيم فلسطين متبعة الموقف السوفيتي من نفس الموضوع، وهو الموقف الذي رفضه الشيخ كاشف الغطاء[2].

رابعا : موقفه السياسي من الاستعمار

منذ البداية نظر الشيخ الى القوى الغربية باعتبارها قوى استعمارية تهدف الى التسلط والسيطرة على البلاد العربية والإسلامية، كما مر في فصل سابق، فإنه نتيجة لهذا التخوف من هذه القوى الاستعمارية، فانه وقف مدافعا عن العروبة والإسلام، داعيا الى اليقظة والحذر، رافضا الطروحات الغربية ونشر مدنيتها في البلاد الإسلامية، باعتبار ان ذلك غزو ثقافي

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، الفردوس الاعلى، ص١٨٣ – ١٨٤

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مثل أعلى في الإسلام، ص١١٢

يستهدف تمهيد السبيل لفرض النفوذ والسيطرة والقيام بعمليات التدمير للثقافة الإسلامية ونهب خيرات الشرق[1].

وقد عد الشيخ ان كل ما يعانيه العراق والوطن العربي من تخلف وضعف وتمزق للوحدة الوطنية وضعف الروح القومية هي نتيجة مباشرة للاستعمار، الذي يعمل بكل قواه على نشر ثقافته وفكره الذي يتعارض مع الروح العربية الإسلامية، مستهدف من وراء ذلك إفساد الأخلاق وسلب العقيدة وانتزاع الإيمان، ليتمكن بعدها من السيطرة واستغلال ثروات البلاد العربية وإمكانياتها[2].

وكان أول من اصطدم به ونبه إليه الاستعمار البريطاني معتبرا إياه السبب الأول فيما أصاب العرب من ويلات ونكبات، فعبّر عن ذلك شعرا ضمن قصيدة حول الاستعمار :

كم نكبة تحطم الإسلام فيهـا والعـرب

والانجليـز أصليهـا فلا تجدهم السبب

بل كل ما في الأرض من ويلات وحرب

هم أشعلوا نيرانها وصيروا الناس حطب[3]

ونبّه الشيخ العرب الى أن الاستعمار يحاول تقوية سيطرته وتقويده بأي طريقة كانت، فهو يستغل الانقسام الداخلي والمشاكل والتضارب بينهم ويعتبرها الفرصة السانحة له. وعلى الرغم من أن الاستعمار الغربي شرّه على العالم كله، لكنه أقسى وأبشع وأكثر خداعا ومكيدة مع العرب، فقد عمل

١ -- مراجعة فصل الاصلاح ضمن هذا البحث للاطلاع على تفاصيل اكثر

٢ محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العربي ص٤٧.

٣ -- ديوان شعر مخطوط بخط محمد حسين كاشف الغطاء، موجود عند ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء.

على قلب الفضائل رأسا على عقب، وبدّل الاصلاح بالفساد والخير بالشر والسعادة بالشقاء، حتى امسى العالم يعاني من عواقبه، ولم تعد دولة في الشرق العربي وغربه الا وقد فرض الاستعمار عليها سيطرته[1].

ويعطي الشيخ الصورة الحقيقية للاستعمار وقدراته وامكانياته الواسعة وأساليبه الشيطانية، فالاستعمار قد سخر ادارات ووزارات ومدارس واساتذة وخبراء ليتمكن من تحقيق أهدافه وفرض سيطرته واستمرارية البقاء في النهب واستغلال ثروات البلاد المستعمرة[2]. ويوضح أساليب الاستعمار البريطاني القديمة في المكر والخداع مع العرب وبعد ما فعلوه معهم ومع زعمائهم من الغدر. ومازال البريطانيون مستمرين في نفس النهج المخادع، فقد ساعدهم أمير المحمرة (الشيخ خزعل)[3] أيام الحرب العالمية الأولى، ولكن البريطانيين بنهايتها سلطوا عليه السلطة الفارسية التي أزالت الحكم العربي في المحمرة وقتلوا أميرها، ووقف ((الشريف حسين))[4] في الحجاز الى جانبهم ضد الأتراك وأعلن ثورته عليهم عام ١٩١٦، وكان جزاؤه بعد تلك المواثيق ان نفوه الى جزيرة قبرص فمالطة فقبرص، ثم كان ولده ((فيصل الأول)) الذي مات في أوربا في ظروف غامضة في عام ١٩٣٣، والمرجح

١ – محمد حسين كاشف الغطاء. مثل العلياء في الاسلام لا في لحسود. ص٤٤

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء. في السياسة والحكمة. ص٩٦

٣ – الشيخ خزعل الكعبي. وفي ١٩٢٥. مير امرة المحمرة العربية عند البريطانيون وبعدوه مع بسط نفوذه عام ١٩٢٥ والسيطرة على امارته في المحمرة. ينظر علي الحمو. المحمرة امارة عربية. دار الحرية للطباعة. بغداد ١٩٧٢. ص٦٥. ص٧٥.

٤ – الشريف حسين بن علي (١٨٥٥ – ١٩٣٠م) شريف مكة يرجع نسبه الى الرسول. ص. فهو من اسرة اشراف بولو حكم الحجاز بالوراثة. ثار على العثمانيين ١٩١٦ مطالبا بالاستقلال للبلاد العربية بالتعاون مع البريطانيين الذين خذلوه في النهاية ونفي الى جزيرة قبرص بعد اغتصاب علي حكمه من قبل آل سعود. ١٩٢٥ وتوفي هناك. خورج انطونيوس. اليقظة العربية. ص١٤٠. ص٤٥٦.

أنهم وضعوا له السم في الطعام. اما ((غازي)) فلعنة الله على العمود الكهربائي الذي صدم سيارته وقصم هامته[1]. ويفرق الشيخ بين ما تعنيه لفظة الاستعمار وبين حقيقته، فلفظة ((الاستعمار)) تعني ضمن ما تعنيه الاعمار والبناء والتشييد وتحقيق الاصلاح، لكن المقصد الحقيقي للاستعمار عكس ذلك. وهنا يصف الشيخ الاستعمار ((باللص)) الذي يدخل البيوت ليسرق وينهب وصاحب الدار ينظر دون ان تكون له القدرة على الرد، ولذا صاح فانه يخشى على حياته. ودائما ما يبرر ((اللص)) عمله بأن الغرض منه اعمار الدار وصونها من الخراب، ولذا ثار اهل الدار وارادوا اخراج ((اللص)) فاتبعه بالحنين والنار[2].

يعتبر الشيخ أن للاستعمار اساليب شيطانية، فهو يغير من اسمائه حسب الحاجة والظروف دون تغيير في الجوهر، فهو يتخذ لنفسه (الاستعمار) اسماء متعددة لمعنى واحد هو السيطرة، فمن استعمار الى انتداب الى حماية مع استقلال مزيف يعطوه للشعوب في استعمار مغلف[3]. لذا شكك الشيخ كاشف الغطاء بالاستقلال الذي اعطاه الاستعمار للعرب، واعتبره استقلالا شكليا، وليس هناك قطر عربي يتمتع باستقلال حقيقي[4]، ليس للاجانب عليه سلطان، حتى البدو والقبائل الرحل في البوادي واعراب القفار والصحاري يتذوقون مرارة الاستعمار[5].

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، امل العلياء ص٦٥. للاطلاع على تفاصيل اكثر حول مقتل الملك غازي ١٩٣٩ ينظر: رحيم حسين الخطاب، المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي، ط١، مطبعة الاديب، بغداد ١٩٨٥، ص١٩ – ٥٣.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، الحوار مع المستشرقين، ص١٢

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، امل العلياء ص١٨

٤ – المصدر نفسه، ص١٩.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص١٠٨

ودعا الشيخ الشعب العربي في نداءه اليه للانتفاض والتخلص من السيطرة الأجنبية بقوله: ((أنتم للبلاد وهي لكم، انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد أسلافكم، تعاشروا بعضكم مع بعضكم بروح الحنان والرحمة، والإخاء والمودة، وصكوا جباه المستعمرين الذين يريدون استعبادكم بصخرة الإنكار والشدة والقوة، كونوا كأوائلكم ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[1] [2]))[3].

تطرق الشيخ الى الاستعمار الفرنسي لأقطار الوطن العربي في شمال إفريقيا (تونس، والجزائر، ومراكش) مذكرا بالجرائم والقسوة التي يتبعها ضد الشعب العربي هناك، ووجه نداء الى الأمم المتحدة للتصدي للأعمال ((الوحشية)) التي تصل الى أعلى مراتب الظلم التي يقوم بها الفرنسيون، إذ وصفها ((إنها خالية من الرحمة))[3]، وحيا الشيخ الشعب الذي يناضل من أجل حقه متسلحا بالإيمان والإخلاص[4].

خاطب الشيخ السفير الأمريكي في العراق (برتون بري PROTON BERY)عام ١٩٥٣ بقوله: ((هاهي فرنسا حليفتكم وحليفة الانكليز تصب صواعق الحديد الجهنمية على أحرار العرب في الجزائر وتونس ومراكش ظلما وعدوانا، فلماذا لا تنتصرون لهم وتمنعون فرنسا من هذا الظلم الفظيع))[5].

وعندما رد السفير الأمريكي بأن فرنسا عملت على تطوير هذه البلدان

---

١ – القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية ٢٩.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٨٦.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المحاورة مع السفيرين، ص١٢.

٤ – المصدر نفسه، ص١٢.

٥ – المصدر نفسه، ص١٤.

واعتنت شعوبا بعد أن كانوا فقراء، رد الشيخ على هذا المنطق الغريب أن العرب لم يغتنوا بأموال باريس ومارسيليا، وإنما من بركات بلادهم وخيراتها التي نالت فرنسا منها الألف وتعطيهم الواحد والشعب العربي لم يغتصب أرضا فرنسية أو ينهب مالا منها حتى تحاربه، فالفرنسيون هم المحتلون الغاصبون[1].

بينما كان العرب يعانون من «كابوسين» هما الاستعمار البريطاني والفرنسي حتى دخل الساحة استعمار جديد بشكل جديد مختلف عن سابقيه هو الاستعمار الأمريكي، الذي جاء بأساليب استعمارية جديدة تتمثل بسياسة التحالفات والدفاع المشترك والمساعدات العسكرية والفنية، وهي حيل يخفون بها أطماعهم بالبلاد العربية[2]. وكان الولايات المتحدة الأمريكية أرادت بذلك بلوغ الأهداف نفسها التي بلغها الاستعمار القديم باستخدامها وسائل جديدة تبدو في الظاهر ملائمة لروح العصر، فكان من مظاهر هذه الأساليب التي جاءت بها الولايات المتحدة تشكيل الحكومات الصورية، وإعادة تجميع الحكومات بواسطة دولة استعمارية وربطها بمحالفات ودمجها بتكتلات اقتصادية وتقديم القروض والمساعدات المالية[3].

ويؤكد الشيخ أن الولايات المتحدة بدخولها ميدان الصراع على النفوذ والسيطرة على الأقطار العربية لا تقنع بالشيء اليسير، فهي تريد كل البلاد العربية تحت نفوذها. ولهذا السبب فإنها راحت تروج المواعيد والأقاويل الكاذبة، فقدم المساعدات المالية والأسلحة الرمزية والقواعد العسكرية، وعلى

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الحوزة مع المدنيين، ص١٤

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص١٨.

٣ - برنارد كوزيفر، الاستعمار الجديد، ترجمة جمة الترجمة في المكتب التجاري، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٤، ص٢٦ - ٢٧.

الرغم من ذلك فإن وعود أمريكا لم تحقق للعرب أية منفعة أو فائدة، فالولايات المتحدة تمثل الأسلحة الحقيقية بدون قيد أو شرط إلى الكيان الصهيوني لقتال العرب، أما العرب فتعطيهم الأسلحة الرمزية والقديمة، بقيود وشروط أن لا يقاتلوا الكيان الصهيوني (إسرائيل)[1].

وتساءل الشيخ باستغراب قائلاً: ((ما ندري إذا لم تقاتل به إسرائيل فمن تقاتل وأيّ عدو لها أمرّ وأدهى من إسرائيل، ومن خلق وأنشأ دولة إسرائيل. نعم تقول أمريكا بلسان الحال الذي هو أبلغ من لسان المقال أعطيكم السلاح على أن يقاتل بعضكم بعضاً حتى تهلكوا جميعاً))[2].

والحقيقة أن الولايات المتحدة اعتمدت على الكيان الصهيوني وحكومة السعودية في صراعها مع بريطانيا، لمد نفوذها وهيمنتها على المنطقة العربية بعد خروجها قوية وذات إمكانات هائلة من الحرب العالمية الثانية، فبدأت في عام ١٩٤٩ بتحقيق أطماعها في المنطقة[3].

ويحلل الشيخ كاشف الغطاء بشكل دقيق دوافع الدول الكبرى في التصارع والتقاتل فيما بينها من أجل السيطرة ومد النفوذ. فحقيقة الأمر أن كل واحدة من هذه الدول تشعر بأن لها القوة لسيادة العالم وأن أطماعها لا تتوقف عند حد، فتحاول كل دولة أن تستحوذ على أكبر منطقة نفوذ، فيحدث السباق في ميدان المطامع الاستعمارية وتجيد كل دولة نفسها في سبيل الوصول إلى أهدافها بحرص كبير على التفوق وجشع إلى الغلبة والاثرة، ولأجل أن تحقق هذه الدول أهدافها في السيطرة في مجال صراعها مع

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٨٦.

٢ – المصدر نفسه، ص٨٦.

٣ – هنري كمود، إلى أين يسير الاستعمار الأمريكي، ترجمة بدر الدين السباعي، دار اليقظة العربية، دمشق، بلا تاريخ، ص٣٠١.

بعضها، فإنها تلجأ بخبث الى استغلال العلم وتسخيره لخدمة اغراضها التسلطية. فتقوم بتشجيع الاختراعات وتطويرها في ميدان الأسلحة لتزداد قدرتها على الابادة. وهذا الأمر يولد الفزع وعدم الاستقرار عند البشرية التي تزداد مخاوفها بتزايد حدة سباق التسلح الذي لا يعلم نهايته[1].

ويعطي الشيخ دليلا قويا على فعل الاطماع الاستعمارية في ابادة البشرية، وكان ذلك واضحا بضرب مدن اليابان في الحرب العالمية الثانية بالقنابل الذرية في اب ١٩٤٥ من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، مما ادى الى هلاك الالاف من الناس الابرياء، على الرغم من أن الولايات المتحدة تدين ((بالمسيحية)) التي تدعو الى السلام والتسامح كبقية الأديان. ولكن أطماعها وغدرها كان دافعا لهذا الفعل البعيد عن الأخلاق والقيم الانسانية ومخالف لكل الأعراف والأديان بما فيها البوذية والبراهمية والتي هي أيضا تدعو للسلام[2].

ولكن الشيخ يعترف بوجود غريزة حب السيطرة والتنافس جبلت عليها النفوس واتصهرت بها العقول، فأصبح من الصعوبة التغلب على هذه النزعات التي تقود الى السعادة، ولكن الوصول الى ذلك لا يكون محصورا باستعمال القوة العسكرية وسياسة البطش والعدوان والحروب التي تؤدي الى ابادة الجنس البشري، بل ان هناك مسلكا اخر هو طريق العدل والإحسان، فبدلا من أن تلجأ الدول الكبرى الى فرض هيمنتها بالقوة، ولم لا تلجأ الى طريق الإصلاح والعمل الصالح وخدمة البشرية بتسخير العلوم والمكتشفات الحديثة لما ينفع ويحقق الرخاء والاستقرار، بدل الحروب والصراع العسكري، فالشعوب المستعمرة لا ترضخ، بل تضطر الى الانتفاضة والثورة

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة، ص٦٦.

٢ – المصدر نفسه، ص٥٦.

على المستعمر مطالبة بالاستقلال، فتكون بذلك الحرب سجال غير متناهية الا بزوال الاستعمار[1].

وحذر الشيخ كاشف الغطاء من حرب عالمية ثالثة ستكون اشد تدميرا واكثر مأسي وأقسى على البشرية من سابقتيها، لاسيما بعد كل هذا التطور المذهل في اختراع وصناعة وسائل الدمار الحديثة، كالصواريخ والقنابل الذرية والهيدروجينية، فإذا لجأت الدول المتحاربة الى استعمال هذه الأسلحة كان الخراب والدمار والمآسي للبشرية[2].

قامت الولايات المتحدة الأمريكية أساسا على القوة البشرية الإفريقية التي جلبت اليها من تجارة الرقيق واستعباد الملايين من البشر، الذين نقلوا اليها بالإكراه والقوة وقلعهم من جذورهم وأراضيهم وتحويلهم الى عبيد يعملون لخدمة مصالح الرأسماليين الأمريكيين في الزراعة والصناعة[3].

ومع كل ما قدمه هؤلاء من خدمات كبيرة في قيام دولة مرفهة وغنية، فإن هؤلاء السود يعاملون فيها بالتمييز العنصري وحرمانهم من كثير من الحقوق الإنسانية، فهم لا يدرسون في مدارس البيض ولا يسكنون مع البيض في منزل واحد ولا يسمح لهم بالنزول في الفنادق التي ينزل بها البيض. وكذلك فإن العامل الأسود (الزنجي) يأخذ أجرا أقل من العمل الأبيض. ويضيف الشيخ أن الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب من أجل تحرير العبيد في الجنوب لم تنفع الزنوج شيئ، بل ادت الى مشاركة اهل الشمال في استعباد الزنوج.

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص٦٧ – ٦٨.

٢ – المصدر نفسه، ص٥٥.

٣ – محمد رضا كاشف الغطاء، تقويم العصا في الرق والنخاسة والخصاء، دار الذخائر، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨٥.

ويستنتج الشيخ من ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية باضطهادها الزنوج، فهي تكشف عن الزيف والكذب في مزاعمها بالدفاع عن حرية الشعوب وفي السعي لتقدمها ورفاهيتها وسعادتها، وهي ترمي من وراء ذلك خداع الشعوب وقهرها ونهب ثرواتها[1].

ويؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية هي وريثة الاستعمار البريطاني الذي علم هذه الدولة فنون وأساليب الاستعمار واستعباد الأمم، فكان ان ساعدت الولايات المتحدة الأمريكية بريطانية في الحربين العالميتين الأولى والثانية بعد أن حقق «الألمان» انتصارات على البريطانيين، وهكذا خرجت الولايات المتحدة من عزلتها تريد السيطرة على العالم كله بشراهة ونهم[2].

والواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تضرب حول نفسها نطاقاً من العزلة النسبية وعدم التورط في المشاكل الدولية، لكنها بعد الحرب العالمية الأولى حققت أعلى مراحل تطورها الاقتصادي واغتنت كثيراً، بينما كانت البلاد الأوربية تعاني من التدهور الاقتصادي، فبدأت بعد ذلك بالتوسع والتدخل في الشؤون الدولية لشعورها بقوتها وتفوقها[3].

رفضه لسياسة الأحلاف والمعونات العسكرية:

بعد أن استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية التغلغل في منطقة الشرق الأوسط والبلاد العربية وبضمنها شرعت في اتخاذ الخطوات الكفيلة بتحقيق أهدافها السياسية، والاستحواذ على بلدان هذه المنطقة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، بإقامة تكتل عسكري على غرار التكتل الذي أنشأته في غربي

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، الثل العلي، ص٢٠.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٠.

٣ - هيرلي كيوف، المصدر السابق، ص٣٤ - ٤١.

أوربا، وقد كافحت بريطانيا في البداية النزعة التوسعية الأمريكية على حساب مناطق نفوذها، الا أنها انتهت الى الموافقة على مشروع قيادة الشرق الأوسط، بسبب تبعيتها الى الولايات المتحدة الأمريكية والاحتفاظ بجزء من هيبتها ونفوذها في المنطقة[1].

إن الأسلوب الأمريكي الاستعماري الجديد والمتمثل بالاتفاقيات العسكرية موجه بشكل رئيسي ضد الجبهات الداخلية للأمم والشعوب التي تسعى لنيل الاستقلال وكسر قيود الاستعمار، فكانت المساعدات والتجزئة قناعا يخفي وجه الاستعمار الحقيقي الراغب في السيطرة على ثروات الأمم المستعمرة[2].

وفي وزارة محمد فاضل الجمالي الثانية عام ١٩٥٤ سعت الولايات المتحدة وبريطانيا للحلف ((الباكستاني -التركي))[3]، لأن دول الحلف بما فيها العراق تقع ضمن منطقة نفوذهما، وفي المنطقة من الموارد النفطية ما يهمها حمايتها. والسبب الأكثر معقولية هو احكام الحصار على الاتحاد السوفيتي، لكن المشروع جوبه بمعارضة شعبية وطنية وقومية قوية، فاخفقت الوزارة في تمشية هذا المشروع[4].

رفض الشيخ كاشف الغطاء المشروع الذي رفضته الجماهير المثقفة العراقية والحركات الوطنية، منطلقا من رفضه الشديد للتحالف الذي تضع

١ – عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، جـ٩، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م، ص٢٠٩.

٢ – برنان كوزير، المصدر السابق، ص٢٧.

٣ – فشل تمرير هذا المشروع في عهد الوزارة الجمالية الثانية، فجرى السعي لتحقيق ذلك فكان حلف بغداد عام ١٩٥٥. ينظر: الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، جـ٩، ص٨٩.

٤ – الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، جـ٩، ص٨٩.

لمساندة القوى العربية وكونه ضارا بالمصالح القومية[1]، ومنها القضية الفلسطينية. وشخص الشيخ مرامي هذا التحالف واهدافه الحقيقية، فاكد بان الاستعمار في العراق تقع كل مصالح الدولة تحت سيطرته، وهو المالك المطلق فلا تسير الامور الا حسب رغباته وارادته وطوع مشورته، وبخاصة في النواحي الاقتصادية والشؤون المالية. فالمهندسون والفنيون والمدراء كلهم بريطانيون، وتخصص لهم رواتب ضخمة من مالية العراق، راتب واحد من هؤلاء يبلغ مائتي دينار عراقي شهريا فاكثر، اما العامل العراقي يكد ويكدح من الصباح الى المساء بأجر يومي لا يتجاوز الربع دينار. وهكذا فكل نواحي العراق وغيره من الاقطار العربية تحت قبضة المستعمر[2]. فيتساءل الشيخ عن الباعث والدواعي الى هذه المحالفات والمعاهدات العسكرية والدفاع المشترك مؤكدا ان هناك أغراضا أوسع واكبر. وقد اجمل ذلك بقوله: ((نعم لعل لهم بذلك غرضين مهمين، الغرض الاول: كبح جماح يقظة الأحرار ونهضة الشعوب العربية بالقوة والسلاح والثكنات والجيوش الاجنبية، وبالتالي بقاء سيطرتهم الاقتصادية والمالية، بل زيادة منافعهم واستغلالهم. والغرض الثاني: هو تقديم رجال العراق لميادين الحرب، وجعل الشباب من الجيش العراقي دريئة ووقاية للمستعمرين اذا وقعت الواقعة وقامت القيامة وداهمتهم القوى اليسارية[3] بمنافعها وطائراتها وقنابلها الذرية وغير الذرية))[4].

---

١ - الغرض الرئيس هنا هو الناصر على توقيت دخول العراق للتحالف التركي - البريطاني لان ذلك يقوي الموقف البريطاني ويأجل حلاء قواته من مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء. كل ذلك في لقاءه مع محمد فاضل الجمالي - الحسني، المصدر نفسه، ج٩، ص٩١.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة، ص٣٢.

٣ - يقصد الشيخ بالقوى اليسارية الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية المتحالفة معه.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، اصل الشيعة، ص٣٢.

جاء موقفه هذا من أن الجنود العرب واليهود في الحرب العالمية الثانية كانوا يقاتلون في المواقع الأمامية ضد الجيوش الألمانية، لاسيما في معركة العلمين وتونس، وكان هدف البريطانيين من ذلك – حسب رايه – ان لا يبقى للعربي مجال للخلاص، فإن البريطانيين وراءهم والألمان أمامهم، فهم بين نارين، وأيهما يقتل العربي أو الألماني فيو نصر للبريطانيين. وعلى هذا فإن على حكومة العراق أن تكون حكيمة ولا ترمي بأبناء العراق وذخيرة البلاد في خدمة مصالح الآخرين[1].

وعد الشيخ أن اعتراف تركيا بالكيان الصهيوني وإقامة علاقات تجارية معه جعلها عدوة للعرب والمسلمين، لانها باعت شرف استقلالها بالأموال الأمريكية وصارت الة بيد الولايات المتحدة تحركها كيف تشاء. وقال بان ذلك سيؤدي في المستقبل الى تنامي الحركة الإسلامية المعارضة لسياسة التقارب مع أعداء العرب والمسلمين والرجوع بتركيا الى سياسة التآخي الإسلامية والتقارب مع العرب.

اما باكستان، فيرى الشيخ ان الشعب الباكستاني المسلم سيقوم حسب عقيدته الدينية السليمة بفسخ هذه المعاهدات العسكرية الاستعمارية[2].

ومن هذا المنطلق فإن دخول العرب في هذا الحلف يكون بمثابة سهم موجه الى قلب العروبة له ثلاث مقاصد هي :-

١- انه إماتة لقضية فلسطين.

٢- تمزيق لوحدة العرب.

٣- نقمة الشعوب العربية وثورتها ولعنة الأجيال[3].

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص٣٣

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص٢٣

٣ – المصدر نفسه، ص٢٣ – ٢٤.

رفضت الحركة الوطنية مشروع الحلف على نطاق واسع، وأعلنت الأحزاب معارضتها لنية الحكومة الاشتراك فيه، ودعت الى إبعاد العراق عن ساحة التحالفات والمعاهدات العسكرية، وإبقائه بعيدا عن ساحة الصراع الدولي[1]. واعتبرت الحركة الوطنية أن الخطوة الأولى هي ضم العراق للحلف، ومن ثم إدخال الأردن وسوريا ولبنان، مع إقحام الكيان الصهيوني في وسط الدول العربية ضمن هذا التحالف، وبالمحصلة النهائية أن زج العراق بهذه الاستراتيجية التركية يعني تسليمه للخطر وتهديد كيانه ومستقبله[2].

حمّل الشيخ كاشف الغطاء بريطانيا والولايات المتحدة مسؤولية اغتصاب الصهاينة لفلسطين وتشريد الشعب العربي الفلسطيني، لذا هما ومن سار على نهجهما أعداء للإسلام، وبرغم أن تركيا والباكستان دولتان مسلمتان إلا أنهما خرجتا عن حضيرة الإسلام، لأنهما يعينان الظالم على الاعتداء على العرب وإخراجهم من أرضهم، حسب الآية الكريمة: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[3].

ورحب الشيخ بموقف حكومة الهند الرافض لهذه المشاريع الاستعمارية واعتبر أن اقامة العلاقات الودية معها اولى من الذين يعادون العرب ويقفون ضد مصالحهم[4].

---

١ – عبد الامير العكام، المصدر السابق، ص٢٩٥.

٢ – قيس عبد الحسن الياسري، الصحافة العراقية والحركة الوطنية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص٢٨٥.

٣ – القرآن الكريم، سورة المائدة الاية (٥١).

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، مثل العيان، ص٥٧.

وعندما قررت الحكومة الأمريكية تقديم مساعدات عسكرية للعراق بطلب منه، ومن ثم توقيع اتفاقية الأمن المتبادل بين الحكومتين عام ١٩٥٤[١]، أثارت تلك المساعدات الأحزاب والقوى الوطنية العراقية واعتبرتها تقييدا لسيادة العراق وربطه بالمحالفات العسكرية الاستعمارية[٢].

كذلك رفض الشيخ كاشف الغطاء مبدأ الاعتماد على المعونات العسكرية الأمريكية للجيش العراقي، واعتبر ان ذلك يفقد سيادة البلاد ويقودها الى التبعية. ورد على الذين يبررون قبول المساعدات الأمريكية على أساس قبول بريطانيا وفرنسا والدول الأوربية مثل هذه المساعدات ضمن حلف الأطلسي بأن هذه الدول فقدت استقلالها وأصبحت تابعة لأمريكا في سبيل مصالحها الاستعمارية. ومع كل هذا فان هناك احزابا في هذه الدول أخذت تطالب بفك ارتباط حكوماتها بالسياسة الأمريكية[٣].

ونظر الشيخ للموضوع بمنظار اخر، مقدما اعتراضه على الاعتماد بالتسليح على الدول الاستعمارية لوجود تعارض بين أهداف الاستعمار الذي يعتبر العراق عدوا ويحاول فرض سيطرته عليه، وبين اهداف العراق التي ترمي الى الاستقلال والتخلص من السيطرة الاستعمارية. فكيف يطمئن الاستعمار بتسليح عدوه؟! ولكن بالإمكان شراء الأسلحة من الدول الغربية اذا ظهرت فيها حكومات تملك نوايا حسنة، وتبين تغيير سياستها ايجابيا نحو العرب بشكل واضح. أما اذا أرادت الحكومة العراقية تسليح الجيش العراقي حقيقة، فعليها الاعتماد على دخلها القومي وتنظيم ثرواتها بشكل يضمن لها

---

١ – الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، جـ٩، ص٩٣.

٢ – عبد الأمير العكام، المصدر السابق، ص٢٩٣.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، امل نعيا، ص١٦.

شراء أسلحة حقيقية، وليست رمزية تأتي عن طريق المساعدات[1].

في الوقت الذي يرفض فيه الشيخ سياسة الأحلاف والمعونات العسكرية، فإنه يدعو الى اتباع سياسة ايجابية تضمن سلامة العراق وسيادته وابعاده عن ساحة الصراع الاستعماري. وما المساعدات إلا فن استعماري جديد تستخدمه الولايات المتحدة الامريكية، يستهدف اعادة ترتيب أوراق سيطرتها بشكل يضمن لها البقاء[2].

إن التعاون يجب ان يكون بين الدول العربية نفسها ضمن اتحاد عربي أو وحدة عربية، كبديل لسياسة التحالف مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية[3].

وكان من الأفضل للمسئولين العرب بدل الرحلات التي يقومون بها الى الأقطار النائية البعيدة أن يجعلوا سفراتهم الى الأقطار العربية لجمع كلمتها وإصلاح شؤونها وعقد الاتفاقات فيما بينها، بدل عقد المعاهدات والاتفاقات مع دول بعيدة ليس فيها أي خير أو منفعة للعرب، بل هي شر عليهم وتمزيق لوحدتهم[4].

وإن السياسة الأمثل لعموم العرب والعراق منهم هي اتباع سياسة الحياد، والابتعاد عن اقامة التحالفات مع قوى استعمارية تزج العرب معها في حروب استعمارية مهلكة تضر العرب ولا تنفعهم[5].

ويعطي الشيخ لدعوته لسياسة الحياد بعدا إسلاميا، ويوظفها بهذا

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة وحكمها، ص٨٥.

٢ – المصدر نفسه، ص ٨٦.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص٢٣.

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة وحكمها، ص٨٧.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا، ص١٧.

الإطار، معتبرا أن سياسة الحياد هي سياسة دعا إليها الإسلام وتجذرت في المفاهيم السياسية للإسلام، مستندا في ادعائه على آيات من القرآن الكريم، ويستدل الشيخ من هذه الآيات على وجوب الركون في الوسط، فلا مع اليسار ولا مع اليمين[1]. وهذه الآيات الكريمة هي: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾[2]، ﴿شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾[3]، فالأمة العربية أمة وسط لها مميزاتها وسياستها الخاصة بها، وليس من هذه السياسة إقحام الأمة في تحالفات مدمرة مع أعدائها[4].

خامسا : القضية الفلسطينية ...مواقفه منها وآراؤه فيها

ترجع العلاقة المؤرخة للشيخ كاشف الغطاء بالقضية الفلسطينية الى عام ١٩٣١ بحضوره المؤتمر الإسلامي في مدينة القدس[5]، والذي شارك فيه الشيخ مع ((١٥٠)) شخصية إسلامية من مختلف البلدان الإسلامية بقصد مناقشة شؤون المسلمين عامة وقضية الشعب العربي الفلسطيني خاصة[6].

وقد أثار نشاطه في المؤتمر الإعجاب، لما بذله من مساع حثيثة لتقوية الروابط بين المسلمين وتحقيق الوحدة الإسلامية بالقضاء على الفوارق

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء. المثل العليا. ص٥٦.

٢ – القرآن الكريم سورة البقرة. الآية (١٤٣).

٣ – القرآن الكريم سورة النور. الآية (٣٥).

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء. المثل العليا. ص٥٦.

٥ – كاظم الكفائي. بين جامعة الامام علي كاشف الغطاء في النجف ومجمع البحوث الاسلامية في القاهرة. مطبعة الاداب. النجف. ١٩٧٤. ص٦١.

٦ – محمد حرز الدين. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء. ص٢٧٣.

المذهبية والطائفية التي تشتت جمع المسلمين وتضعفهم[1]. لذلك أجمع المؤتمرون على أن يؤمهم في الصلاة بعد أن طلب منه مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني أن يتقدم إماما للمؤتمرين وبحضور حوالي ٥٠ ألف مصل من الفلسطينيين والعرب، ثم خطب بالمصلين بعد صلاة العشاء[2]، فركز بشكل رئيس على وجوب الوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني في صراعه مع الصهاينة وتقديم الدعم الكافي له، ودعا المسلمين الى الوحدة والاتحاد والالفة والتآخي. ولاقت خطبته الاستحسان والقبول من الحاضرين[3].

استمرت العلاقة الروحية القوية بينه وبين فلسطين حتى آخر ايام حياته، وعرف مدافعا صلبا عن قضيتها داعيا لها في كل مكان يحل به، إذ كان يدعو العرب والمسلمين والعالم الى نصرة الفلسطينيين والوقوف الى جانبهم باعتبارهم شعب اغتصبت أرضه وعرض للظلم من قبل اليهود الصهاينة، فأصدر الفتاوى التي تبيح الجهاد في فلسطين، ودعا الى تقديم الدعم الكامل للقضية الفلسطينية بكل ما يمكن من المساعدة والمعونة، فلا تمر مناسبة أو لقاء مع شخصية عربية أو دولية معروفة إلا وكانت القضية الفلسطينية حاضرة في حديث الشيخ كاشف الغطاء.

وتمحورت نظرته الى هذه القضية على اعتبارات عدة:

الأول: أنها إسلامية باعتبارها جزء من العالم الإسلامي، وفيها المقدسات الإسلامية، فلابد والحالة هذه أن يقف جميع المسلمين الى جانب الشعب الفلسطيني ومساندته، باعتبار ذلك ينطلق من أن الفلسطينيين مسلمون، والدفاع يكون عن أرض إسلامية .. فالصهاينة يمثلون الشرك كله وهم اشبه

---

١ – العلم العربي، جريدة، العدد ٢٥٢، ١ شباط ١٩٣٩.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص١٥.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٤٨.

بالصليبيين، بل أكثر بشاعة لأن هدفهم محو الإسلام من صفحة الوجود، فكما حصل أيام صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس الهجري، فالواجب يدعو المسلمين الى النهضة للدفاع عن دينهم وبلادهم المقدسة[1].

والاعتبار الثاني لفلسطين هو موقعها العربي الاستراتيجي، فهي تقع وسط الوطن العربي الكبير وبمثابة القلب منه، وأن تباطؤ العرب في نصرة الشعب الفلسطيني وقتال الصهاينة في هذه الأرض هو مؤد حتما الى زوال كل البلاد العربية والتهامها قطعة بعد أخرى من قبل الصهاينة، وبالتالي ضياع الوطن العربي الكبير كله ووقوعه فريسة بيد الصليبيين الجدد. فلابد للعرب من الدفاع والقتال، لأنهم بذلك يدافعون عن أنفسهم وبلدانهم[2]. وبالمقابل فإن انتصار الفلسطينيين في قتالهم ضد الصهاينة هو حتما فوز للعرب وخلاصا من ((الذل والخسران والموت المخلد))[3].

وقد شبه الشيخ الدولة الصهيونية بالوباء الخطير الذي ينتشر ويقتل ويفني، والنار الملتهبة التي تحرق ما يجاورها، فما على العرب الا إخماد هذه النار للحفاظ على بلدانهم من الاحتراق[4].

وكان الاعتبار الثالث الذي نظر من خلاله الشيخ للقضية الفلسطينية هي أنها قضية انسانية يشعر كل انسان حر وصاحب ضمير حي بمظلومية الشعب الفلسطيني والمأساة التي تعرض لها، فيكون دفاعه عن هذا الشعب نابعا من الرابط الإنساني، ولهذا فإن قضية فلسطين لا تخص العرب والمسلمين وحدهم، وإنما كل الإنسانية ((النبيلة))[5].

---

١ – لواء الاستقلال (جريدة)، العدد ٢٨١، السنة الثانية في ١٤ مايس ١٩٤٨.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة خطب، ص١٣ – ٢١

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، في الحكمة والسياسة، ص٦٠

٤ – محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا في الاسلام لا في محمدون، ص٧٥

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة خطب، ص١٤

وقد ميّز الشيخ بوضوح بين الحركة الصهيونية والديانة اليهودية، ففي جواب على سؤال وجه له حول الفرق بين الصهيونية واليهودية كان رده بقوله: «اليهودية دين من الأديان الإلهية ورابطة بين الخالق والمخلوق بواسطة نبي من أولي العزم، ذات أحكام وطقوس تمنع الظلم والعدوان وتدعو الى البر والإحسان. أما الصهيونية فهي جمعية سياسية محضة تريد إنشاء دولة وتشكيل حكومة قومية غير مقيدة بعدل ولا قانون، بل اساسها الظلم والعدوان وانتزاع الحق من أهله، ولا رابطة لها مع الله عز شأنه بوجه من الوجوه، بل قائمة على البطش والقوة، فأين هذه من اليهودية الحقيقية. نعم الصهيونية قد اتخذت من اليهودية عنوانا وديناً لها، ولكنها خداع ومكر»[1].

ولكن الشيخ يعود مستدركا معتبرا أن جميع اليهود على الأغلب صهاينة، ويؤكد أن خطر الصهيونية لا يتوقف عند فلسطين فحسب، بل إن خطرها يشمل كل العالم، وهم يقومون بجمع الأموال بكل حيلة ووسيلة ويرسلونها الى إخوانهم في فلسطين للمساعدة في انشاء وطن لهم[2]. ويخاطب كاشف الغطاء المسلمين محركا فيهم روح الحماسة والغيرة قائلا: «أين حميتكم أيها المسلمون، وأين غيرتكم، أين جمعياتكم، وأين جهودكم؟! خمسة عشر مليون كل ما في العالم تلاعبوا بالدول والهبوا نار الحرب بين عامة الأمم مسلمة ونصرانية. المسلمون أربعمائة مليون تغلبت عليهم تلك الفئة الضئيلة، حتى أخذوا أزمة الأمور وقبضوا روح السياسة واستولوا على دفة الحكم»[3].

وكان السبب في ضعف المسلمين أمام هؤلاء الصهاينة لأنهم تخلوا عن

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٤٩.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص٧٧.

٣ – المصدر نفسه، ص٧٨.

روح التضحية بالروح والمال وتركوا الجهاد واعتنوا على الأدعية والأذكار، والإسلام ليس مجرد الصلاة والصيام، وإنما هو البذل والتضحية، فكان ما حدث في فلسطين مثالا على ذلك[1].

وحول النشاط الذي كان يقوم به الصهاينة في العراق في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين[2] وجه الشيخ اللوم الى حكومة العراق الملكية محذرا إياها من عاقبة ما يقوم به هؤلاء بقوله: «إن البلاء عظيم ولا يبقى منكم باقية ولا يذر في الدار ديارا، كل عام بل كل شهر تشد قناطير الأموال من العراق وتذهب الى جمعية صهيون .... اسد الله في أوطانكم! الصهيونية بين أضلاعكم، وهي سوس السياسة والبلاء المبرم والداء الفعال، وأنتم هامدون خامدون ولا تحسون بهذا البلاء العظيم الذي يدمركم بالتلف»[3].

وحذر كاشف الغطاء العرب من الوثوق ببريطانيا وامريكا، فهاتان الدولتان تلهيان العرب بالخيال والأماني عن الواقع المر، وهم يظهرون العرب بمظهر المعتدي والمنتقم، مع علمهم أن العرب لا يطالبون الا بحقهم في فلسطين، وقد كانت بريطانيا المسبب الرئيسي لما حصل عندما ساعدت الصهاينة على إنشاء دولتهم في فلسطين بمعاونة قوية من الولايات المتحدة الامريكية وتشجيع كبير منها. وكانت رؤية الشيخ للموقف ان خلاص العرب من إسرائيل يرتبط بشكل وثيق بالخلاص من الاستعمار، فلو تحقق استقلال العرب استقلالا كاملا وتكونت حكومات عربية نزيهة ومخلصة متعاونة مع بعضها ومتحدة، لتمكنت من التخلص من هذا الخطر الصهيوني، ويمكن

---

١ – سامي الدهان، الامير شكيب ارسلان حياته وآثاره، دار المعارف، مصر ١٩٦٠، ص٣٣٠.

٢ – للاطلاع على النشاط الصهيوني في العراق في هذه الفترة ينظر: صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٧٣ – ١٧٩.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص٧٩.

حينها ضم اليهود الى البلاد العربية ومعاملتهم كمواطنين، أو باعتبارهم من أهل الذمة حسب الشرع الإسلامي[1].

وعندما أصدرت جمعية الدفاع عن فلسطين[2] في ٦-اب ١٩٣٨ بيانا لجمع التبرعات لمنكوبي فلسطين كانت الاستجابة من الشيخ سريعة، فقد أصدر نداء عاما للأمة الإسلامية، عبّر فيه عن خيبة الأمل من مواقفها الضعيفة التي لا ترتقي الى مستوى الحدث، متبعة في مقاومتها للصهيونية طريقا لا يجدي ولا ينفع، هو طريق الاحتجاجات والمقالات، فذهبت كل الاحتجاجات والمقالات من الأقطار الإسلامية سدى منذ عشرين عاما، ولما وجد الصهاينة في ذلك دليلا على الضعف والاستكانة قابلوها بالشدة والرفض والتمادي في الفساد، فلابد للعرب من نبذ هذا الطريق (طريق الأقوال والخطب) والاتجاه الى العمل الجدي والالتحاق بعرب فلسطين والجهاد معهم في سبيل فلسطين، وهو واجب على كل مسلم، فإن من يستطيع الالتحاق بالمقاتلين الفلسطينيين بنفسه فليلتحق بهم، ومن لم يستطع فليمد المقاتلين بالمال. وأما الذين ينشدون الوحدة العربية فإن هذه الوحدة لا تتحقق الا بنصرة فلسطين وإرجاعها الى العرب، فهي قضية موتهم وحياتهم[3].

وأرسلت جمعية الدفاع عن فلسطين في بغداد كتابا الى الشيخ كاشف الغطاء مصحوبا ببرقية من جمعية العلماء بدمشق، يخبرونه فيها بما يقوم به الجيش البريطاني من انتهاك لحرمة المسجد الأقصى واعتدائهم على عرب

---

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا في الإسلام، ص ٧٦.

٢ - تأسست هذه الجمعية عام ١٩٣٦ من قبل عدد من المعنيين بالقضية العربية برئاسة عز الدين القاسمي والحدت من نادي المثنى القومي مقرا لها وكان من أعضائها سليمان فيضي وسعيد ثابت ولهم الدين الواعظ وغيرهم. وقدمت خدمات كبيرة لقضية فلسطين. ينظر: صادق السوداني، المصدر السابق، ص٨٩ - ٩٠.

٣ - كاظم الدجيلي، المصدر السابق، ص٦١ - ٦٢.

فلسطين[1]. فأصدر بيانا يفيض بالحيرة والدهشة من الموقف البريطاني والموقف العربي الضعيف، فعلى الرغم من قيام البريطانيين بهذه الأعمال وقسوتهم مع العرب في فلسطين واصرارهم على الظلم لم يتحرك المسلمون بالرد بجميع طبقاتهم وخمود عزائمهم، فلا يردون إلا بتنسيق الخطب الحماسية وشحن الصحف بالآراء والمقالات وعقد المؤتمرات، وكلما عقد المسلمون مؤتمرا ازدادت البلية على فلسطين واشتدت وطأة البطش عليها، فلا يحسن المسلمون إلا عقد هذه المؤتمرات وتنظيمها واصدار القرارات، ولكنهم لم يعقدوا مؤتمرا واحدا للتضحية والفداء واعلان الجهاد ومشاركة الشعب الفلسطيني قتاله للصهاينة. ثم يتوجه الى الملوك العرب والمسلمين مناشدا ومذكرا إياهم شاحذا لهممهم أن يقتدوا بصلاح الدين الأيوبي والفاتحين العرب الأوائل، فلو كان أحد هؤلاء موجودا لما انتهكت حرمة المسجد الأقصى، ولما كانت النساء العربيات وأطفالهن عرضة لاعتداءات بريطانيا والصهاينة. ويحذر الحكام العرب من ضياع ملكهم اذا استمروا على هذه الحال، وعلى هذا الأساس فليعملوا حفاظا على أنفسهم وملكهم من الضياع، وليتذكروا خروج العرب من غرناطة، موكدا في ذات الوقت أن اهل فلسطين لم يضربهم الجيش البريطاني ومعداته بمقدار ما أضربهم تخاذل العرب وسكوتهم وعدم تقديمهم الدعم الحقيقي الجدي لهم[2].

وفي حزيران من عام ١٩٤٢ صدر تصريح بلتيمور الذي اعلنت فيه الولايات المتحدة الأمريكية في عهد رئيسها روزفلت عن ضرورة قيام دولة يهودية في فلسطين كجزء لا يتجزأ من العالم الحر، وإطلاق الهجرة اليهودية الى فلسطين، وإنشاء جيش يهودي بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية.

---

١ – الهاتف (جريدة)، العدد (١٤٦) في ١١ تشرين ثاني ١٩٣٨

٢ – المصدر نفسه.

وفي ٣٠/ ٨/ ١٩٤٥ أرسل الرئيس الأمريكي (ترومان TROMAN) خطاباً الى الحكومة البريطانية يؤيد فيه فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة لليهود النازحين من ألمانيا، ولذلك تشكلت لجنة بريطانية امريكية لمساعدة ((ضحايا)) النازية بدخول فلسطين[1].

هاجم الشيخ كاشف الغطاء هذا الموقف الأمريكي وعده طعنة لا يمكن السكوت عنها، واعتبر أن ذلك من نتائج خروج امريكا من عزلتها ومحاولتها التغلغل في البلاد العربية، فساعدوا الصهيونية على أصحاب البلاد من الفلسطينيين بحجة أن اليهود شعب مظلوم وضعيف ومضطهد من قبل النازية وليس لهم وطن أو مأوى، وهو تبرير مرفوض من الأساس لأنه يأتي بنصرة المظلوم (حسب ادعاء الولايات المتحدة) بما هو أقسى وأبشع عن طريق تشريد الشعب العربي في فلسطين وإسكان اليهود محلهم. وهذه خطيئة ولطخة سوداء في جبين الشعوب الأمريكية يبقى عارها على الأمريكان والبريطانيين الى الأبد[2].

ورد الشيخ على الادعاءات الأمريكية ومناداتها برفع الظلم عن اليهود بأن أمريكا اذا كانت حريصة على اليهود وتعطف عليهم، فكان الأفضل ان تسكنهم في اراضيها، لا ان ترمي بهم الى أرض فلسطين التي لا تزيد على كفاية أهلها، فضلاً عن أن الفلسطينيين ليسوا بحاجة الى المدنية الصهيونية. وان الولايات المتحدة التي تتظاهر بالعدل وإنصاف الشعوب المظلومة كان المفروض عليها أن تقف الى جانب الشعب العربي في فلسطين، لا مع الصهيونية التي ليس لها حق في فلسطين. وإنها من حق العرب منذ عهد البابليين وزمن حمورابي الى الوقت الحاضر، وانها لم تدخل في حكم اليهود

---

١ – علي امام عطية، الصهيونية العالمية وارض الميعاد، ط١، مطابع الشعب، مصر ١٩٦٣، ص١٨٧ ١٨٨.

٢ – الغري (مجلة)، العدد (١٣١)، النجف الاشرف، ١٩٤٥، ص٥٣.

وسيطرتهم إلا زمن ملوك بني إسرائيل ثم انتزعها الرومان وبعدها استردها العرب[1].

ويعترف الشيخ بالحقوق الدينية لكل الأديان في فلسطين بما فيها اليهود، فيؤكد أن اليهود كانوا منذ أربعة عشر قرنا نزلاء عند العرب ولهم الحق في ممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم عند حائط المبكى، وليس لهم بعد ذلك أية حقوق قومية أو تاريخية، فإن العرب أرباب فلسطين وأصحابها قبل الصهيونية وبعدها[2].

وكشف الشيخ كاشف الغطاء عن حقيقة خداع الحلفاء للعرب عندما وقفوا الى جانبهم في الحرب العالمية الثانية، لكن مسعى العرب قد خاب بوقوف بريطانيا وأمريكا الى جانب الصهيونية ضد حق الشعب الفلسطيني[3].

والحقيقة أن الحلفاء قد خدعوا العرب في الحرب العالمية الأولى أيضا، فبينما كان العرب يقاتلون الى جانب بريطانيا بإعلانهم الثورة ضد الحكم العثماني في عام ١٩١٦، كان البريطانيون والفرنسيون يعقدون الاتفاقات السرية لتقسيم الوطن العربي وإجراء مباحثات سرية مع الحركة الصهيونية، توجت بإعلان بيان (بلفور BILLFOR) وزير الخارجية البريطاني الذي صدر في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧. وأكدت فيه الحكومة البريطانية تبنيها وتعاطفها مع تأسيس ((وطن قومي)) لليهود في فلسطين، مع بذل الجهود لتسهيل هذه الغاية. ثم ساندت الولايات المتحدة الأمريكية البيان، وفي عام ١٩١٨ انضمت كل من فرنسا وإيطاليا لتأييد البيان[4].

١ – الغري (مجلة)، العدد (١٣١)، الثلاثاء تشرين الثاني ١٩٤٥، ص٥٤.

٢ – المصدر نفسه، ص٥٥.

٣ – المصدر نفسه.

٤ – توسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيف البستاني، دار نشره، موسكو، ١٩٧١، ص٤٦٧ – ٤٦٨.

وفى ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود[١]، وكان القرار مجحفا أشد الاجحاف بحق العرب في فلسطين، فقد جعل الأكثرية من سكان البلاد الأصليين الذين يقطنون البلاد منذ أمد بعيد خاضعين لحكم طائفة من الغرباء الذين استوردوا حديثا، مع إعطاء اليهود ٨٤% من الأراضي الزراعية الخصبة، والتي تزرع فيها أشجار الحمضيات، وهي من أهم صادرات البلاد[٢].

كان لذلك القرار أثر سيء عند العرب، ومن بينهم الشيخ كاشف الغطاء، فأصدر نداء بهذه المناسبة الى العرب والمسلمين حملهم فيه مسؤولية ضياع فلسطين، من خلال تراخيهم وتهاونهم وشيوع الضعف بين صفوفهم، وعدم اتخاذهم السبل الكفيلة بإرجاع الأرض الإسلامية من يد الصهاينة. فكان أن أصبحت ((محنة فلسطين من المسلمين أعظم من محنتها من الصهيونية، وسر هذه العقدة أن المسلمين حتى الآن تمرّ عليهم قضية فلسطين كقصة من القصص التأريخية، يمرّون عليها لاهين سادرين تطرق أسماعهم ولا تمضي الى عواطفهم ولا تخرق شغاف قلوبهم))[٣].

ويشدّد الشيخ من لهجته محذرا وموقظا في العرب والمسلمين روح الشعور بالخطر من أن مصيرهم سيكون مصير أهل فلسطين لو انهم سكتوا وتركوا فلسطين، ويقول في ذلك: ((ولا يعرفون أن البلية لو كانت تخص فلسطين لربما هان الأمر وخف الرزء، ولكن الخطر والغرض هو استملاك جميع البلاد العربية والقضاء على الإسلام والمسلمين، ولو كان كل فرد من

١ – مجموعة من الباحثين باشراف اليس الصايغ، فلسطينيات، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨، ص٣٢.

٢ – فيلاء عبد الكريم، المصدر السابق، ص٣٢٧ – ٣٢٨.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكم، ص٦٥.

المسلمين يحس بجمرة المصاب ويعتقد أن شعلة هذه الكارثة واصلة اليه قريبا لا محالة. لكن لكل شعب ولكل بلاد شان غير هذا الشان وليصة غير هذه النهضة، ولما استقبلوا هذه البلية بهذه البرودة))[1].

ولم تتوقف جهود الشيخ لنصرة شعب فلسطين عند ذلك، بل انه أبرق للحكومة الإيرانية داعيا إياها بالوقوف الى جانب قضية فلسطين، انطلاقا من الرابطة الإسلامية ومناصرة الحق العربي في المحافل الدولية[2].

عند قيام الحرب العربية الصهيونية في ١٥ ايار ١٩٤٨ اصدر الشيخ كاشف الغطاء الفتوى بوجوب الجهاد في فلسطين بالأرواح والمال لتطهير هذه البلاد المقدسة من رجس الصهيونية، ودعا الى توحيد كل الجهود لتحقيق الانتصار[3]. وفي نفس المجال كتب الى الحكومة العراقية مرحبا بدخول الجيش العراقي ميدان المعركة، داعيا له بالنصر والفوز العظيم[4].

وعندما ارتكب الصهاينة مذبحة ((دير ياسين)) بحق الشعب العربي في فلسطين سنة ١٩٤٨، اثارت تلك الأحداث الدامية والضحايا العرب غضب الشيخ وتبرمه، فاندفع معبرا عن هذا الغضب بتوجيه أشد النقد الى الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية - باعتبارها الشريك الاخر - بما يجري من جرائم وقتل جماعي، فقال بهذا الشأن: ((قتلوا الرجال والأطفال، وبقروا حتى بطون الحوامل، وهل ذكروا مباغتة الصهاينة فصبوا صواعق قنابلهم على البيوت وأهاليها نيام، نسفوا تلك البيوت على من فيها رجالا ونساء وأطفالا، والجيش الأردني العربي المسلم الذي هو طبعا بقيادة ((كلوب باشا)) يبصر

١ - محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٦٦.

٢ - البلاغ (مجلة)، العدد (٢٩)، السنة الثانية، في ١٢ تشرين الاول ١٩٤٧، ص١١.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، مجموعة الخطب، ص١٩.

٤ - لواء الاستقلال (جريدة)، بغداد، العدد ٢٨١، السنة الثانية، في ١٧ مايس ١٩٤٨.

بعينه ويسمع بأذنه عويلهم وصراخهم وتيقنت الأنقاض عليهم نساء ورجالا وأطفالا. هل ذكروا أن نسف تلك البيوت ما كان إلا بقنابل أمريكية؟! وما قتل أولئك العرب المسالمين من المسلمين إلا بأسلحة أمريكية. وما شجعها على هذه الوحشية إلا بقوى أمريكية زهقت تلك النفوس الزكية وجبلت الأرض بدمائهم تحت مسمع وبصر تلك العدالة، عدالة العالم الحر وإنسانية العالم المتمدن الذي يتطلب المثل العليا والقيم الروحية. كل ذلك على حسابكم يا أبناء العم ((سام))، وعلى شاشكم يا أبناء سكسون وكرامة لعيونكم يا زرق العيون جرت كل هذه الوقائع، فهل تحركت شعرة في ذقن العم سام واهتز طرف من أطراف ((ترومان TROMAN))، أو رف جفن من أجفان ((تشرشل CHERCHIL))؟! هل ذكروا مصائب دير ياسين، وهل تفجعوا لها حزنا وشفقة مثلما تفجعوا على الصهيونيين المشردين بسطوة ((هتلر HITLER)) وبطشه؟! فانتصر لهم ابن العم ((سام)) وأمه الحنون بنو الخنون سكسون، انتصروا لهم فاتخذوا لهم وطنا قوميا في فلسطين وأخرجوا منها أهلها الشرعيين))[1].

أما موقف العرب من كل هذا فهو يبعث على الحزن، لم أتسم من ضعف أمام هذه الأعمال التي يرتكبها الصهاينة ضد عرب فلسطين. ووقف العرب موقف المتفرج دون حراك ومواجهة القوة بالقوة والحزم والكفاليم بالاحتجاج والاستنكار، فهو السلاح الوحيد الذي شهره العرب بوجه القوة الصهيونية ((الغاشمة)). ويقول الشيخ عن ذلك: ((نعم السلاح الوحيد للأردن وغير الأردن الاحتجاج الى الدول العربية الكبرى، وأقصى ما عند هؤلاء الاستنكار الفارغ والعتاب الخاثر، يشكي عاهل الأردن الى مثيله في العراق ((شكوى الجريح الى جريح مثله))، وتشتكي الدول العربية المنهوكة الى

١ ـ محمد حسن كاشف الغطاء، أمل العمل، ص٦٢.

مجلس الأمن والدول الكبرى شكوى الجريح الى العقبان والقشاعم، أتدري ما شكوى الجريح الى العقبان والنسور من الطيور؟ إنها تنزل الى الجريح فتقطع لحمه وتمص دمه وتهشم عظمه وتأكله في ساعة طعاما سائغا، وهكذا الدول الاستعمارية تصنع معنا))[1].

انتقد الشيخ سياسة تقديم الاحتجاجات إلى الأمم المتحدة، منبها إلى أن هذا الطريق لا يفضي إلى استعادة العرب حقوقهم وكرامتهم في فلسطين، منتقدا الأسلوب العربي التقليدي في المواجهة والمتمثل باللجوء إلى هيئة الأمم المتحدة التي تمثل مصالح الدول الكبرى في العالم، فتقابل الشكاوى العربية بالهزء والسخرية، ويوجه الشيخ العرب الى الطريق الصائب هو طريق المواجهة ومقابلة العدوان بالجهاد والمقاومة، وهو ما نص عليه القرآن الكريم صراحة: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[2]، وهو بالتأكيد ليس طريق الخطابة والاستنكار والشكاوى والاحتجاج[3].

ويعتبر الشيخ أن اللامبالاة العربية إزاء ما يقوم به الصهاينة، وعملية التمييع التي تمارسها بريطانيا وأمريكا للاحتجاجات التي تقدمها الدول العربية، دليل واضح على ضعف الحكومات العربية وخوارها وعدم اتخاذها قرارا قويا وموقفا حازما يجعل الدول الكبرى تخشى العرب وتحسب لهم حسابا في تعاملها معهم، ((ولو فعلوا ذلك وأبدوا لليهود ومن مكّن اليهود من بلاد المسلمين ومن أرواحهم وأموالهم شيئا من الصلابة والتنمر لكان لهم العيار الثقيل عند الدول الغربية))[4].

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٩٠.

٢ – القرآن الكريم سورة البقرة، الآية ١٩٤.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ص٨٠ – ٨١.

٤ – المصدر نفسه، ص٨٢.

ومما يراه مناسبا للرد على القوى الغربية المساندة للصهاينة وعقابا لهذه الدول عن هذه المواقف المتحيزة، فلابد من اتباع سياسة المقاطعة للسلع الأمريكية والبريطانية وتحريم كل البضائع التي تأتي من هاتين الدولتين والاستغناء عنها[1]. وكان الأولى في المقاطعة الخمور والمشروبات الكحولية، لأن الأموال التي تصرف عليها تذهب الى جيوب المستعمرين والأجانب، فضلا عن دورها التخريبي لأخلاق المجتمع وتبديد لقوة الشباب وحماسته للعمل، وبدلا من إنفاق الأموال على الملذات والكحول، فمن الأفضل التبرع بها لدعم جهاد الشعب الفلسطيني. وفي السياق نفسه فان الشيخ يدعو الى إيقاف كل الاحتفالات والأعياد الإسلامية مادامت فلسطين أسيرة بيد الصهاينة، وأن الأنسب في مثل هذه الحالة إعلان الحداد في كل البلاد الإسلامية وإقامة المآتم حزنا على فقد فلسطين، وتذكيرا للمسلمين بمعاناة إخوانهم الفلسطينيين، ولإبقاء القضية الهم الأكبر للعرب وللمسلمين[2].

وفي مقارنة دالة على حالة الضعف التي يعاني منها العرب مقابل قوة عدوهم على الرغم مما يتمتع به العرب من مزايا تفوق كثيرا مزايا الصهاينة، فيقول في ذلك: «الله اكبر....أين العقول؟ اين الحجى؟ اين الأحلام؟ ما طبكم ما دواكم؟ القوم رجال مثلكم، أنتم رجال وهم رجال، فما بالكم تأخرتم وتقدموا، وجهلتم وتعلموا؟! ...انظروا الى جامعتهم وعصبيتهم وتألفهم، اعتبروا بأذل الأمم (اليهود)، يهودي في الصين وآخر في العراق الروح واحدة والقلوب متفقة والآراء سواء، اذا أصيب أحدهم بمكروه في العراق تألم الآخر في الصين، واذا ضرب يهودي في ألمانيا صاح كل

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا في الاسلام، ص٢٧.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٩٥ – ٩٦.

يهودي في العالم ((الخ)) وصرخوا صرخة واحدة، وهذه الصفة من أساسيات قواعد الإسلام، حيث يقول: المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد اذا تألم عضو تألم له سائر الجسد، لكنك وياللحسرة والأسف بناء مفكك يهدم بعضه بعضا))[1].

ان الصهيونية في جد واجتهاد والعرب والمسلمين مشغولون بالزخارف والسفاسف التي لا تنفع ولا تجدي، والتي لا يبلغ بها المسلمون الى المجد والرفعة[2]. والأنكى من ذلك أن العرب لم يستفيدوا من الدروس والعبر في جمع الشمل ووحدة الكلمة، كما هو الحاصل في أوقات الشدائد والمصائب، بل إنهم ازدادوا تفرقا وتشتتا[3].

ويذكر الشيخ العرب بما تمثله فلسطين لهم ومدى قدسيتها، فهي وديعة الله وتراث الأجداد، محذرا من جعلها أندلس ثانية، بفضل التوانى والتخاذل، وحينها لا ينفع ندم، فعليهم الذهب ومقاتلة عدوهم الذي يقاتل بالاموال والسلاح[4].

ولأن الحكومات العربية متواطئة مع الاجانب بشأن القضية الفلسطينية وعدم قيامها بعمل حقيقي حيال مأساة الشعب الفلسطيني وانتشار الداء الصهيوني، فكان لزاما على الشعب العربي النهوض وشق طريقه بنفسه متجاوزا الحكومات والأنظمة ليأخذ بالثأر ويغسل العار الذي لحق به[5].

ومما سبق يمكن ملاحظة ان رؤية الشيخ كاشف الغطاء تنطلق من

---

١ – محمد حسين كاشف الغطاء، محسوعة الخطب، ص٨٢.

٢ – محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص٨١.

٣ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص١٢٨ – ١٢٩.

٤ – العربي، مجلة، العدد ٣، السنة ١٣ تشرين ثاني ١٩٤٥، ص٤٤.

٥ – محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص٩٦.

ايمانه بمظلومية الشعب الفلسطيني وتعدد الجهات الظالمة له مع خضوع وضعف عربي إسلامي. وهو ما دفعه الى حث العرب والمسلمين الى سلوك طريق الجهاد والقتال، لأنه الطريق الوحيد لتحرير فلسطين العربية. ولهذا كانت خطبه الداعية الى أخذ الحق بالقوة المسلحة وفتاواه تشد من أزر الشعب الفلسطيني في محنته وتدفع المسلمين للإلتحاق بقوافل المجاهدين لتحرير فلسطين.

الخاتمة

تعد شخصية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من الشخصيات المهمة والمؤثرة في تاريخ العراق الحديث، ليس كونه رجل دين يفتي فحسب، بل كان مصلحا اجتماعيا مؤثرا، وسياسيا محنكا، وخطيبا مفوها. وهذه الصفات تدل على أنه قائد ميداني مجرب، لم يؤثر الاعتكاف بل آمن بأن رجل الدين مثلما هو متفقه بالدين فعليه أن يطبق تعاليم الدين عملا.

من خلال البحث يمكن الاستنتاج ما يلي:-

١ - امتيازه عن غيره من العلماء الروحانيين بعلاقاته واتصالاته الواسعة المتعددة، والتي شملت شخصيات غير إسلامية. وقد نتج عن بعض مراسلاته مع هذه الشخصيات كتب ضمت هذه المراسلات.

٢ - كان جريئا في مواقف كثيرة وقضايا متعددة، وقد عبّر عن جرأته تلك من خلال فتاواه التي اتسمت بالعصرية ومواكبة التطورات الحاصلة، فامتازت فتاواه بطابع المرونة واليسر.

٣ - مثّل الشيخ كاشف الغطاء امتدادا لدعاة النهضة الحديثة، وقد جاءت دعواته متوافقة مع دعوات المصلحين. وكان السبب المباشر لهذه الدعوات هو الشعور بالخطر من الحضارة الغربية، ومحاولة التمترس للدفاع عن الحضارة العربية الإسلامية المهددة من حضارة الغرب.

٤ - آمن بشكل تام بقدرة الشريعة الإسلامية على تحقيق التطور والرقي من خلال التزام المسلمين بهذه الشريعة ورجوعهم إليها للتزود من منابعها، واعتبر الإسلام مع اللغة العربية الدعامتان الأساسيتان لكل نهوض

ورفعة، وهو بذلك جعل من الإسلام الحل المجرب.

٥ - كانت نظرته للأشياء تتم دائما من منظور إسلامي، فمواقفه تتعارض مع كل قضية تخرج عن الإطار الإسلامي، في الوقت الذي ينسجم مع القضايا التي تقف على أرض إسلامية. وهذا نابع بالتأكيد من كونه عالما دينيا كبيرا.

٦ - طغت النشاطات الأخرى (سياسية واجتماعية) على نشاطه الأساسي (النشاط الديني)، فاشتهر أكثر من خلال مشاركاته السياسية والاجتماعية. ويمكن القول على هذا الأساس إن السياسة أخذته من موقعه الرئيس (الموقع الديني).

٧ - ترجم الشيخ كاشف الغطاء دعواته التنظيرية عملا وفعلا. وكان ذلك من خلال إصلاحه مدرسة «آل كاشف الغطاء»، وهو عمل بمنظار تلك الأيام (عقد الثلاثينيات من القرن العشرين) كبير ويحتاج الى جرأة وجلد، لأن عمله هذا قد ادخله بمواجهة مباشرة مع الجماعة المحافظة (التقليدية)، التي كانت تسيطر على مدارس النجف الدينية والمترصدة لكل حركة تجديدية. فكان عمله هذا بمثابة الأساس الذي فتح الطريق أمام محاولات تجديدية أخرى عملت على تطوير المدرسة الدينية في النجف مناهجا وتدريسا. ويمكن وصف هذا العمل بالخروج عن المألوف والسائد.

٨ - برز بشكل واضح مستوى الوعي السائد بمدينة النجف الأشرف خلال النصف الأول من القرن العشرين، والواقع الفكري والثقافي للمدينة وتأثيرها الكبير بالأحداث الوطنية والإسلامية، وكون النخبة المثقفة فيها تتمثل بشكل رئيس بطبقة رجال الدين.

٩ - شخّص بشكل سليم الأسباب التي قادت الى انتشار الفكر الشيوعي في مجتمع مسلم محافظ، ولاسيما في المدن المقدسة، معتبرا أن السياسة

الاستعمارية كانت سببا رئيسا في المساعدة على هذا الانتشار. ورفض في ذات الوقت مبدأ القمع الذي استخدم لمكافحة هذا الفكر، مؤكدا على مقابلته بفكر مقابل يقدم حلولا منطقية للمشاكل الخطيرة التي يعاني منها المجتمع. وهو بذلك يؤكد إيمانه بالحرية الفكرية والحوار الديمقراطي القائم بين كل التيارات على أساس الاحترام المتقابل ورابطة الهدف المشترك، وهو خدمة الأمة والشعب.

١٠ - ظهر الشيخ كاشف الغطاء بشكل واضح بعيدا عن المحلية والقطرية، بل اتسمت نظرته للقضايا والأحداث بالشمولية، فكان يتناول القضايا القومية والإسلامية بصدق وعمق وحرص شديد مثلما هو الحال مع القضايا الوطنية، فكان رجلا وطنيا وقوميا بحق.

١١ - برز الشيخ كاشف الغطاء كواحد من المنظرين لقضية «القومية العربية» والدعوة لوحدة العرب، وتنم أفكاره عن إخلاص وإيمان عميقين في إمكانية تحقيق الوحدة العربية والنهوض القومي، من خلال الاقتداء بالرموز العربية التي حققت المجد للعرب واستحضار الجانب المشرق من التاريخ العربي.

١٢ - نبه بوقت مبكر الى ما يحيط القضية الفلسطينية من مخاطر وحذر من التآمر الدولي عليها، وشخص الولايات المتحدة الأمريكية بأنها العدو الأول للعرب والمسلمين، لوقوفها الى جانب الصهاينة ومساندتهم بكل الوسائل، ورد على الادعاءات الصهيونية والأمريكية بحجج قوية، محذرا من تهاون العرب والمسلمين وتراخيهم، رافضا طريق المؤتمرات وتقديم الشكاوى الى الأمم المتحدة، لانحيازها الى الطرف الآخر، مؤكدا على طريق رئيسي مفضل لاستعادة فلسطين العربية الإسلامية وهو القوة.

١٣ - أولى مسألة الوحدة جزءا من تفكيره، وركز على الوحدة

الوطنية باعتبارها عامل قوة وسبيلا الى وحدة اكبر، وحارب بقوة النزعات الاقليمية والطائفية والمذهبية.

١٤ - هدف من خلال دعواته وفكره بناء مجتمع سعيد يتمتع افراده بالرفاهية والحياة الكريمة بمداخيل توفر متطلبات معيشة طيبة، وتحقق توازنا في العلاقة بين السلطة والشعب، يؤدي كل طرف فيه واجبه نحو الآخر، حتى يصل الطرفان الى بناء المجتمع القوي المتماسك المرفه والمصانة فيه حقوق الافراد. وكان ذلك من خلال إشاعته لروح التعاون والدعوة لاقتصاد فردي ومجتمعي سليمين، وتسخير العلم لتكوين الثروة واكتشاف غير المكتشف من الكنوز والمعادن، وهو بذلك تمتع بتفكير اقتصادي متألما تمتع بمزايا أخرى.

١٥ - تبين مدى المكانة التي كان يتمتع بها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وتاثيره الفاعل في الأحداث، وتمثل ذلك بحضوره المتميز بالقضايا الوطنية والقومية.

١٦ - تمتع بثقافة عالية وسعة إطلاع توفرت لديه من خلال علاقاته الواسعة المتعددة، كان لها أثر في إعطاء نظرته بعدا وصوابية للكثير من ارائه.

١٧ - امتاز بجديته ومثابرته على العمل والتعلّم والتعليم، وبروحه العاشقة للمعرفة، وبقدرته على التحمل والاشتغال لساعات طويلة، دون ان يقلل ذلك من اندفاعه وحماسه حتى استمر الأمر الى اخر ايامه.

١٨ - أرجع الشيخ كاشف الغطاء ما يعانيه العرب والمسلمون من ضعف الى اسباب أخلاقية، إذ اعتبر أن الابتعاد عن الأخلاق العربية الاصيلة كان سببا في التدهور والتردي.

١٩ - أكد على أن مصدر القوة هو العودة الى الإسلام الصحيح الخالي من الشوائب.

Sheikh Mohammad Husein Kashif Al-Gita'a and His national Role

Sheikh Mohammad Husein Kashif Al-Gita'a is one of the prominent Arab religious savants in the religious authority in Al-Najef Al-Ashraf ; and he had an abvious and concrete role in many political events and social affairs , whether in Iraq , Arab Homeland or Islamic World. So , according to this fact , he worked in polities in addition to his position as a great religious authority who had followers who spread out in many parts of Islamic World.

Sheikh Kashif Al-Gita'a represented the enlightened religious authority which called for the reform theoretically and applied it practically in many domains. He followed the method of his former reformers like Al-Afgany and Mohammad Abdah and others. And he was , in his theses , keeping himself away from fanaticism and complication.

Kashif Al-Gita'a was a renewer in his call for the reform of the society as a way to achieve the progress and development to enable the nation to stand against what is

considered by Muslims as an invading by the western culture which creates high foreboding , so , the new values and styles of life , which it brought , was rejected.

Sheikh Kashif Al-Gita'a upheld the national affairs and participated in some of them actually as a reformer and guide. These attitudes had positive effects on creating the good reputation of this great authority For that , his sayings and thoughts continued effective up to now , especially his strong upholding attitude towards the Palestenian issue , and his defence of the rights of the Arab people there , and also his disproving of the Zionist and western claims by proofs which emphasize the Arabism of Palestine and the right of its people to live in it , ruling itself independently.

Sheikh Kashif Al-Gita'a was descended from a religious learned family , which produced - through the nineteenth and twentieth century - many of spiritual authorities , intellectuals and literati. Therefore , its name spread and it became a famous family in the Islamic World. Its settlement in Al-Najef Al-Ashraf city had affected its rise , because it is known that this holy city has a great effect in the events. All of these were conducive factors to rise Mohamad Husein's star.

Kashif Al-Gita'a produced a great number of books in different affairs : religious , political , social and moral ones. These books are distinguished by their deep treatment and strong effects , and they show his wide knowledge.

This research includes a preface , four chapters , a conclusion and a list of sources which are used by the researcher. The preface tackles the political , intellectual and economic situations in Al-Najef Al-Ashraf during the beginning of the twentieth century , considering that Sheikh Kashif Al-Gita'a was a production of that age and his thoughts were abviously developed at that time . The first chapter tackles his life , development and his personality in addition to his learning and his intellectual participations and the beginnings of his social activity.

The second chapter studies his attitude towards the national events which took place in Iraq since the call for the movement of Al-Jihad against the Britons in ١٩١٥ until his death in ١٩٥٤. The third chapter studies the reforming sides of Kashif Al-Gita'a as he is considered as the continuance of the intellectuals of the Arab revival age. And also it studies his national calls , and his theorizing of the Arab affair , and his most important practical reforming

attitudes by which he connected between theory and practice. The fourth chapter studies the most important features of the political view of Kashif Al-Gita'a and his attitude towards his contemporary political trends . and it studies what can be called the political intellect of the Sheikh.

المصادر

القرآن الكريم

الوثائق غير المنشورة:

اولا- ملفات وزارة الداخلية المشار اليها و.د

١- الحركات السياسية لشيوخ الفرات الأوسط. الملفة المرقمة (٢٧/ديوانية/ قسم ٤)

٢- كتاب متصرفية لواء الديوانية، التقرير اليومي عن موقف اللواء العدد س/٤٧٣ في ١٩٣٥/٣/١٦.

٣- كتاب مديرية شرطة لواء بغداد المرقم س/١١٢٠ المؤرخ في ١٩٣٥/٤/٢.

٤- موقف العلماء ازاء حركة العصيان / الملفة المرقمة ٢٥ / ديوانية /٦

٥- و.د تقرير ادارة التحقيقات الجنائية الى وزارة الداخلية ش. خ ١٢٩٦ في ٢٤ آذار ١٩٣٥.

٦- و.د تقرير سري من الموظف السري الى متصرف لواء بغداد رقم س /١١ في ٢٠-٥-١٩٣٥.

٧- و.د متصرفية لواء الديوانية / التحرير دس /٥٠٢ التقرير اليومي عن حالة الديوانية (ورقة ٥٧) ١٩-٢٠ مايس ١٩٣٥.

٨- و.د متصرفية لواء الديوانية – التقرير اليومي عن حالة اللواء ليوم ٢٨-٣-١٩٣٥ العدد دس/٥٨٦ في ٢٨-٣-١٩٣٥.

ثانيا- دار الكتب والوثائق في بغداد المشار اليها بالرمز د.ك.و

أ- ملفات البلاط الملكي :-

١- التمرد والغزو / أحداث الفرات الأوسط رقم الملفة (٣١١/١١١٥).

٢- التمردات والغزو / أحداث الفرات الأوسط لعام ١٩٣٥، رقم الملفة (١١١٦).

٣- التمرد والغزو / احداث الفرات الأوسط لعام ١٩٣٥، رقم الملفة (١١١٧).

المخطوطات:

١ -القوشجي، الهيئة والفلك، ترجمه عن الفارسية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، محفوظ عند الشيخ شريف كاشف الغطاء.

٢ - محمد حسين كاشف الغطاء، حول احداث سياسية، محفوظة عند الشيخ شريف كاشف الغطاء.

٣ - محمد حسين كاشف الغطاء، حول الجهاد بالحرب العالمية الأولى ١٩١٥، محفوظة عند الشيخ شريف كاشف الغطاء.

٤ - محمد حسين كاشف الغطاء، ديوان شعر، محفوظة عند الشيخ شريف كاشف الغطاء.

٥ - محمد حسين كاشف الغطاء، مذكرات خطية حول الجهاد ومحفوظة عند ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء.

الاطروحات الجامعية :-

١ - حسين علي عبد الله السماك، عشائر منطقة الفرات الأوسط ١٩٢٤-١٩٤١، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية

الاداب جامعة البصرة، عام ١٩٩٥.
٢ - عز الدين عبد الرسول المدني، محسن ابو طبيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب جامعة الكوفة عام ١٩٩٩.
٣ - مقدام عبد الحسين باقر الفياض، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الكوفة عام ٢٠٠٠م.

كتب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:-

١. اصل الشيعة واصولها، ط٨، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٥.
٢. الارض والتربة الحسينية، ط٤، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، ٧٧٣هـ.
٣. الايات البينات في قمع البدع والضلالات، المطبعة العلوية، النجف، ٣٤٥هـ.
٤. تحرير المجلة، الاجزاء ١-٢-٣، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٥٩هـ، الجزئين ٤-٥، مطبعة العدل الإسلامي، النجف ٣٧٠هـ.
٥. تعليقات عن العروة الوثقى، المطبعة المرتضوية، النجف، بلا تاريخ.
٦. التوضيح في بيان ما هو الانجيل ومن هو المسيح، ط١، مصر ١٩١٢.
٧. جنة المأوى، ط١، جمع وتعليق، محمد علي القاضي، مطبعة شركة جاب تبريز، ١٣٨٥هـ.

٨. الخطب، جمعها عبد الحليم كاشف الغطاء، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٦٩.
٩. الدين والإسلام او الدعوة الإسلامية، ط١، جزئين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.
١٠. سؤال وجواب في الفتاوى الفقهية، النجف، ١٣٥٠هـ.
١١. السياسة الحسينية، مطبعة الغري، النجف ١٩٥١.
١٢. العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، ط١، تحقيق جودت القزويني، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٨.
١٣. الفردوس الاعلى، ط١، جمع وتعليق محمد علي القاضي، شركة جاب تبريز، ١٣٨٦هـ.
١٤. في السياسة والحكمة، جمع وتعليق، عبد الحليم كاشف الغطاء، دار البلاغ، بيروت، ١٩٨٨.
١٥. المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٤.
١٦. محاورة الامام المصلح مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد، ط٢، المطبعة التجارية، بوينس ايرس، ١٩٥٥.
١٧. مختار من شعراء الاغاني، حديث الشهر (١٠) ايلول، ١٩٥٠.
١٨. المراجعات الريحانية – المطالعات والمراجعات، ط٢، المطبعة الاهلية، بيروت، ١٩١٣.
١٩. الميثاق العربي الوطني، ط١، تعليق عبد الغني الخضري، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٨.
٢٠. الوجيز في الفقه، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٤٥هـ.

الكتب :

١ ابن ماجه، القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٢ أ.ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، نقلها الى العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٠ هـ.

٣ أحمد الحسيني، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري، مطبعة الاداب – النجف الأشرف، بلا تاريخ.

٤ أحمد كاشف الغطاء، سفينة النجاة، تعليق محمد حسين كاشف الغطاء، مطبعة الغري، النجف، ١٣٦٤ هـ.

٥ البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨–١٩٣٩، ط٣، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧.

٦ اسماعيل احمد ياغي، تطور الحركة الوطنية العراقية ١٩٤١–١٩٥٢، مطبعة الإرشاد – بغداد، ١٩٧٩.

٧ العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦، ترجمة وتعليق نجدت فتحي صفوت، منشورات مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٣.

٨ النجفي القوجاني، سياحة في الشرق، ط١، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٢.

٩ انيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، بلا تاريخ.

١٠ باقر امين الورد، اعلام العراق الحديث، قاموس وتراجم ١٨٦٩–١٩٦٩، مراجعة ناجي معروف، ط١، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٧٨.

١١ بريان كروزير، الاستعمار الحديث، ترجمة لجنة الترجمة في المكتب التجاري، منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٤.

١٢ بلا اسم، ذكرى علمين من آل مطر، صورة من حياة الشيخ عبد الحسين مطر وحياة أخيه الشيخ محمد جواد مطر، مطبعة النجف – النجف ١٩٥٧.

١٣ بيردي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن، ترجمة اكرم فاضل، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٨.

١٤ جعفر الحلي، سحر بابل وسجع البلابل وترجمة الاعلام الافاضل، تعليق وتصحيح محمد حسين كاشف الغطاء (النجفي)، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٣١.

١٥ جعفر الخليلي، عندما كنت قاضيا، تقديم محمد حسين كاشف الغطاء، مطبعة الراعي، النجف ١٩٤٨.

١٦ جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، دار التعارف – بغداد بلا تاريخ.

١٧ جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ج٢، ط١، دار التعارف، بغداد بلا تاريخ.

١٨ جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ط٤، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٤.

١٩ حازم المفتي، العراق بين عهدين ياسين الهاشمي وبكر صدقي، تقديم عماد عبد السلام رؤوف، مكتبة اليقظة العربية، بغداد ١٩٩٠.

٢٠ حسن الاسدي، ثورة النجف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

٢١ حسن صعب، علم السياسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦.

٢٢ حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج١، ط١، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٥.

٢٣ حنا بطاطو، العراق، الكتاب الثاني، ط١، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت ١٩٩٢.

٢٤ حمدي العمري، يونس السبعاوي سيرة سياسي عصامي، وزارة الثقافة – بغداد، ١٩٧٨.

٢٥ رؤوف الواعظ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٤.

٢٦ رجاء حسين حسني الخطاب، المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي، ط٢، مطبعة الاديب، بغداد ١٩٨٥.

٢٧ رفعت السعيد، ثلاثة لبنانيين في القاهرة، دار الطليعة، بيروت بلا تاريخ.

٢٨ ساطع الحصري، اراء واحاديث في القومية العربية، مطبعة الاعتماد، مصر ١٩٥١.

٢٩ سامي الدهان، الامير شكيب ارسلان حياته واثاره، دار المعارف، مصر ١٩٦٠.

٣٠ ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٦، بغداد ١٩٨٥.

٣١ سليم الحسيني. دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ط١. مركز الغدير، بيروت، ١٩٩٤.

٣٢ سليمان فيضي. مذكرات سليمان فيضي من رواد الحركة العربية في العراق، تحقيق باسل سليمان فيضي. مطبعة الاديب، بغداد ٢٠٠٠.

٣٣ ش. آ. ر. جيب. الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة كامل سليمان، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٤.

٣٤ صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤-١٩٥٢، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٢.

٣٥ طارق الهاشمي، الأحزاب السياسية، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٨.

٣٦ طالب مشتاق، ارواق آيامي - بغداد والعراق والوطن العربي ١٩٠٠-١٩٥٨، ط٢، دار واسط للطباعة - بغداد، ١٩٨٩.

٣٧ طه الهاشمي، حرب العراق، ط١. مطبعة النجاح - بغداد، ١٩٣٦.

٣٨ عبد الامير هادي العكام، تاريخ حزب الاستقلال ١٩٤٦-١٩٥٨، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦.

٣٩ عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣. بلا مكان، ١٩٦٧.

٤٠ عبد الرحمن الكواكبي، السيد الفواتي، ام القرى، المطبعة المصرية بالازهر، القاهرة ١٩٣١.

٤١ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، ط١، مطبعة العرفان - صيدا، ١٩٥٧.

٤٢ عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، ط٥، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٨٣.

٤٣ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨.

٤٤ عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ١٩٩٢.

٤٥ عبد الرزاق الحسني، الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية، ط٣، مطبعة العرفان – صيدا، ١٩٧٣.

٤٦ عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، ط٢، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٥.

٤٧ عبد الرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨–١٩٤٥، ط٢، دار الرشيد – بغداد، ١٩٨٠.

٤٨ عبد الرزاق الهلالي، الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢.

٤٩ عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٥٣.

٥٠ عبد الرضا الطعان، البعد الاجتماعي للاحزاب الساسية (دراسة في علم الاجتماع السياسي)، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

٥١ عبد الرضا كاشف الغطاء، نصائح الشيخ للشاب الشرقي، ج١، ط٢، مطبعة هور بومباي ١٣٤٦ هـ.

٥٢ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠.

٥٣ عبد الغني الملاح. تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق. منشورات وزارة الاعلام – بغداد. ١٩٥٧.

٥٤ عبد اللطيف حمزة. الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الأول. ط١. دار الفكر العربي بلا تاريخ.

٥٥ عبد الله النفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. بلا مكان. ١٩٧٦.

٥٦ عبد الله بري. القومية العربية والقومية اليهودية. منشورات دار الحياة. بيروت بلا تاريخ.

٥٧ عبد الهادي الفاضلي. دليل النجف. مطبعة الاداب. النجف الأشرف. بلا تاريخ.

٥٨ عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري. الموسوعة السياسية. ط١. الموسوعة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ١٩٧٤.

٥٩ عجمي عطية ابو كلل. تاريخ النجف. النجف. ١٩٥٧.

٦٠ علاء الرهيمي. حقائق عن الموقف من الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥–١٩١١. مركز دراسات الكوفة. مكتب المناهل. النجف الأشرف. ٢٠٠١.

٦١ علاء الرهيمي. مجلة العلم النجفية. مركز دراسات الكوفة. مكتب المناهل. النجف الأشرف. ٢٠٠٠.

٦٢ علي الحلو. الحمرة امارة عربية. دار الحرية للطباعة. بغداد ١٩٧٢.

٦٣ علي الخاقاني. شعراء الغري (النجفيات). ج٨. ج١٠. المطبعة الحيدرية. النجف. ١٩٥٦.

٦٤ علي الشرقي، الاحلام، ط١، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد ١٩٦٣.

٦٥ علي الوردي، دراسات في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥.

٦٦ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٢.

٦٧ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٩١٤-١٩١٨، ج٤، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٤.

٦٨ علي امام عطية، الصهيونية العالمية وارض الميعاد، ط١، مطابع الشعب، مصر ١٩٦٣.

٦٩ علي كاشف الغطاء، سعد صالح في مواقفه الوطنية، ١٩٢٠-١٩٥٠، مطبعة الراية، بغداد، ١٩٨٩.

٧٠ علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤، الاهلية للنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

٧١ فاروق ابو زيد، عصر التنوير العربي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بلا مكان، ١٩٧٨.

٧٢ فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٤.

٧٣ قاسم امين، تحرير المرأة، مكتبة الشرقية، مصر بلا تاريخ.

٧٤ قصي سالم علوان، الشبيبي شاعرا، سلسلة الكتب الحديثة (٨٣)، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٥.

٧٥ قيس عبد الحسين الياسري. الصحافة العراقية والحركة الوطنية بين نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٧٨.

٧٦ كاظم الكفائي. بين جامعة الامام علي كاشف الغطاء ومجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، مطبعة الاداب، النجف ١٩٧٤.

٧٧ كاظم حطيط. اعلام ورواد في الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا تاريخ.

٧٨ ل. ليونتيف. الاقتصاد السياسي. اسئلة واجوبة، ط٢. ترجمة محمد رشاد الجملاوي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٤.

٧٩ لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديثة، ترجمة عقبة البستاني، دار التقدم، موسكو ١٩٧١.

٨٠ مجموعة من الباحثين الفلسطينيين باشراف انيس الصانع. فلسطينيات، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت. ١٩٦٨.

٨١ محسن ابو طبيخ. المبادئ والرجال، مطبعة ابن زيدون – دمشق. ١٩٣٨.

٨٢ محمد باقر أحمد البهادلي. السيد هبة الدين الحسيني اثاره الفكرية ومواقفه السياسية ١٨٨٤–١٩٦٧، ط١، بيروت ٢٠٠١.

٨٣ محمد جعفر محبوبة. ماضي النجف وحاضرها، ط١، المطبعة العلمية، النجف ١٩٥٥.

٨٤ محمد جواد مغنية، مع علماء النجف، ط٣، مطبعة دار القلم، بيروت. ١٩٦٥.

٨٥ محمد حرز الدين. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، تعليق

محمد حسن حرز الدين، ج٢، مطبعة الاداب، النجف ١٩٦٤.
٨٦ محمد رضا الحساني، الإسلام والعرب والحقيقة، ط٥، مطبعة القادسية – الكوفة ١٩٤٠.
٨٧ محمد رضا شمس الدين، حديث الجامعة النجفية، تاريخ وتحليل، المطبعة العلمية– النجف ١٩٥٣.
٨٨ محمد رضا كاشف الغطاء، تقريع العصا في الرق والنخاسة والخصا، دار الذخائر، بيروت، ١٩٩٩.
٨٩ محمد طاهر الجيلاوي، جمال الدين الأفغاني، حياته وارائه، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١.
٩٠ محمد عرفة، الإسلام أم الشيوعية، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، بلا تاريخ.
٩١ محمد علي الحوماني، من وحي الرافدين دجلة والفرات، مطابع الكشاف، بيروت، ١٩٤٦.
٩٢ محمد علي موسى، امين الريحاني، سلسلة اعلام الفكر العربي (١٣) منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، بلا تاريخ.
٩٣ محمد عمارة، العرب والتحدي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠.
٩٤ محمد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٩٠.
٩٥ محمد مهدي الموسوي، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، ج١–٢، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٨.
٩٦ محمد مهدي، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، مطابع النعمان، النجف، بلا تاريخ.

٩٧ محمد هادي الاميني، الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والانظمة الاجتماعية، ط١، مطبعة النعمان، النجف ١٩٦٠.

٩٨ محمد هادي الاميني، معجم المطبوعات النجفية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦.

٩٩ محمد هادي الاميني، معجم رجال الفكر في النجف خلال الالف عام، مطبعة الاداب – النجف، بلا تاريخ.

١٠٠ محمد هادي دفتر، رحلة الامام الزنجاني وخطبه في الاقطار العربية والعواصم الإسلامية، مطبعة الغري، النجف، ١٩٤٧.

١٠١ مذكرات عبد الحميد زاهد (من المشاركين باحداث الثورة العراقية ١٩٢٠)، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة الديواني، بغداد ١٩٨٧.

١٠٢ معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٧.

١٠٣ مكي حبيب المؤمن وعلي عجيل منهل، من طلائع يقظة الأمة العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١.

١٠٤ منير بكر التكريتي، ادباء صحفيون، ط١، مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٩.

١٠٥ منير بكر التكريتي، اساليب المقالة في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية، مطبعة الإرشاد، بغداد – ١٩٧٦.

١٠٦ منير بكر التكريتي، يوسف رجيب الكاتب والصحفي والسياسي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١.

١٠٧ ناجي وداعة الشريس، لمحات من تاريخ النجف السياسي، ج١، النجف ١٩٧٣.
١٠٨ نجدت فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٩.
١٠٩ نجلاء عز الدين، العالم العربي، ترجمة محمد عوض ابراهيم واخرون، دار احياء الكتب العربية، القاهرة بلا تاريخ.
١١٠ هادي طعمة، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية، دائرة الشؤون الثقافية – بغداد، ١٩٨٤.
١١١ هاشم فياض الحسيني، السيد محسن الحكيم، مركز الحكمة للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٩.
١١٢ هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، جـ١، ط١، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٩.
١١٣ وميض عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بغداد ١٩٨٥.
١١٤ يونس بحري، اسرار ٢ مايس او الحرب العراقية الانكليزية، تقديم علي الخاقاني، منشورات دار البيان، مطبعة الحرية – بغداد، ١٩٤٨.

المقابلات الشخصية :-

١- مع الشيخ شريف كاشف الغطاء بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٥.
٢٠٠١/٣/١٨
٢٠٠١/٨/١٠

٢- مقابلة مع الشيخ باقر شريف القريشي بتاريخ ٢٠٠١/٥/٨.
٣- مقابلة مع الشيخ محمد جعفر الكرباسي بتاريخ ٢٠٠١/٤/٩
٤- مقابلة مع الاستاذ كاظم شكر بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٨
٢٠٠١/٦/٢٠

الصحف والمجلات:-

الصحف:-

١-جريدة الحضارة، العدد ١٨ في ٥ تموز ١٩٣٨ .النجف
٢- جريدة العلم العربي، العدد ٢٥٢ في ١ شباط ١٩٣٩-بوينس آيرس-ا الارجنتين
٣- جريدة النجف، الاعداد ٤٣ في ٢٨ مايس ١٩٢٦.
٤٤ في ٤ حزيران ١٩٢٦.
٤٥ في ١١ حزيران ١٩٢٦.
٤١ في ١٤ مايس ١٩٢٦ .النجف
٥- جريدة لواء الاستقلال، العدد ٢٨١ في ١٤ مايس ١٩٤٨. بغداد
٤- جريدة الهاتف، الاعداد ٤٦ في ١٩ شباط ١٩٣٧.
١٤٦ في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٨.
٢٧٢ في ٢٦ تموز ١٩٤١.
٢٦٨ في ٢١ آب ١٩٤١ - النجف

المجلات :-

١- مجلة البيان، العدد ٢٩ في ١٢ تشرين الأول ١٩٤٧. بغداد
٢- مجلة التوحيد ، العدد ٨٩ تموز ١٣٩٧. طهران
٣- مجلة الحياة ، العدد الأول، المجلد الأول ١٩١٠. بغداد
٤- مجلة الرابطة الأدبية، العدد الثاني، ايار ١٩٧٥. النجف

٥- مجلة الرابطة العربية، الجزء ٧٣، المجلد الثالث في ٢٧ اكتوبر ١٩٣٧. القاهرة.

٦- مجلة الرضوان . العدد السابع. رجب ١٣٥٥هـ. طهران

٧- مجلة الشعاع. الاعداد. العدد الأول في ايار ١٩٤٨.

العدد السابع ٢ اب ١٩٤٨.

العدد العشر ٤/١٠/١٩٤٨. العددان المزدوجان ١٣-١٤ السنة الأولى ١٩٤٨. النجف

٨- مجلة العرفان. الاعداد جزء ١٩ مجلد ٤ كانون الأول ١٩١٢.

الجزء الثاني المجلد ٢٩ نيسان ١٩٣٩. جزء ٩ المجلد ٣٦ ايلول ١٩٤٩. صيدا. بيروت

٩- مجلة العلم. الاعداد : العدد الأول ٢٩ مارت ١٩١٠. الجزء السابع من المجلد الثاني ١٩١٠. النجف

١٠- مجلة الغري، الاعداد ٦٨ في ١٢ مايس ١٩٤١.

٣ في ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥.

١٣١ تشرين الثاني ١٩٤٥.

العددان المزدوجان ٢١- ٢٢ في ٢٧ نيسان ١٩٤٨.

العددان المزدوجان ٦٩-٧٠ في ٢٠ مايس ١٩٤١. العدد٣ في ٢٢ كانون الأول ١٩٥٣. النجف

١١- مجلة المستقبل العربي، العدد المزدوج للاشهر (٨،٩،١٠) ١٩٨٢. بغداد

١٢- مجلة النجف، الاعداد التاسع في ١٠ تموز ١٩٥٨. في ١٢ ايلول ١٩٥٨. النجف